

# الكتاب وجاهات نظر

في الثقافة - السياسة والفكر

Weghat Nazar - Volume 4 - Issue 41 - June 2002

مجلة شهرية، العدد الواحد والأربعون، السنة الرابعة - يونيو ٢٠٠٢، الثمن عشرة جنيهات



**فلسطين: ما جرى وما يجري**  
**وما العمل؟ / الأمان في العمق /**  
**الإسرائيلي والانتفاضة / الدين**  
**والسياسة في الشرق الأوسط / التحالف**  
**بين الصهيونية واليمين المتطرف**

أنفاز  
الضن  
التجريدي  
محاولة  
للقلم

محمد حسنين هيكل

**٧ رصاصات... وحرب!**



رئيس مجلس الإدارة  
إبراهيم المعلم  
عضو مجلس الإدارة المنتدب للإنتاج  
أحمد الزينادي  
اليحوت والمباينة  
هسديسل غنيم



٩٩ تعبر المقالات المنشورة عن آراء مؤلفيها، ولا تعبر  
بالضرورة عن رأي «وجهات نظر» إلا إذا أشارت إلى  
ذلك صراحة ٩٩

### كتب العدد :

- إبراهيم عبد الكريم .. باحث فلسطيني .
- جاك فلام .. أستاذ تاريخ الفن في معهد بروكلين وفي جامعة سيتي بنيويورك .
- سلامة أحمد سلامة .. صحفي .
- شوقي ضيف .. رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
- طارق البشري .. كاتب ومؤرخ .
- طارق علي .. روائي وكاتب بريطاني من أصل باكستاني .
- عبد العظيم أنيس .. أستاذ الإحصاء فرياضى بالقرغ ، بجامعة عين شمس .
- عزمي بشارة .. نائب عربي في الكنيست الإسرائيلي .
- عمرو كمال حمودة .. خبير في شؤون الطاقة .
- فرانسيس فوكوياما .. مفكر أمريكي من أصل ياباني .
- محمد حسنين هيكل .. صحفي .
- محمد الصمعاك .. كاتب لبناني .
- محمد عبد الرحمن يونس .. محاضر في جامعة الدراسات الأجنبية ببيكين .
- محمود المراغي .. صحفي .

رسم العدد للفنان :

محمد جحي - محمد حاكم - سعد الدين شحاتة - أحمد اللباد



يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على دعائم ورقية  
أو غير الحاسبات لكل أو بعض المقالات المنشورة  
أو أجزاء منها، بغیر إذن كتابي مسبق من الناشر.



### المراسلات :

الشركة المصرية للنشر العربي والدولي  
٣ ميدان طلعت حرب، القاهرة، جمهورية مصر العربية  
ت : ٢٣٢٠٤٢٢ / ٢٣٢٠٤٢٢ فاكس : ٢٣٢٠٤٩٨ (٢٠٢)  
البريد الإلكتروني (التحرير) : info@algotob.com  
الوقع على الإنترنت : www.weghatnazar.com

### الاشتراكات :

الصفة الواحدة (أثنا عشر شهراً) شاملة أجرة البريد : داخل مصر : ١٠٠ جنيه مصري - اتحاد بريد  
عربي : ٦٠ دولاراً أمريكياً - أوروبا والبريدينيا : ٧٠ دولاراً أمريكياً - أمريكا وكندا : ٨٠ دولاراً  
أمريكياً - باقي دول العالم : ١٠٠ دولار أمريكي .  
إدارة الاشتراكات : ٨ شارع سيويو للمصري - ص.ب. ٢٢ الباتروما - مدينة نصر  
هاتف : ٤٠٢٢٢٩٩ - فاكس : ٤٠٨٥٤٦ e-mail : wegat@algotob.com

### ضمن النسخة :

في مصر : ١٠ جنيهات مصرية - السعودية : ٢٠ ريالاً - الكويت : ١٠٥ دينار - الإمارات : ٢٠ درهماً -  
البحرين : ديناران - قطر : ١٠ ريالاً - عمان : ريالان - لبنان : ٥٠٠٠ ليرة - سوريا : ١٥٠ ليرة -  
الأردن : ديناران ونصف - ليبيا : ديناران - الجزائر : ٢٠٠ دينار - المغرب : ٢٠ درهماً - تونس : ٤ دينارين -  
العين : ٢٠٠ ريال - فلسطين : ٢ دولارات .  
Austria , France, Germany and Italy: EURO 6 - United Kingdom £3 - USA \$5.

طبع بمطابع الشرق بالقاهرة

السنة الرابعة

العدد الحادي والأربعون

يونيو ٢٠٠٢

رئيس التحرير  
سلامة أحمد سلامة  
رئيس التحرير الفني  
حسن التيموني  
مدير التحرير  
أيمن الصبيح

### محتويات العدد :

- ٣ كلمة .. «ما بعد الدماء» ..
- ٤ فرانسيس فوكوياما ..  
«نهاية التاريخ ليست نهاية التاريخ .. مرحلة ما بعد الإنسان» ..  
Our Posthuman Future: Consequences of the Biotechnology Revolution
- تأليف : فرانسيس فوكوياما
- ١٠ عزمي بشارة ..  
«ما جرى .. وما يجري .. وما العمل؟» ..
- ١٦ طارق البشري ..  
«فلسطين .. الأمان في العمق» ..
- ٢٠ إبراهيم عبد الكريم ..  
«كيف يقرأ الإسرائيليون الانتفاضة؟» .. وعي زلف واعتراقات متبورة ..
- ٢٢ محمود المراغي ..  
«أفعال الأنبياء أو المال الحرام» ..
- ٢٨ محمد الصمعاك ..  
«آمن بها ريجان وكارتر .. المسيحية الصهيونية في أمريكا» ..
- ٣٢ عبد العظيم أنيس ..  
«الحروب الصليبية : منظور إسلامي» ..  
The Crusades: Islamic Perspectives .. تأليف : كارول هيليناند
- ٣٥ طارق علي ..  
«كيف الجروح التاريخية لا يمكن أن تلتئم .. عودة إلى الحروب الصليبية» ..  
Warriors of God: Richard the Lionheart and Saladin in the Third Crusade
- تأليف : جيمس ريسنوت (الابن)
- ٣٦ جاك فلام ..  
«الغز الفئ التجريدي .. محاولة للفهم» ..  
Paths to the Absolute: Mondrian-Malevich-Kandinsky - Pollock-Neuman-and
- ٤٤ محمد حسنين هيكل ..  
«ثورة يوليوس .. خمسون عاماً .. رصاصات وحرب» ..
- ٦٠ شوقي ضيف ..  
«تأثير الثقافة العربية في الحضارة الغربية الحديثة» ..
- ٦٤ محمد عبد الرحمن يونس ..  
«الصامات في من ألف ليلة وليلة» ..
- ٧٠ عمرو كمال حمودة ..  
«مؤامرة الانقلاب الفاشل في فنزويلا» ..  
Cambio Politico Y Proceso Constituyente En Venezuela
- تأليف : روبرت فوشيانو باستور وروبن مارتينيز
- ٧٢ عمرو موسى ..
- ٧٦ قراءات جديدة ..
- ٨٠ رسائل ..
- ٨٢ سلامة أحمد سلامة ..  
«نون» .. التحالف غير المقدس بين الصهيونية واليمين المتطرف» ..

## كلمة..

### ما بعد الدماء..

إسرائيلي بعد العدوان، أي بعد أن يتقرب العرب لتنازل العدوان وسياسة القوة الإسرائيلية، ويصبح مجرد ذراعهم إلى هناك إذعاج الشرط الإسرائيلية التي ليس ألقاها استثناء عرفات. يرى عزمي بشارنة أن الأروية ليست الآن للمعركة الدبلوماسية بل للقائمة أولاً، والمعركة الشعبية تشن عالمياً وفي العالم العربي بلغة ديموقراطية مفهومة ضد مجرمي الحرب الإسرائيليين. هذه للمعركة كلفة بشر الزواج السياسي اللازم لاستقبال المعركة السياسية والدبلوماسية القائمة ضد نظام الإيزتاهاد.



في ضرورة القائمة يتفق المستشار طارق البشري مع الأكاديمي والسياسي عزمي بشارنة، مؤكداً ما تعرفه من أنه في مرحلة التصاعد للقياد بين طرفي الصراع، فإن من ينفذ أولاً يكون هو الهالك والمهزوم. ومنه من مرة في الصراع العربي الصهيوني الأمريكي يادرن فيها يقول إلقاء السلام أو دوائر علنية الدوائر. وميضاً إلى أن القبول بأن السلام خيار إستراتيجي، يقال أمام مستشار أسطواني تلك السلاح النووي، هو قول لا يفضي إلا إلى الاستسلام. ويستعرض البشري ما بدا أنه مفارقة كبيرة بين الاستجابات الشعبية للقوة الانتفاضة وواقعها. وبين الاستجابات الرسمية الحكومية بتردها وارتعاشها ولعنتها أولاً، وبعداً. ورغم أن الحكومة قالت الانتباه إلى أنه من الطبيعي أن يوجد دائماً قدر من التباين بين الموقف الرسمي الحكومي والموقف العملي للعلاقات وتبعات. وبين الموقف الشعبي الأمل فوراً والأمر استجابة. إلا أنه ينبغي أن يخطر لتساع هذا التباين عن درجة معينة، يصبح بعدها أكثر ما تحمله علاقات الاستقرار بين الجانبين.

يرى طارق البشري على المفهوم الحقيقي للامن القومي والذي لا تتباين حياله بالضرورة مصلحة الجماعة عن مصلحة الدولة، مثلاً بما يقع من التراجع على حقيقة أن الدولة التي تقع تحت تهديد المباشر لحد اختلال عسكري محتمل ينبغي أن تكون القدرة على رد ذلك التهديد من نفسها. يصبح القبول باستقلالها، محل نظراً



من زاوية أخرى يتناقض محمد السماك وعبدالعظيم أنيس ويلاقى في كيف لفتحت على مدى التاريخ الورق السياسي والديني والمغائذ. وكيف التفت الصراعات والفتنات وداشاً بظلالها، والقسمة على الصراع في الشرق الأوسط وفي حين يقدم «أنيس» وعلى رؤيته جينتين للحروب الصليبية، يكتب محمد السماك من المراكز الدينية للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط مستعيراً من العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل لعلاقة تقييد وبعم ومساندة. وليس صحيحاً أن إسرائيل تلعب دور الشرطي الأمريكي في الشرق الأوسط، وبالتالي فإن ذلك ليس صحيحاً أن المبالغة العربية في الجواب عن المصالح الاستراتيجية الأمريكية تأتي من هذا الشرطي أو نمطه.

الحقيقة، يقول السماك، أن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية تتجاوز حدود المصالح السياسية والاقتصادية والأمنية، وبالتالي فإنه مهما قدم العالم العربي/ الإسلامي من تنازلات وتضحيات للولايات المتحدة، ومهما أبدى من استعداد للتوافق معها وحتى التسير في ركابها، فإن ذلك لا يغير أبداً من الموقف الأمريكي للثبات من الموقف، ذلك لأن هذا الموقف يترجم في حد ذاته ثوابت إيمانية، تتحدى المصالح وتتجاوز الحسابات السياسية.



وأياً ما كان الرأي فيما ذهب إليه السماك ويؤيده فيه كثيرون، وفي القيمة النسبية للتأثير الذين هي للسياسة في أمريكا، فالثابت أنه لا يمكن تجاهل الأبعاد الدينية للصراع في الشرق الأوسط، وكفى بمعضلة القدس نموذجاً (الأقصى/ الهيكل/ البراق/ المبكى).

والثابت، ثانياً، أن جورج بيلور بوش قد قبل أيام «إيران التي يحكمها مستوطنون يعادون صديقنا إسرائيل». حسب نص تصريح الرئيس الأمريكي الذي ندد. في التصريح ذلك - بمحاولة طهوان الفضول على أسلحة نووية - رغم حقيقة أن إسرائيل هي الدولة النووية الوحيدة في المنطقة. وهي الوحيدة غير الخاضعة للفتن من الفكاكة الدولية للمطامعة الدورية في فيينا. والناشير. ثالثاً، أن رغم العداء في جنين. والمباريات في بيروت. والانتارات في شرم الشيخ، اقتدر حزب البلق (الأغلبية في إسرائيل) يرفض الدولة «غروب الآين»، لأن ما كان الشكل، وما هو ممكن للضمائم.

لم يستوفح الخبر واضطن كثيراً، ولكن المرافعة العربية على حياج أمريكا «مسؤول». ما زالت لألسف في الحصان الوحيد الذي تراه في العلية القائمة ضد سلمنا متوكفاً مسجولاً، بأن ٧٩ من أوراق اللعبة. هناك.

### وجهات نظر

ربما يكون مثقراً، ولكن مفهومها - أن تمنح الحكومة الإسرائيلية فجأة منصة في الإعلام الرسمي الإسرائيلي (الرأي والتقريرين) لمؤيدي الصهيونية كبار لانتفاشا - أو بالأحرى ليتصاروا - حول الإصلاح الديموقراطي. ليس فقط في للكن الخطأ، بل ربما أيضاً في الزمان غير المناسب.

هل نجح الإسرائيليون في فرض أجندتهم بعد أن سالت كثير من النداء... والكرامة؟ السؤال - على صحته ومراعاة - لابد من طرحه رغم الصخب والضجيج... والإلهاء. كما لابد من مقاومتها، رغم ما قد يبدو من صحة في مآله في جويرون قبل نصف قرن من أن العرب للثقلين أصلاً بقتاضاتهم الداخلية، ينقسم قصير. فهم قد يستطوعون تعبئة جهودهم لفترة زمنية محدودة، لكنهم إذا طال البرق تراحت تمهينهم، وبسفت حساساتهم، وأخذتهم شواغل أخرى غير تلك التي جمعت بينهم..

في العدد الماضي من وجهات نظر، قد مرارة فيما يخص «من حصار وأجتاح ومقاومة.. مؤكداً إلى أن شارون - بعض النظر عن مانشات الصحف العربية - لم يفعل أبداً أكثر من تنفيذ استراتيجيته المعلنة، وأنه - ويض النظر أيضاً عن كل الامنيات، والنفخ الإعلامي في وعده واثقته، والفرار الانتقائي لتصرعات البيت الأبيض - ماض في خطته، بلا كلل أو ملل أو أي جهد للإشقاء والمؤامرة.

في هذا العدد نتابع قراءة الحدث. فليكن عزمي بشارنة عن رؤيته «ماجري... وماجري... وما العمل» موحساً. مرة أخرى. هدف شارون السياسي من دعوته (يقال) هو ضرب مسكرات التطور في لجنة المفاوضات السياسية بحيث لا تشمل قضايا مثل القدس والأجيين والاستيطان. وإنما لتتحد. أو بالأحرى لتختزل. في المسائل المتفقة بديكار فلسطيني، مساحته، صلاحياته، علاقاته مع العرب ومع إسرائيل وبالطبع، وتقل كل شيء، «الزناات الأمنية»

وبين بشارنة كيف يحاول شارون من خلال رجال علاقات العامة بيزير وتفاهته، أن يعرض ماجري وجري بلغة مفهومه التريكة، لضرب البنى التحتية (يقال) ضرب مسكرات التطور في (الفاستات)، لاعتلال الألقاق (بال عقل جرائيم)، اعتقال وإعدام الأسرى والعطفين للمخاضين (يقال) من أجل مطوع حياً أو ميتاً). وكيف أن اللعبة الأساسية أمام جده العلاقات العامة الإسرائيلية تهدف إلى إختزال الموضوح الفلسطيني إلى مسألة إرهاب، وبشكل في حقيقة وجود حالة اسمها الاحتلال والاستيطان، والتي ترتبط بالضرورة بحالة من التمييز العنصري والإيزتاهاد، الذي يناقضه بالتالي مع حق تقرير المصير والانتخابات الحرة.



وبينه عزمي بشارنة إلى أننا لم ننتبه بعد إلى أن نظام الإيزتاهاد للزعم إقامته في فلسطين قد بات حلياً - رومياً - في خضم النقاش حول جرائم الحرب، التي ارتكبتها إسرائيل في جنين ونابلس ولتاء، إضماخ عرفات بأول يوم الأحد ١٦ أبريل أفرت الحكومة الإسرائيلية إقامة منطوق كلفة كثافة التواجد العسكري بظواهر فصل مادية وبمصرية ديموقراطية حادة على الأرض حول لندن الفلسطينية الغربية من الخط الأخضر، طوارم والقدس، تتمثل في عوازل أمنية يصل عرضها في بعض المناطق إلى خمسة كيلومترات، تحول عملاً لتجمعات الفلسطينية إلى معازل خلف أسلاك شائكة وجدران وأسوار، وتقوم بعملها مناطق (أ) التي كانت تحت مسؤولية السلطة الفلسطينية الأمنية إلى مناطق (ب) بمسؤولية إسرائيل، تفكدا إسرائيل التي شامت ومنع العجاجة.

سعيد شارون إلى أن استأجر خطته القديمة حول مرحلة انتقالية طويلة المدى، إن لم يكن حتى يموت آخر فلسطيني ٤٨، ليصبح لآل أسهل، كما يقول إيهود باراك، لعلى الأقل سيحتلها وأن الكائنات العنصرية تروسيها ويعل مطالبات الحياة اليهودية برفض لجنة مفاوضات جديدة لا تدور حول القدس أو للأجيين أو المستوطنات أو العود، بل حول شروط وظروف التعايش في ظل الطرف الانتقالي المرفوض. ويصبح مضموماً، ولو إلى حين، وأد كل الآمال والطموحات.



ملهاة المؤتمر الإقليمي للشرق، الذي وصفه مؤيدون أمريكيون كبار - «لأننا نعد لسهرة شرق أسيطة»، وضع له شارون شرطاً لا يعاملها في جاجاتها لا شروط بيزير لجنة التحقيق الدولية فيما جرى في جنين. والتي وصلت في حينه، وقبل أن ترفضها إسرائيل أصلاً، ونسب أحد الأمر مهمة. إلى حد اشتراط أن تصدر اللجنة تقريراً عن أعمالها!! شارون اشتراطاً للمؤتمر - أن لا يحضر عرفات، سواء إلقاء الفلسطينيين على رأس السلطة أو استنجدوا. وهو الأمر الذي يجرى التحريض له حالاً.. لا لا يحضر الفلسطينيون أو اللبانيون.. ولا تنضم بالخطوات الملتقة ٤٨ لا تكن مبادرة السلام العربية أساساً للمؤتمر. فضلاً عن استعداد ميدني لفرجات مدريد وقرارت أوسلو وغيرها مما تم الاتفاق أو حتى التوقيع على سابقاً.

لسنا إن - رغم طمخيات التهنية الإعلامية - بمصدق مفاوضات سلام بل محور عربي

# فوكوياما في كتاب جديد: نهاية التاريخ

على تقدم تكنولوجيا الجينات، سوف تكتب صفحة جديدة في تاريخ الحياة الإنسانية. قد تمكن الإنسان من تحديد جينات أطفاله، بكل ما يترتب على ذلك من مؤثرات اجتماعية ومشكلات أخلاقية شديدة إلى عوالم جديدة لم يطرأها الإنسان من قبل، وتفتح آفاق تحديات صعبة عن معنى الوجود الإنساني، وعن فكرة المساواة التي هي جوهر الإنسان والتعبير الصادق عن مكانة الإنسانية.

وفي هذا الإطار قدم فوكوياما عدداً من السيناريوهات التي تناقش مستقبل مرحلة ما بعد الإنسان، إلى المرحلة التي ستتمتع فيها التكنولوجيا الحيوية في قدرات الإنسان وخصلاته ومدى مساهمته وسعادته. وما يمكن أن يترتب على ذلك من سرعات اجتماعية وسياسية إذا أساء الإنسان استخدام هذه الإمكانيات العلمية الجديدة، وجعلها مقتصرة على فئة في المجتمع دون أخرى.

وفي كل الأحوال يظل هناك سؤال بدون جواب، وهو: هل يتسارع العلم في سعيه الدائب إلى اكتشاف الجديد، في تدمير الإنسانية كما عرفناها أم إلى فتح آفاق جديدة أمام سعادة الإنسان؟

المحور

تغير الطبيعة البشرية، وترتق بالإنسان إلى ما بعد الإنساني؟

وللتخيل مستقبلاً تتحقق فيه هذه الصورة لعالم جديد مختلف أمام القارئ: مجموعة من الأشخاص الذين تجاوزت أعمارهم مائة عام، يعيشون داخل مستوطنة أو مستعمرة تضم جماعة من الناس، تم تعديل وعلاج جيناتهم أو خصلاتهم الجينية. النساء فيهم يشبهن عرائس الباربي والرجال أقوياء مغلولي العضلات. تتضح وجوههم بالوسامة والصحة. لا يعانون أمراض الشيخوخة. معاهم مهتس ورثاها ومزجوج بعقار البروزاك (الذي يزعج من الإنسان رغباته وموحياته). بينما أطفالهم في الأربعينات أو الستينيات من العمر، يتجرون المعرفة عن طريق عقار الريثالين. وخارج الأسوار العالية التي تحميهم من تطفل الطفيلين، تعيش جماعات أخرى من الناس المسنين، الأصغر عمراً، والأسوأ حظاً، الملغولون بأمراض لا يبرء منها، والمهمسون من مزاييا العلاج الجيني. هذه هي صورة المجتمع التي يتخيل فوكوياما أن ثورة التكنولوجيا الحيوية قد تؤدي إليها.

هذه التطورات التي تقلق كثيراً من العلماء والبيولوجيين بشأن النتائج المترتبة

حركة التقدم العلمي والإنساني لا يمكن تسخيرها، من ثم فلا بد أن يتجنى عنها تأثيرات اجتماعية وسياسية لم تخطر ببال فوكوياما ونظريته، إلا أن رؤيته التاريخية وجدت صدقاً عند كثير من السياسيين. واعتبرها خافيير سولانا المفوض العام للشئون السياسية والأمنية في الاتحاد الأوروبي، على سبيل المثال. انعكاساً للوضع العالمي الراهن الذي نعيش فيه. تحت سيطرة نظام سياسي واحد وقوة عالمية مهيمنة واحدة.



يعد فوكوياما في كتابه الجديد وقد تراجع عن كثير من أطروحاته ليطرح أسئلة مثيرة بالغة الأهمية، تتعلق بمستقبل الإنسان والإنسانية: هل «الإنسان العالق» Homo SaPens هو الحلقة الأخيرة في سلسلة التطور التي شهدتها عميلة الانتخاب الطبيعي عبر أمد زمنية طويلة، أم أنها تقف على عتاق طوفان بيولوجية تقودها الهندسة الوراثية بعد أن أمكن التوصل إلى أسرار الجينوم البشري. وأصبح يوسع التكنولوجيا الحيوية أن

فقر اسم فرانسيس فوكوياما إلى الشهرة، حين لفت الأنظار في عام ١٩٩٧ بكتابه المشهور «نهاية التاريخ»، وفيه روج لفكرة ودأها أن العالم بعد سقوط حائط برلين قد انتهى إلى أفضل عالم ممكن في تاريخ الإنسانية. عالم انتصر فيه نظام الرأسمالية القائمة على الديمقراطية الليبرالية في مواجهة الشيوعية. ومن ثم فإن التقدم السياسي قد وصل إلى نهايته، وبلغ فيه التطور التاريخي مثاقه. وبعدها وبعام واحد. في ١٩٩٢، ظهر أستاذ العلوم السياسية في هارفارد صامويل هنتجتون بكتابه الذي تضمن نظريته عن «صراع الحضارات» بدلاً من نهاية التاريخ. وبينما لقيت نظرية هنتجتون اهتماماً واسعاً وتعرضت لمناقشات مستفيضة، ازدادت حدتها بعد أحداث سبتمبر الأخيرة الهوجوم الذي تعرضت له واشنطن ونيويورك، واجهت نظرية فوكوياما عن «نهاية التاريخ» نقداً لاذعاً. وقبل أن مار جريت تاشير عندما سمعت عن نظرية فوكوياما، كان رد فعلها بالغ السخري حين قالت: «نهاية التاريخ أم بداية الكلام الفارغ؟»

برغم التحفظات الشديدة التي لقيتها نظرية نهاية التاريخ، وفي خدمتها

يخص صناعة الأسلحة أو توليد في إشيء موجودة الآن بالأسعار المنخفضة، ولكن هذه الثورة بدأت بالفعل، ويبدو هذا السيل البومى الجارف من التقدم في التكنولوجيا الطبية الحيوية وإنجازاته مثل اكتمال مشروع الجينوم البشري بالخيز من التفسيرات الخطيرة التي توشك أن تحدث.

ولما يتعلق بالكاويين التي أتارها هذان التقنيان، بدا لي «عالم جديد رائع» أكثر غموضاً وتحدياً، حيث لا يظهر الشر فيه شديد الوضوح فيه عالم يخال فيه كل إنسان ما يريد، القوة فيه لا تصدى، ولابد من اقواء الناس بدلاً من إكراههم على المعيش في مجتمع مفيد بنظام معين. وقد فُضي في هذا العالم كله المرض والصراع الاجتماعي، ولا وجود فيه للاعتقاد أو الجنون أو الشغور بالوحدة والبؤس الصافى، كما أن الجنس مفيد ومتاح في أي وقت، ولم يعد هناك من يخذد الناس مأخذ الجن، كما لم يخف فيه الأثرة البيولوجية ولم يعد هناك من يقرأ شمسير أو يفتقد ذلك الأشياء، مادام الجميع سعداء وأصحاء.

ستبدو قبل ذلك وكأنها من قصص الخيال العلمي، انهيار الاتحاد السوفيتي وإمبراطوريته، واختفى ذلك الخطر الشمولي الذي كان أرويل قد أثاره في كتابه. وسرة أخرى سار الأرشا لبيان أن هذين العدلين - انهيار الإمبراطوريات الشمولية ونهزم الكمبيوتر والشخصي، وغير ذلك من تكنولوجيا المعلومات غير المكلفة، من أجهزة التلفزيون والراديو إلى الفاكس والبريد الإلكتروني - لم يكونا معبيين، فقد اعتمد الحكم الشمولي على قدرة الأنظمة على احتكار المعلومات، وما إن جعلت تكنولوجيا المعلومات الحديثة ذلك مستحيل حتى فُضي على سلطة النظام الحاكم.



وأما كتاب «عالم جديد رائع» - فقد لفت أن كثير من التكنولوجيا التي تصورها هكسلي، مثل إخصاب الأنابيب، والأوسمة الجدية، وما إلى ذلك التي لها تأثير مثير على الإدراك والسلوك، والهندسة الوراثية فيما

إرسال الصور واستقبالها من كل أسرة إلى الأغ الأكبر مما جعل الحياة الاجتماعية مركزية إلى حد كبير في ظل وزارة المصق ووزارة الحب، وسيمح كل حكمة بالخاصة الشخصية ومراقبة كل فعله وفعل غير شبكة ضخمة من الأسلاك. وعلى العكس من ذلك كان كتاب «عالم جديد رائع» يدور حول ثورة تكنولوجيا كمبرسة أخرى توشك أن تقع، وهي ثورة التكنولوجيا الحيوية. إنها تخليق البشر لورث الأرحام، وإمّا في الأنابيب كما تقول لانس، والعقاقير التي توفر سعادة قلبية للناس؛ وتحفيز الإحساس عن طريق الأنابيب الكهربية المزروعة؛ وتعديل السلوك من خلال التكرار خارج حيز الإدراك، أو إعطاء جرعات من الهرمونات الاصطناعية.

وحيث يصلحنا نصف قرن على الأقل عن نشر هذين الكاويين، فإننا نرى أنه بينما كانت توقعاتها التكنولوجيا دقيقة بصورة مذهلة، فإن توقعات ١٩٨١ «العالمية كانت خاطئة كل الخطأ».

في خمس سنوات فقط من عام ١٩٨١، وفي سلسلة من الأحداث الدرامية التي كانت

كتباين حداً المستحيل واحتمالاته الخفيفة في القرن العشرين، هما كتاب جورج أوريل (١٩٨١، «المشروع عام ١٩٩٩») وكتاب الدوس مكسلي «عالم جديد رائع» المخطو في عام ١٩٩٢.

أهتوى الكتابان على قدر من البصيرة أكثر مما كان يدركه أي شخص في ذلك الوقت، لأنها تركتاً حول تكنولوجيايتين مختلفتين كان «قدراً» لهما القهقر والشكل في الجيلين التاليين. كتاب «١٩٨١» يدور حول ما نسميه الآن تكنولوجيا المعلومات، حيث كان أهم شيء وراء نجاح المعلنة مشرومية الأطراف. جهاز يسمى تليسميرين (الشاشة التي تفلق الصور عن بعد)، وهي شاشة مصممة بحجم الحائط يمكنها في وقت واحد

Our Posthuman Future: Consequences of the Biotechnology Revolution

مستقبلاً ما بعد البشرى  
عواقب ثورة التكنولوجيا الحيوية  
Francis Fukuyama  
Profile, 2002.

# ليست نهاية التاريخ

## مرحلة

## ما بعد الإنسان

ويبدو من هذا أن عكسلي كان محطاً، وبأن أبرز تهديد تطلعه التكنولوجيا الحيوية هو احتمال أن تتغير الطبيعة البشرية، وبالتالي تنقلنا إلى مرحلة «ما بعد الإنسان» التاريخية. وهذا مهم لأن الطبيعة البشرية موجودة، وهي مفهوم له دلالة، وكانت بمثابة استمرار مستقر لتجاربنا كجنس من الأجسام، وهي كذلك تُحدّد، بالاشتراك مع الدين، الذي هو أكثر قيمنا أهمية. وتشكّل الطبيعة البشرية كل أشكال الأنظمة السياسية المختلفة وتغييرها، ولذلك فإن أية تكنولوجيا لديها من القوة ما يكفي لإعادة تشكيل ما نحن عليه ستكون لها عواقب ربما كانت خبيثة فيما يخص الديمقراطية الليبرالية وطبيعة السياسة ذاتها. وأحد أسباب عدم كوني شديد التفاؤل هو أن التكنولوجيا البيولوجية، على عكس الكثير غيرها من أشكال التقدم العلمي، تزدج الفوائد العجيبة بالأضرار الشقية في حزمة واحدة متماسكة تمام التماسك.

قد تكون هناك منتجات للتكنولوجيا الحيوية التي ستكون كذلك واضحة فيما يتعلق بالإضرار التي تلحقها للبشرية - مثل الجرائم المأفوفة، أو الفيروسات الجديدة، أو الأفعنة المعدلة وراثياً التي لها ردود أفعال سامة. وكما هو الحال بالنسبة للأسلحة النووية أو تكنولوجيا النانو، فإن التعامل مع هذه الأشياء أسهل ما يكون. لأننا ما إن نحدد خطورتها حتى يمكننا التعامل معها على أنها خطر واضح وصريح.



إن هناك سيناريوهات ثلاثة، يعد احتمال وقوعها أمراً وارداً على مدار جيل أو جيلين:

يتصل السيناريو الأول بالعقاقير. فالتجربة التقدم الذي شهده علم العقاقير العصبي، اكتشف علماء النفس أن الشخصية البشرية أكثر مرونة مما كانوا يعتقدون من قبل، والحداد أن العقاقير التي لها تأثير مخبر على الإدراك والسلوك، مثل بروزاك وريبتاين، يمكن أن تؤثر على سمات كالاعتقاد بالنفس والقدرة على التركيز، ولكنها تميل إلى إحداث قدر كبير من الآثار الجانبية غير المرغوب فيها، ومن ثم يتم تجنبها إلا في حالات الضرورة العلاجية الشديدة. ولكن في المستقبل، سوف تسمح معرفة الجينوميا لشركات الأدوية بتفصيل العقاقير بشكل شديد التحديد حسب التركيبات الوراثية الخاصة بكل مريض على حدة، مما يقلل إلى حد كبير الآثار الجانبية غير المرغوبة. وسوف يتدفق متبلدو المشاعر حيوية نشاطاً؛ ويصبح الانطوائيون منفتحين على الناس؛ ويمكن أن تتسبب لنفسك شخصية يوم الأربعاء

فرانسيس فوكوياما



أحمد التليد

وأخرى في عطلة نهاية الأسبوع. فلم يعد هناك عذر لأي إنسان كي يكتسب أو يحد من إن من هم سعداء، «في العادة» يمكنهم إسعاد أنفسهم أكثر وأكثر دون أن يشغلوا بهم بالإيمان، أو ياضار المخ طويلة المدى.



وفي السيناريو الثاني، يسمح التقدم الذي شهدته أبحاث الخلايا الأصلية للعلماء بأن يولدوا بالفعل أي نسيج في الجسم، مما يجعل متوسط العمر يقدّر إلى ما فوق المائة عام. فإن كنت بحاجة إلى قلب أو كبد جديد، فإنك تزرعه داخل التسجيف الصدرى الخاص بأحد المختبرين أو إحدى البقرات؛ كما أنه لا يمكن إصلاح الأضرار التي تلحق بالدمج من جراء الإصابة بمرض الزهايمر والسكتة الدماغية. والمشكلة الوحيدة هي أن هناك الكثير من الجوانب الخاصة فيما يتعلق بالشيخوخة، حتى أن صناعة القيامة الحيوية لم تتوصل بعد بصورة كاملة إلى طريقة إصلاحها. فالناس يفقدون مرونتهم الذهنية ويزدادون تشدداً في أرائهم كلما تقدموا في العمر، ومهما كان مقدار شعيم، فإنه لا يمكنهم جعل أنفسهم جذابين من الناحية الجنسية. بعضهم البعض، فيظنون ثوابين إلى شركاء في سن الإنجاب، وأساساً ما في الأمر أنهم يرغبون التحدث عن مواقعهم تاركين الفرصة لإنبتهم وأحفادهم وأحفاد إنبتهم. ومن ناحية أخرى فقد لا يبقى غير عدد قليل من يكون القدرة على الإنجاب التقليدي بحيث يبدو وكأن الأمر لا يهم أحدًا.



وفي السيناريو الثالث، سوف يخص الأثرية الأجنة قبل زرعها لكي يحصلوا على أبناء أقرب ما يكونون إلى الكامل. ويمكنك إلى حد كبير تحديد الناحية الخلوية الأصلية لأي شاب أو شابة من خلال مظهره وتكاثره؛ وإذا لم يكن شخص ما عند حسن ظن مجتمعه به، يمكن الوثاقعة على الاختبارات الوراثية من جانب والديه، بدلاً من أن يقوم نفسه. وتقل الجينات البشرية إلى الجوانب، بل إلى النشبات. بغرض البحث وإنتاج منتجات طبية جديدة: كما تُصاف الجينات الجينية إلى بعض الأجنة زيادة تحملها الجسماني ومقاومتها للمرض، ولايجوز العلماء على إنتاج كائن خرافي نصف إنسان ونصفها الآخر فرد. رغم أن الشباب قد لا يشاءون قد يخدمهم الشك في أن زلماهم على الضمير لأنهم قدرة هم في حقيقة الأمر ليسوا بشراً بلهم النكامل من الناحية الجينية. لأنه ليسوا كذلك في الواقع. وقد كتب توماس هيجسون قريب انتباه حياته: «لقد أوضع الانتشار العام لنور العلم للجميع الحقيقة المأساوية، وهي أن السواد الأعظم من البشر لم يولدوا وعلى ظهورهم سروج. كما أنه لم تولد لهم في أقدامها أحذية ملاهياز وإدبها الاستعداد لبريقهم طرية مشروعة، وتوقع المساواة السياسية المحفوظة في إعلان الاستقلال على الحقيقة التجريبية الخاصة بالمساواة الإنسانية الطبيعية. ومع



مع أننا متشاكوتون تفاوتاً كبيراً كأفراد وتبعاً لثقافتنا، إلا أننا نشارك في الإنسانية التي تتيج لكل كائن بشري الاتصال بقوة لكل كائن بشري سواه على هذا الكوكب والدخول معه في علاقة أخلاقية. والأسؤال المطلق الذي تثيره التكنولوجيا الحيوية هو: ماذا سيحدث للحقوق السياسية لو أننا استبقنا بعض الناس ممن على ظهورهم سروج، وآخرين ممن في أقدامهم أحذية ذات ملاهياز؟



أننا متشاكوتون تفاوتاً كبيراً كأفراد وتبعاً لثقافتنا، إلا أننا نشارك في الإنسانية التي تتيج لكل كائن بشري الاتصال بقوة لكل كائن بشري سواه على هذا الكوكب والدخول معه في علاقة أخلاقية. والأسؤال المطلق الذي تثيره التكنولوجيا الحيوية هو: ماذا سيحدث للحقوق السياسية لو أننا استبقنا بعض الناس ممن على ظهورهم سروج، وآخرين ممن في أقدامهم أحذية ذات ملاهياز؟



إلى أين ستولدوا مثل هذه الناحية التي تغير الحالة المزاجية مثل بوزاك وريتاني؟ الاعتداء بالنفس مفهوم سيكولوجي عسرى، وهو شيء ما يقال للأمريكيين دوماً. إنهم بحاجة إلى المزيد منه، إلا أنه يشير إلى جانب مهم من جوانب الطبيعة البشرية، وهو الرغبة التي لدى الناس جيهاً في التغيير. والكتابات البشرية، بما فيها من ذاكرة وتعلم وقدرة ضمنية على التفكير الجردى، قادرة على توجيه جهودها من أجل التغيير إلى الابتكولوجيات، والمعتقدات الدينية، والمخاض الجامعية، وجوازات توليد، وعسدين من أشكال التفكير الأخرى. إلا أن المهم من أن الرغبة في التغيير لها أساس بيولوجى. أو هذا الأسس يربط بمستويات مادة السيروتونين في الدم.

ولهذا السبب يبدو عفار مثل بوزاك ذا أهمية كبيرة من الناحية السياسية. ويقول هيجل أن العملية التاريخية البشرية برمتها

كانت يدافع من سلسلة من الكفاح المتكرر من ذلك. الفخسيفر، وسحق بعض الحق في ذلك. فالحقيقة أن كل التقدم البشرى كان منتجاً فرعياً لحقيقة أن الناس لم يكونوا راضين قط بما يحفون به من تقدير: ومن خلال الكفاح والعمل وحده استطاع الناس تحقيق ذلك التقدم. وبعبارة أخرى، كان لا بد من اكتساب المكانة، وتنمashi مع ذلك الآن صناعة الأدوية الأمريكية. التي تقدم الاعتماد بالذات في زجاجة برقع معدل السيروتونين في الدم عن طريق عقاقير مثل زولوفت وبزوكا.

ولا شك أن هناك الملايين من المكتسبين إكلينيكي في أنحاء العالم الذين تقل مشاعرهم القابعة بغية الذات كثيراً ما يدعى أن تكون عليه. ومن أجل هؤلاء، يعد بوزاك، وما إلى شاكلته من عقاقير، تجدة من السماء. إلا أن مستويات السيروتونين المنخفضة لاكتشف عن حالة مرضية وأضحة المعالم، ويقع وجود بوزاك الطريق أمام الوصف الشهير الذي يرضع بيزر كرامر. «أولف كتاب «الاستماع إلى بوزاك»، لعلم العقاقير التجسيلي، إلى تناول غلام من العقاقير ليس من أجل قيمته العلاجية، بل من أجله أن يجعل المرء يشعر أنه «أفضل». وإذا كان الإنسان بالاعتداء بالنفس على هذا قدر من الأهمية بالنسبة للعلاقة البشرية، فمن الذي لا يرغب في المزيد منه؟ وإذا بدأ أن بوزاك ضرب من حبة مرصعة، فقد ظهر ريتاني ليقيم يدو أدلة صريحة، للضغط الاجتماعي. وهو يستخدم الآن لمعالجة متلازمة تعرف باسم اضطراب نقص الانتباه الحطوط (ADHD)، وهو عرض أشيع ربطه

بالصحية الصغار الذين يجدون مشكلة في الانتباه داخل قاعات الدرس. وريتاني منبه للجهاز العصبي المركزى المرتبط كيميائياً بالمواد الموجهة مثل البينا أمفيتامين والكوكايين. وأثاره الفارمايولوجية تشبه إلى حد كبير آثار العقارين السابقين، حيث إنه يزيد مدى الانتباه، ويخلق إحساساً بالنشوة والابتهاج، ويوجد مستويات قصيرة المدى من الطاقة، ويسمح بقد أكبر من التركيز. وإذا أفرط في تناول الريتاني كانته له آثار جانبية مشابهة لتلك الناتجة من الميتا أمفيتامين والكوكايين، بما في ذلك الأرق ونقصان الوزن. وهذا هو السبب في أن الأطباء الذين يصفون ريتاني للأطفال يوصون بأن تكون هناك «إجازة» من العقار، بشكل دورى. وهناك تماثل مزيج بين بوزاك وريتاني، فالأول يوصف بكثرة للنساء المكتسبات اللشى يفتقرن إلى الاعتماد بالنفس، فهو يعطيهن المزيد من الإحساس بالذات الأول الذي يحدث في وجود مستويات مرتفعة من السيروتونين. بينما يوصف ريتاني للصبية الذين لا يريدون أن يجلسوا لاعتقبت في قاعات الدرس لأن الطبيعة لم تصنعهم بحيث يتصرفون على هذا النحو. والجسناً مناً يُدعاهن برفق نحو تلك الشخصية الوسيطة الخشبي، الراضية بنفسها والمطبعة اجتماعياً، التي هي النتيجة الصحية سياسياً القاضية حالياً في المجتمع الأمريكى.

وليس بوزاك وريتاني سوى الجيل الأول من العقاقير التي لها تأثير شخّير على الإدراك والسلوك. فلى المستقبل، سيكون بالفعل تحقيق كل ما يتصور الخيال الشعبي أن الهندسة الوراثية تتخلقه بشكل أسرع من خلال علم العقاقير العصبي. وربما تستخدم فئة من العقاقير تعرف باسم benzodiazepines (مجموعة من المركبات الكيميائية التي تستخدم كمضادات للاكتئاب ومهدئات ومنومات وانسترخاء العضلات)، لنقص من الغلق والاضاعة في إحسانة على العقلة البرقية ولكنها نشطة، وإحداث النوم في فترة العصر، دون أن تكون هناك آثار جانبية للتهدئة. وقد تستخدم مضفات استيبل الكولين، لتحسين القدرة على معرفة حقائق جديدة، والاحتفاظ بالذاكرة، وتحسين القدرة على استخراج الوقائع. وقد تستخدم مضفات جهاز الهويامين لزيادة قدرة التحكم في التفكير. وأخيراً، لا بد من فكرة استخدام العقاقير في الجهاز الهضمي الباطني لتقليل الإحساس بالألم وزيادة الشهية. ولدى مضطربين للاكتئاب حتى وصول الهندسة الوراثية البشرية إلى تنصير زماً تستطيع أفسه زيادة الذكاء والذكورة، والصحية واستيبل الكولين، والقدرة الجنسية، وكذلك بطرق الجيل العداوية، ويتحكم في أسلوب بطرق كاشرة أخرى. فقد تخدم هذه المسألة فعلاً بالجيل الحالى من العقاقير التي لها تأثير شخّير على الإدراك والسلوك، وسوف تبرز أكثر وأكثر مع تلك التي استنصره عما قريب.



ماذا يحدث حين يمتد العمر بالإنسان حتى ١٠٠ سنة؟  
تُعرّض الطب العظم لفرصة أن كل ما بهزم المرء ويظيل العصر هو شيء مفيد بلا شك.

المد الحادى والأربعون، يونيو ٢٠٠٢م



صغيرة وإنه أقل نكاح من هؤلاء الذين يقيمون في شمال أوروبا، ذلك بناء على بعض التجارب العلمية الصحيحة. ولا ينبغي أن نهتمنا كذلك كون النسخ الأخلاقي لا ينير نهائياً؛ تماماً في الغرب في أعقاب القضاء على الإجماع على القيم الدينية التقليدية، ذلك أن النسخ الأخلاقي ينبع من داخل الطبيعة البشرية نفسها، وليس شيئاً فرضه على الطبيعة البشرية بالثقافة.



هذا كله قد يشجع نتيجة للتكنولوجيا الحيوية، وأوضح خطر مسائل الآن هو أن الاختلافات الوراثية الكبيرة بين الأفراد سوف تصبح صفة داخل جماعات اجتماعية مميزة، واليوم، يضمن «الانصباب الوراثي» أن ابن الأب الذي أو الناجح من يرث بالضرورة الوصف والصفات التي خلقت الظروف التي أدت إلى نجاح الأب. وبطبيعة الحال، كان هناك دائماً قدر من الانتقاء الوراثي؛ فالناجحون يميلون إلى الزواج من بعضهم، إلى درجة أن نجاحهم القاطم على أسس وراثية سوف ينقل إلى أبنائهم فرصاً أفضل في الحياة. ولكن في المستقبل سوف يوضع كل ثقل التكنولوجيا الحديثة في خدمة تحسين أنواع الحيوانات التي تنقل إلى ذرية أخرى. ويعني هذا أن النسخ الاجتماعية قد لا تنقل الميزات الاجتماعية وحسب بل نفسها وراثياً كذلك. وقد لا يشمل هذا الصفات كالذكاء والجمال وحسب، بل كذلك السمات السلوكية مثل الخائبة والمخافة وما شابهها.

ويرى كثير من الناصب الوراثي غير عادل، لأنه يمكن على بعض الناس بأن يكونوا أكثر ذكاء، أو أسوأ مظهرًا، أو يعانون من شكل أو آخر من أشكال العقلة. إلا أنه من ناحية أخرى شديد المخاطرة، حيث يجب على كل إنسان أن يشارك فيه. بعض النظم من طبقة الاجتماعية أو عصره أو الجماعة العرقية التي ينتمي إليها، فيمكن أن يكون له الضيق رجل ابن لا يصلح محل. وعندما لا تختار اختيار محل الناصب فإننا نختار شيئاً جيداً يجب أن يكون أن تنافس فيه الكفالت البشرية، وهو سبيل يهدد بزيادة التباين بين فئة الترتيب الاجتماعي والعدالة.

إن ما سيوقعه الطبقة العليا الوراثية لفكرة الاختار الاجتماعية الطبيعية أو يستحق التأمل. فالنوم يعتقد الكثيرون من الشباب الكاثوليك والناجحون أنهم يديون نجاحهم لمصداقية الوالدين وتحتلهم، لنرى لو ما كان من المحتمل أن تأخذ حياتهم مساراً مختلفاً تماماً، وهم بعبارة أخرى، يشعرون أنهم مخلوقون، كما أنهم قادرون على الشعور بالتعاظم من هؤلاء الأقل حظاً منهم.

ولكن إذا أصبحوا «أبناء بالاختيار» أي أن أباهم قد اختارهم بوصفهم مواهباً وراثية معينة، يستحقون قد يعتقدون بقوة أن نجاحهم ليس مسألة حظ وإنما نتيجة لاختيار صحيح. يستحقون جيد من جانب أبائهم، ومن ثم فيهم يستحقون. وبطبيعة الحال، فإنهم يفتقرون بطريقة خفية من هؤلاء الذين لم يخترهم أبائهم بالطريقة التي اختارهم بها، وربما وصل بهم الحال في وقت من

**بين أي أكثر من التقدم الطبي إلى تحسين حياة كبار السن، فقد كان للتكرير منه أثر عكسي جانباً واحداً من جوانب الحياة وزيادة التبعية. فرض الزهايمر - وفيه تبلى أجزاء بعينها من المخ، مما يؤدي إلى فقدان الذاكرة ثم الخيل في نهاية الأمر - مثال جيد لذلك، لأن احتمال الإصابة به يزداد مع تقدم العمر. ففي الخامسة والستين، يستل إصابة شخص واحد فقط بعرض الزهايمر؛ وفي الخامسة والثمانين تكون النسبة واحداً من بين كل ستة. وعليه فإن الزيادة السريعة في عدد من يعانون من مرض الزهايمر في الدول المتقدمة نتيجة مباشرة لزيادة متوسط العمر، حيث زادت صحة البشر بزيادة طاقته هذا المرض العصبي. والواقع أن هناك فترتين من كسر السن الطائفة للتكنولوجيا الطبية، على الأقل بالصفة من هم في العالم المتقدم. وتمتد الفترة الأولى من ٦٥ حتى الثمانينيات في بعض الأحيان، حيث يتوقع الناس أن يحيا حياة تنتم بالعافية والنشاط، مع وجود الموارد الكافية لتمتع بها. وكثير من الكلام الطبي عن إطالة العمر يتشكك بهذه الفترة، والواقع أن ظهور هذه المرحلة الجديدة من الحياة، بدأها أولاً وأخيراً بالصفة لعظم الناس، بعد إنجازاً يفر به العلم الحديث.**

**والمرحلة الثانية من العمر المتقدم، وهي الفترة الثانية، أكثر إشكالية بكثير. ففي الفترة التي يملها معظم الناس حالياً بيلوهم الصانين، حيث تتداعى قرائنهم ويعدون إلى داء كبير إلى حالة من التبعية أشبه بالطفولة. وكذا في الفترة التي لا يجب المجتمع الكثير فيها، حيث تتناقص من شأن الاستقلال الشخصي الذي يعتز به معظم الناس.**

**وسوف يعتمد الأمر على الاجتماعي زيادة متوسط العمر المستمرة على أساس نسبة من هاتين المجموعتين، وهو ما سيتم بدوره على «توازن» ما يحدث في المستقبل من تقدم في إطالة العمر. وقد يكون أفضل سبيل هو ذلك الذي تركز فيه التكنولوجيا في الوقت ذاته على علاج الشيخوخة الوراثية - كان يكون بالاشتراك المتصور الجيني الشائع للشيخوخة في الخلايا الجسدية، وتأخير هذه العملية في أنصاف الجسم، وفشل الأعضاء المختلفة في القيام بوظائفها. سوف يحدد في وقت لاحق، ولكن مساحراً، وهناك كثير من يتوقعون إلى الفترة الأولى، أما في يتصورون إلى الفترة الثانية أقل منهم.**

**دفع الشهور العلي صاحب للتقدم في العمر. جزء تسفر أصاحات الخلية الأصلية عن طرق لزوج أجزاء جديدة من الجسم. ولكن ما لم يكن هناك علاج موزا لمرض الزهايمر، فمن تؤدي هذه التكنولوجيا الجديدة المدفوعة سوى إلى السماح مزيد من الناس بالبقاء في حالات إعاقة لسنوات أطول مما هو ممكن في الوقت الراهن.**

**فإذا حدث انفجار في عدد من يتصورون إلى الفترة الثانية فقد يطلق عليه «سبيلز» التريض الثاني القوي» حيث يعيش الناس حتى سن الثمانين والخمسين، ولكنهم يقضون الخمسين سنة الأخيرة في حالة من الإعاقة الطويلة على من يتولون رعايتهم.**

**وهناك العديد من الأساليب التي لا جواب لها بشأن ما ستكون عليه الحياة التي من هذا النوع في المستقبل، حيث لم يشهد التاريخ البشرية قط مجتمعات متوسط أعمارها ما بين الستين والسبعين، أو أكثر. فمما عساهما ستكون صورة ذلك المجتمع عن نفسه؟ إنك إذا ذهبت إلى حامل صنف تقليدي بأحد المزارات ونظرت إلى الناس المشورة صومع على أغفة الجلات لوجت أن أعمارهم قد تكون ما في أوائل العشرينات، فهم الأغلبية العظمى ذات المظهر الجيد التي تتمتع بصحة جيدة. وبالنسبة لمعظم المجتمعات التاريخية، فإن تلك الأغلبية ستكون متفكس متفكس صنف تقليدي بأحد المزارات وأن لم تعكس مظهر أو صحتهم. فمما عساهما تكون هي أغلبية المجلات بعد جيلين آخرين، حين يكون من هم في أوائل العشرين من أعمارهم معزولة ضيقة من السكان؟ هل ستقلل لدى المجتمع الرغبة في أن يظل**

نفسه صغيراً، ومتحرراً، وجذاباً، ومعافى، مع الصورة تتنقل من الواقع الذي يراه الناس حولهم إلى برجة أكثر تطرفاً مما هو عليه الحال الآن؟ أم أن الأنواع والعادات سوف تتغير، مع انهيار ثقافة الشباب بشكل نهائي؟

#### الاختيار غير الطبيعي

**الإصرار على فكرة المساواة في مكانة الإنسان لها أسباب معقدة، فمن ناحية هناك قوة العادة، أو ما أسماه مكس ليفر في يوم من الأيام «شيخ المعتقدات الدينية الجيدة» التي مازالت تتناقلها، ومن ناحية أخرى هناك نتائج السمية التاريخية؛ وكانت التلازمة أهم حركة سياسية تنكر صراحة لفرضية المكانة الإنسانية العامة، وكانت النتائج المرعبة الخاصة بسياسات التازين العنصرية ومحاوالت تحسين النسل، كإفافية لإقناع هؤلاء الذين عرفوا طوال الجيلين السابقين.**

**ولكن هناك سبباً مهماً آخر للإصرار على فكرة عالية المكانة الإنسانية يتعلّق بما قد نسميه طابع الطبيعة ذاتها. فقد ثبت أن الكثير من الأسس التي خربت بناء عليها جماعات بعينها من نصيبها في المكانة الإنسانية أنها مجرد مسألة أحكام مسبقة. أو تعاند على ظروف ثقافية وبيئية يمكن تغييرها.**

**وقد ثبت عدم صحة الأفكار التي تقول إن المرأة على قدر كبير من الاعتلافة أو العاطفة بحيث لا يفضيها المشاركة في السياسة، أو أن أحجام رؤوس المهاجرين من جنوب أوروبا**

والخوف من الموت أحد أعرق المشاعر الإنسانية وأقدمها، ولذلك فمن المفهوم أنه ينبغي علينا الاحتفاء بأي تقدم في التكنولوجيا الطبية تساعد على إبعاد شيخ الموت. ولكن الناس يشعرون بالقلق بشأن نوعية الحياة التي يصبونها كذلك. وليس فقط مقاديرها، ومن الناحية المثالية، فإن المرء قد لا يحب أن يعيش زمناً أطول وحسب، بل كذلك لا انتعاش قرائنه المختلفة من العمل حتى ذلك الحين الذي تشركه فيه الوفاة في نهاية الأمر، كي لا يعيش فترة من الضعف والوهن في آخر حياته.

**ويشأ أي الكثير من التقدم الطبي إلى تحسين حياة كبار السن، فقد كان للتكرير منه أثر عكسي جانباً واحداً من جوانب الحياة وزيادة التبعية. فرض الزهايمر - وفيه تبلى أجزاء بعينها من المخ، مما يؤدي إلى فقدان الذاكرة ثم الخيل في نهاية الأمر - مثال جيد لذلك، لأن احتمال الإصابة به يزداد مع تقدم العمر. ففي الخامسة والستين، يستل إصابة شخص واحد فقط بعرض الزهايمر؛ وفي الخامسة والثمانين تكون النسبة واحداً من بين كل ستة. وعليه فإن الزيادة السريعة في عدد من يعانون من مرض الزهايمر في الدول المتقدمة نتيجة مباشرة لزيادة متوسط العمر، حيث زادت صحة البشر بزيادة طاقته هذا المرض العصبي. والواقع أن هناك فترتين من كسر السن الطائفة للتكنولوجيا الطبية، على الأقل بالصفة من هم في العالم المتقدم. وتمتد الفترة الأولى من ٦٥ حتى الثمانينيات في بعض الأحيان، حيث يتوقع الناس أن يحيا حياة تنتم بالعافية والنشاط، مع وجود الموارد الكافية لتمتع بها. وكثير من الكلام الطبي عن إطالة العمر يتشكك بهذه الفترة، والواقع أن ظهور هذه المرحلة الجديدة من الحياة، بدأها أولاً وأخيراً بالصفة لعظم الناس، بعد إنجازاً يفر به العلم الحديث.**

**والمرحلة الثانية من العمر المتقدم، وهي الفترة الثانية، أكثر إشكالية بكثير. ففي الفترة التي يملها معظم الناس حالياً بيلوهم الصانين، حيث تتداعى قرائنهم ويعدون إلى داء كبير إلى حالة من التبعية أشبه بالطفولة. وكذا في الفترة التي لا يجب المجتمع الكثير فيها، حيث تتناقص من شأن الاستقلال الشخصي الذي يعتز به معظم الناس.**

**وسوف يعتمد الأمر على الاجتماعي زيادة متوسط العمر المستمرة على أساس نسبة من هاتين المجموعتين، وهو ما سيتم بدوره على «توازن» ما يحدث في المستقبل من تقدم في إطالة العمر. وقد يكون أفضل سبيل هو ذلك الذي تركز فيه التكنولوجيا في الوقت ذاته على علاج الشيخوخة الوراثية - كان يكون بالاشتراك المتصور الجيني الشائع للشيخوخة في الخلايا الجسدية، وتأخير هذه العملية في أنصاف الجسم، وفشل الأعضاء المختلفة في القيام بوظائفها. سوف يحدد في وقت لاحق، ولكن مساحراً، وهناك كثير من يتوقعون إلى الفترة الأولى، أما في يتصورون إلى الفترة الثانية أقل منهم.**

**وقد يكون أسوأ سبيلز هو عدم التوازن، بالقدم الذي يتسم بغير كثير من عدم التوازن، وتعيش فيه، على سبيل المثال، على سيل للحفاظ على صحة الجسم دون أن تتمكن من**



## هناك العديد من الأسئلة

التي لا جواب لها بشأن ما ستكون

عليه الحياة التي من هذا النوع

في المستقبل، حيث لم يشهد التاريخ البشري

قد مجتمعات متوسطة أصغارا ما بين

الستين والسبعين، أو أكثر.

فماذا عساهما ستكون صورة

ذلك المجتمع عن نفسه؟



الأوقات إلى أن يفتلوا أنهم مخلوقات مختلفة. باختصار، فإنهم قد يشعرون أنهم استقاربون، وأنه على عكس الاستقاربين القدامى سيجري حقهم المشروع في الأصل العريق إلى الطبيعة وليس العرف.

واحتلال سماح التكنولوجيا الحيوية يظهر طبقات وراثية جديدة أشار إليه وإدانة مراراً، وأن توقعوا شكل الحياة في المستقبل، ولكن يبدو كذلك أن الاحتمال العكسي يحظى بقدر كبير من الاعتناء - حيث سيكون هناك دافع إلى وجود مجتمع أكثر مساواة بكثير من الناحية الوراثية، ذلك أنه يبدو من غير المحتمل إلى حد كبير أن يجلس الناس في المجتمعات الديمقراطية الحديثة في حالة من اللامبالاة وهم يرون الخبز تفسر الميزات وراثياً في أبنائهم.



والواقع أن هناك أشياء قليلة في سياسة المستقبل يحتمل أن تثير الناس في بقلتها وبشأنها. ولأغنى ذلك المعنى المجازي للقلق، أي مبادئ الصالح بين الأرووس المنقذة في المناقشات النظرية أو في التكنولوجيا، بل حمل البنادق والقنابل واستخدمها ضد أناس آخرين، وهناك القليل جداً من القضايا السياسية الباذخة اليوم في ديمقراطياتنا الليبرالية الغنية المتخفية ذاتياً مما يمكن أن يشعير غضب الناس بشدة، ولكن شبح الظلم الوراثي الناشئ قد يقض مضجع الناس ويدفعهم إلى الشوارع.

وإذا غضب الناس بما يكفي من «الظلم الوراثي»، فسوف يتخذوا الفعل مسارين، أول هذين المسارين واقتصرهما معقولية هو منع استخدام التكنولوجيا الحيوية لتحسين الصفات البشرية والانتاج عن الناس في هذا المجال، وقد فكره التحسين قد تصبح من الخدائبة بحيث لا يكون التخلي عنها؛ أو قد يثبت أنه من الصعب فرض قانون يمنع الناس من تحسين أطفالهم؛ أو قد تعلق الحكم أن ذلك من حلقهم. وفي هذه الحالة يظهر الاحتمال الثاني، وهو استخدام التكنولوجيا نفسها لارتقاء بالعادة.

هذا هو السيناريو الوحيد الذي يُقبل فيه رؤية إحدى الديناميات الليبرالية تعود إلى نشأة التكنولوجيا (تحسين النسل البشري) التي يفضيها لرؤية الدولة - فقد كان الشكل القديم البشري يفرق بين المعوقين والأشخاص ذويهم من إيجاب أطفال، في المستقبل قد يكون من المحتمل توليد أطفال أكثر ذكاءً، وأكثر صحة، وأكثر «طبيعية».

وعلاوة على ذلك، فقد يمكن تحليله فقط من خلال تدخل الدولة. فمن المحتمل أن تكون تكنولوجيا التحسين الوراثي باهظة التكاليف وتؤدي إلى بعض المخاطر، ولكن حتى إذا كانت رخيصة وأبسط، فإن الفكرة ومن يفتكرون إلى التحسين سيظلون لا يتفقون بها. ولذلك سيكون من الواجب تعزيز الخط الأحمر الساطع الخاص بالمانعة الإنسانية، عن طريق السماح للدولة بالتأكد من أن أحداً لم يسقط خارجه.

وسوف تكون سياسة توليد كائنات إنسانية مستقلة شديدة التعقيد، حتى الآن يعارض اليسار التقليدي، واهظة التكاليف وما شابههم من تكنولوجيا حيوية لعدة أسباب، منها النزعة الإنسانية التقليدية،

ستستفيد منها التكنولوجيا القدرة على تغيير ذلك الجوهر شيئاً فشيئاً بمرور الزمن. وتحسينون يؤمنون بهذه القدرة، تحت إشراف الحرية الإنسانية. وهم يريدون تحقيق أكبر فائدة ممكنة من حرية العلماء في اختبار نوع ما لديهم من أطفال، وحرية العلماء في متابعة البحث، وحرية المستثمرين في استغلال التكنولوجيا لتحقيق الثروة.

ولكن هذا النوع من الحرية سيختلف عن كل أشكال الحرية الأخرى التي تمتع بها الناس من قبل. فقد كانت الحرية السياسية من قبل تمنح حرية السعي لتحقيق تلك الغايات التي حددتها لنا طبيعتنا. وهذه الغايات ليست محددة تحديداً صارماً، فالطبيعة البشرية شديدة المرونة، ونحن لدينا سلسلة كبيرة من الاختيارات التي تتلاءم مع طبيعتها، ولكنها ليست قابلة للتشكيل إلى ما لا نهاية، وتشكل العناصر الثابتة - وخاصة ما يميز نوعاً كيشي من نرجس ردود الأفعال العاطفية - سراً أمراً يسمح لنا بالاتصال بقوة مع سائر الكائنات البشرية.

قد يكون مقدرنا لنا بصورة أو بأخرى أن نعتاد على هذا النوع من الحرية، وقد نتفقد في المرحلة التالية من التطور والارتقاء، تولي مسؤولية تربيتنا البيولوجية بين تركها لقوى الانتخاب الطبيعي العفوي، ولكن إن نحن تولينا ذلك، فلا بد أن نلغى ذلك وعيونا متفوحة. وبغرض كثيرين أن العلماء من بعد الإنساني سوف يبدو إلى حد كبير أشبه بعالمنا هذا - حيث يتمس بالحرية والمساواة والرفاهية والرعاية والتعاطف والإنسانية - ولكنه سيكون فيها رعاية صميمة أفضل، ويعيش الناس حياة أطول، وربما كان هناك قدر أكبر من اللذة عما هو عليه الحال الآن.



ولكن «العالم ما بعد الإنساني» قد يصبح عالماً أكثر تراتبية وتنافساً من ذلك العالم القائم بالفعل. ونتيجة لذلك يكون زائراً بإصرار الإنساني. أو قد يكون عالماً لا يوجد فيه لفظة «الإنسانية المشتركة»، لأن لدينا جينات بشرية مختلطة مع تلك الجينات الخدوية الخاصة بالكثير من الأنواع الأخرى بحيث لم تعد لدينا واحدة من «أصناف» ما هو الكائن البشري، أو قد يكون عالماً بحيث ليس الشخص المتوسط الإنساني. على عكس الطبيعة التي قرره النائي، جالساً في دار لرعاية، متخبياً الموت إلى لا يدرىه. أو قد يكون نوعاً من المهيمن الذي تصوره عالماً جديداً، إنشأه، يتمتع فيه الجميع بالصحة والسعادة ويتعاونون معني الآن والنخف والظلم.

وليسا مضطرين للقبول هذه العوالم المستقلية تحت راية الحرية والرفاهية، سواء أكانت حرية حقوق الإيجاب غير المحدودة أو حرية البحث العلمي التي لا تعدها أي قيود. كما أننا مضطرون كذلك أن نعتبر أنفسنا عبداً للتقدم التكنولوجي الحتمي، حين لا يخدم هذا التطور بائناً الإنسانية. فالحرية الحقيقية معناها حرية المجتمعات السياسية التي من حمايتها القيم التي تعتقدونها. وهذه الحرية هي ما نحتاجها إلى مدارستها فيما يتعلق بثورة التكنولوجيا الحيوية في الوقت الراهن.

ترجمة: أحمد محمود  
الحد الحادي والأربعون. يونيو ٢٠٠٢

المستحيل على الناس رفض قوة الاختيار التي توغرها التكنولوجيا الحيوية، وتوليد شيء ما ما بعده الإنسان التي أراها ينشئه وأفلاطون لم يعد من الممكن تجاهله، وقد أدانه ضمن من أدانوه عالم الاجتماع هابرماس، الذي عارض الانتساب في سيالات أخرى.

وقد بدأ بعض اليساريين بمرحون رافعة ضد الهمسة الوراثية. ويقول جون رولز في كتاب A Theory of Justice أن التوزيع غير المتكافئ للمواهب الطبيعية يظل من الناحية الوراثية، ولذلك فإنه ينبغي طباً لرواز أن تستخدم التكنولوجيا الحيوية لتحقيق تكافؤ الفرص عن طريق الارتقاء بالعادة. على فرض النجاح في حل المشكلات المتعلقة بالإمان والتكلفة وما شابه ذلك.

ومن المستحيل معرفة أي من هذين السيناريوين - أحدهما خاص بالنظم الوراثية والأخرى بالاختيار الحزائي - هو الذي سيهيغ، ولكن ما إن تتحقق إمكانية التحسين الطبي الحيوي حتى تصبح معرفة الطريقة التي لا يصح بها الظلم الوراثي إحدى نقاط الخلاف الرئيسية في سياسة القرن الحادي والعشرين.

## ما هو مستقبل

ما بعد الإنسان؟

يعتقد فوكوياما أنه على الرغم من أن جزءاً كبيراً من عالمنا السياسي يقوم على وجود «جوهر» إنساني فريداً تكون على وشك الدخول في المستقبل ما بعد الإنسان، الذي

والهجوم البيئية، والشك في التكنولوجيا وفي الشركات التي تنتجها، والخوف من البيوجينيات «تحسين النسل البشري»، ويسعى اليسار منذ زمن بعيد إلى تقليل أهمية الوراثة لفصلحة العوامل الاجتماعية في تفسيره لفصلحة الإنسانية. فاليساريون يرون أنه لكي تدعم الهندسة الوراثية من أجل المحرومين، لابد أولاً من الاعتراف بأن الجينات مهمة في تحديد الذكاء وغيره من أنماط الشخصية الاجتماعية. ويرى فوكوياما أن اليسار في أوروبا أكثر عداءً للتكنولوجيا الحيوية منه في أمريكا الشمالية. وكثير من عدائه تجاهه الصراحت البيئية القوية في أوروبا والتي قامت على سبيل المثال حلة ضد الأطعمة المعدلة وراثياً. (ولم يوضح بعد أن كانت أشكال معيبتها من النزعة البيئية المستندة سوف تترجم إلى عداء فوكوياما للبشرية البشرية أم لا. فخصم المدافعين عن البيئة يرون أنفسهم مدافعين عن الطبيعة ضد الكائنات البشرية، ويبدو أنهم أكثر اهتماماً بالخطر الذي تتعرض لها الطبيعة غير البشرية من الطبيعة البشرية نفسها).



ومازال الألمان بشكل خاص على قدر كبير من الحساسية تجاه أي شيء تقوم منه رافعة البيوجينية أي استخدام التكنولوجيا الحيوية أكثر تحسين النسل. وقد أثار الفيلسوف بيتر شوترويتش عاصفة من الاحتجاجات عام ١٩٩٩ حين رأى أنه سيعرمان ما يصبح من



# دار الشروق



## تطلب من

دار الشروق ٨٠ شارع سيدي بيه المصري - راحة المدينة - مدينة نصر تليفون ٤٠٣٣٩٩ ومكتبة الشروق ١٠ ميدان طلعت حرب تليفون ٣٩١٢٤٨٠ ومكتبة الشروق، مبنى فرست أمام حديقة الحيوان ٣٥ ش الجزيرة محل رقم ١٩ تليفون ٥٧٣٥٠٣٥ ومن المكتبات الكبرى

كما يمكنكم شرائها إلكترونياً [www.e-kotob.com](http://www.e-kotob.com)

# ما جرى وما يجري وما العمل؟



«انتصاها» نحو الحصار والجريمة المنظمة إلى بداية الحركة ضد نظام الأبارتهايد. فتجلى «الانتصار» الإسرائيلي على قوى الفلسطينيين ومنهم وخيماتهم، يكون برأي شارون ورئيس أركانه بفرض شروط إسرائيلية من طرف واحد على الأرض دون مفاوضات. أهم هذه الشروط المالية التي تقترض على الأرض هي هذه العوازل الأمنية بعرض مئات الأمتار وحتى خمسة كيلو مترات، والتي تحول التصعبات الفلسطينية إلى معازل خلف أسلاك شائكة وحواجز وأسوار. في ظل هذا الأبارتهايد تتحول المناطق (أ) التي كانت تحت مسؤولية السلطة الفلسطينية الأمنية إلى مناطق (ب) بمسؤولية أمنية إسرائيلية تدخلها إسرائيل متى شئت و«بعد الحاجة»، «لا إذا تعاون» الفلسطينيين أمنياً مع إسرائيل. وتشكل إقامة نظام الأبارتهايد من الفصل العنصري المحكم إضافة إلى هذا النظام والأمن والتشكيل الأمني الجديد القرعة المعقولة، هدف هذه المهمة العسكرية العدوانية الحقيق.



لقد نشأ وضع جديد بعد العدوان الإسرائيلي الأخير، وليس الآن الوقت لمناقشة خلفيات هذه الحالة الجديدة والإستراتيجية الفلسطينية، أو انعقادها، في المرحلة السابقة وما يهنا الآن أو تشخيص طبيعة المرحلة القادمة رغم وجود هذا الدمار المخيف، لا لاحتلال انتصار فلسطيني، مغنوي أو مادي، ولا لاحتلال قريب من القترانسياني، الذي يحوله بعض الشايرين إلى موضوع طبيعي للنقاش، ولا يجب أن يطرح مثل هذا الموضوع كأنه إكباتية وسياترو من ضمن القضايا عروية، بل كأنه آخر الدنيا، وليس فقط للفلسطينيين.

## سمات الوضع الجديد:

أ- حالة الفصل العنصري المقلبة، ويتطلب التعامل معها إستراتيجية ذاتية مبدعة ذات طابع وطني وبمقراري غير جزم تحرر وطني تتنازل من أجل العدالة والمساواة ضد العنصرية والاستيطان الكولونيالي والقمع والعنف الإحتلالي المستفهم. هذه الإستراتيجية تتضمن المقاومة لجعل حالة الاحتلال ذات لن الاحتلال وتلك من يشكل المجتمع الواقع تحت الاحتلال من يمكن هذه المقاومة على المدى البعيد.

ب- تحول أمريكا من حليف إسرائيل في الصراع إلى طرف فيه، وهذا يعني أن غير المتحيز الاعتماد على عامل استقلال في الموقف الأمريكي تلعب فيه دور وسيط محتل لصالح إسرائيل، وتحويل أمريكا إلى طرف لا يعني أن الخيارات بين أن تتراوح بين مواجهة شاملة معها من ناحية أو توسلها من ناحية أخرى، وإنما يجب أن يعني دعا توقع إنجازات من الإستراتيجية الدبلوماسية الأمريكية القائمة، يجب مواجهة الموقف الأمريكي سياسياً خارج وبداخل الولايات المتحدة في المجتمع الأمريكي أيضاً، وهذا لم يتم حتى الآن فقد انتقلت منظمة التحرير الفلسطينية من انفصال من أجل اعتراف أمريكي إلى التماس التماس الدبلوماسي الأمريكي المستقل عن التحالف مع إسرائيل في المفاوضات.

ج- كشف عجز الحالة العربية الرسمية بشكل كامل عن دعم رسمياً من الدول العربية أثناء هذا الحرب ورغم كل الجحجحة حول اجتماع وزراء الخارجية العرب يوم ١٠ أبريل الفم التوجيه لجلس الأمن بغرض طرد فرض عقوبات على إسرائيل بموجب الفقرة ٧

## عنزى بشارة

يشكل قرار الحكومة الإسرائيلية يوم ١٤ أبريل الماضي بالفصل الديموجرافي الاسمي في مناطق جنين وطولكرم والقدس نقطة تحول وتحويل بين ما قبل العدوان وما بعده. لأنه يشكل بداية عتية لنظام الأبارتهايد المزمع إقامته في فلسطين. لقد أعلن شارون في جلسة الحكومة أن الخطوط التي سيرايط على طولها الجيش الإسرائيلي ليست حدوداً سياسية، إنما هي التي يؤكد أن القرار الحكومي الإسرائيلي ليس بداية لتسحب من طرف واحد وإنما هو إقامة لنظام أبارتهايد من الفصل العنصري الديموجرافي عقابية واقعة ويودون صفة دستورية أو رسمية. فماذا شارون لا يريد شرهه فلسطينيين للتناقص حول «مرحلة انتقالية طويلة المدى» فإنه سيخضع من المرحل من طرف واحد. أي لتعديل على هذا الفرض الإسرائيلي سوف يتطلب توجيه فلسطينياً للتفاوض عليه، الأمر الذي يستلزم تدرجياً ويطلب متطلبات الحياة اليومية بفرض أجددة مفاوضات جديدة لا تدور حول القدس أو اللاجئين أو المستوطنات أو الحدود بل حول شروط ونزاع والتعويضات في ظل الخوف الانتقالي المفضي. وإذا ما رغب الفلسطينيون بتطوير المفاوضات سياسياً مع إسرائيل، سوف تدور المفاوضات حول الكيان السياسي الفلسطيني وجوده وطبيعته علاقاته مع إسرائيل. لطف في هذا السياق تصحيب إسرائيل إلى حدود سياسية متلق عليها، ولو كرهة الانتقالية، ولا علاقة لها الحدود بقضايا الحل الدائم وأوسلو.

لقد كان قرار مجلس الأمن بضرورة انسحاب القوات الإسرائيلية من المدن التي اجتاحتها قراراً دائماً وجازماً. إسرائيل التي تخرج من خلفها غيض النكر عن هذا القرار وعن «الضغط الأمريكي». لأنها لا تريد ولا ترغب بإدامة حياة السكان، والأهم من ذلك أنها تريد الفصل الطاق على وضع يمكنها من العودة لتفتيش وتفتيش أو اغتالات التي شاعت وأيضاً شاعت وتضمن معابر جديدة من التجهل، والتقسيم، تجاه هذه الممارسات الإسرائيلية.

ولكن جرائها يجب ألا يفرغ غقاب، ولكن الحقدى الإسرائيلي في تحويل

والأهم من ذلك كله أن إسرائيل لن تستطيع أن تتخلى الموضوع الفلسطيني إلى «مسألة إرهاب»، ولا حتى في الولايات المتحدة ذاتها. وذلك لوجود اسمها الإسرائيلي، والاستيطان، قد يقع الرأي العام الأمريكي ما يفهمه الرأي العام الأوروبي عن حالة الاحتلال الكولونيالي، وقد يعثر الاستيطان كلمة ذات دلالات إيجابية تؤولها المواطن الأمريكي من الذكراة الجماعية حول شارون وتاريخ بلده الاستيطاني كما نقلت إليه عبر برامج التلفزيون والإعلام والأغاني. ولكن المواطن الأمريكي يفهم كلمة «الضمير العنصري والأبارتهايد»، كما يفهم مطالب ديموقراطية من نوع حق تقرير المصير والاستعباد الحرة، وهكذا. وكلها مطالب يبادل الفلسطينيون، سيكون من الصعب بل المستحيل إلزام الحق الفلسطيني و نميشه كعقوبة إرهاب حتى في الولايات المتحدة ذاتها.

ويصح هنا، كما يصح غيره من أفاق العمل السياسي، إذا ما طور الفلسطينيون - حركة سياسية وديمقراطية وحركة تحرر، وبشكل لا يحتمل التأجيل - الإستراتيجية الأربعة المتكامل مع الوضع الجديد التي نشأ بعد العدوان الإسرائيلي الأخير والشامل. خاصة بعد أن دفع شارون بقوة القوات المسلحة الفلسطينية، وكشف بذلك عن حدود سياسة القوة. من هنا نتطرق إلى مستقبل الفصل الفلسطيني بالبناء على ما حصل، ولكي لا نبدأ من الصفر.



في خضم النقاش حول جرائم الحرب التي ارتكبتها إسرائيل في جنين ونابلس وإتانه اجتماع عرفات مع يالوم يوم الأحد ١٤-٤، أقرت الحكومة الإسرائيلية اقتراح شارون ورجعته إقامه مناطق عازلة كطريق التفافية العسكرية بقطارهم صادية حادة على الأرض حول المدن الفلسطينية القريبة من الخط الأخضر؛ طولكرم وجنين والقدس. إضافة لصفة الاعتقالات الواسعة الهادفة إلى ضبطه التنازل الفلسطيني والتحكم به

لم ينجح شارون، ولم تنجح إسرائيل في عدوانها، بدأت تغيير جدى في الأوضاع السياسية والإستراتيجية السياسية المطروحة والمختلفة والاحتلال الإسرائيلي للأرض العربية منذ العام ١٩٦٧. ومع ذلك يسود شعور عام بنشوء مرحلة جديدة تعيشها المنطقة، والقضية الفلسطينية بشكل خاص، تقول هذا رغم أن الهدف السياسي من عدوان شارون كما يفهمه هو تغيير أجددة المفاوضات السياسية بحيث لا تشمل قضايا لا حل لها بنظره، مثل القدس واللاجئين والاستيطان. والهدف أن تتحول هذه المفاوضات السياسية حول أجددة الكيان الفلسطيني، مساحته، صلاحياته، علاقاته مع العرب ومع إسرائيل والزاماته الأمنية بالنص.

في هذا السياق طرح شارون موقفه «المؤبد» لإقامة دولة فلسطينية، وقد صوت حزب الليكود يوم ١٢ مايو ٢٠٠٢ ضد موقفه هذا لسياسات مختلفة بالصراع على النقود داخل هذا الحزب، وصديق بذلك هامش مناورة الدولي، وقد وجد شارون أصلاً صعوبة في ترجمة عدوانه إلى إنجازات سياسية ولا حتى بالغة الأمريكية، ناهيك عن الأوروبية.

ولكن هذا الموقف الليكودي الذي خلط التحدث الأيديولوجي بالمزايدة الحزبية الداخلية كشف أيضاً عن الهو الكبيرة الفاصلة بين الاعتبارات العربية والإسرائيلية في المبادرة والتحرك السياسي، هكذا اتضح أنه عندما كان العرب يجادلون على سلام عربية عشية عدم بيروت ترضى الولايات المتحدة كانت إسرائيل تعد للعدوان على الشعب الفلسطيني، مستعماً وسلطة، وعندما اجتمع قادة الملث العربي المهم في شرم الشيخ لإصدار بيان دعم الرغبة في السلام ونجد العصف، لندوة لليكود المركزية في رام الله يعارض الدولة الفلسطينية حتى بالتفسير الشاروني.



بشرت الحكومة الإسرائيلية بعد أسبوعين من العدوان بترتيب إنجازاته السياسية التي يتوجب أن تقدمها للجمعية العامة الإسرائيلية التي دخل في قمة ترائس، و«استنارة» نشوة لا بد لحكومة إسرائيل أن توليها وأن تحولها شعوراً إلى نشوة انتصار، ومن هنا فهمية اعتقاد شارون البرغوثي الرزوية والقدسه بكل ثمن على جيوب المقاومة في جنين ونابلس. وهذا هو هذا شارون على اعتقال من دعى إسرائيل إلى علاقة باقتيالي نابلس، يجب أن يبرهن شارون بداية الحرب وتفتيشها، بـ«إنجازات» عينية يعرضها على المجتمع الإسرائيلي، وربما أيضاً على الولايات المتحدة. فحتى شارون لا يستطيع الانقذاه الخاصة الشنوعية والإستراتيجية للتدوير ما قام به، على أنه بيرد ويفسر ويشرع. وإذا كان قد تمكن ألعنة للحرب هي القضاء على التنية التجنيد للأرهاب، فعليه أن يظهر ولا يلد يماجوجية كيف تم ذلك.

وبحال شارون أن يعرض «الإنجازات» بلفه مبهمة أمريكية من تراث العدوان الأمريكي على الشعب الفلسطيني بشكل يبرر العدوان الإسرائيلي؛ ضرب العنصرية العنصرية (بمقابل ضرب معسكرات التفرير في (فلسطين) استنارة) اعتقال (بالمقابل اعتقال جونتانا)، اعتقال إعدام الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين (بالمقابل أن مطلوب حباً أو حباً)، قد تجد إسرائيل مقابلاً لهما أمريكا المدنيين ولكنها لن تجد مقابلاً للتزعة الانتفاضة لجنتها وسلسلة المشكلات ولن العلاج من الجرح.

من ميثاق الأمم المتحدة التي تازم بتنفيذ قرارات مجلس الأمن، ثم ما لبسوا أن تراجعوها عن قرارهم.

هذا كل شيء. عن هذا مضطخت الحالة السياسية العربية. المسؤول العربي متعاطف مع الفلسطينيين وحالف عليهم في الوقت ذاته لأنهم يكشفون له عن عجزه. ويشطرونه إلى إخراج ذاته وإخراج الولايات المتحدة لو أراد أن يرحي لتعاطفه العمان، ولو أراد أن يتفاهل مع مزاج شعبه السياسي. قد يدفع هذا الشعور إلى التآمر مع الولايات المتحدة إذا كان من غير الممكن أو المرغوب مواجهتها

4- وضوح قوة الحالة الشعبية العربية وتعاطفها مع القضية الفلسطينية ولو بدون قيادات سياسية مبلورة، ويتضح أيضا أن هذا الغامض الشعبي العربي يشكل ضابطا أساسيا على حكومات المنطقة وعلى اعتبارات الولايات المتحدة الأمريكية. ولكن القضية الفلسطينية في الضية انعكاسا في ضمير الأمة تكاد تتحول بالنسبة للحالة الشعبية العربية إلى سياسة هوية وإلى تأكيد على الهوية العربية، وترجمة الحماة والانتفاضات إلى اللغة الفلسطينية المطروقة الموجهة ضد الآخر، الإسرائيلي، بدلا من النظام اسحاق.

5- ضغط أمريكي على الدول العربية الخليفة للتعبد دورا أكبر في «ترشيده» القيادات السياسية الفلسطينية المحتلة.

ورغم تورط الولايات المتحدة في العدوان الإسرائيلي وتواطؤها معه، إلا أن إسرائيل لم تظهر لهما لحاجات الولايات المتحدة الأمريكية بعدهم والثاء. ولم تحر إسرائيل لئامات يوش أي اهتمام، كما لم تستعمل أية مبهمة لهما لخرج من الولايات المتحدة مقابل حلفائهما من الأنظمة العربية. ولم تكف إسرائيل بذلك بل أوفدت رؤوس الكونجرس من يميني فرائيين وجمهوريين للشاير على رؤس الولايات المتحدة ليس فقط لصالح العدوان الإسرائيلي، بل أيضا لمساعدة إسرائيل أن تحصن نتائجها السياسية.

ولم يكفل شارون مصمت كيان باول في المؤتمر الصحفي في القدس أثناء زيارته الحكومية للمنطقة بعد العدوان، واستماعة عن التعبير حتى عن الموقف الأمريكي العلني من الانسحاب الإسرائيلي من المدن الفلسطينية، بل تجاوز ذلك إلى طرح تصوره للأيديولوجية كروية سياسية يتمحرف عنها العدوان. لم يحد باول أفرة سياسية إسرائيلية واحدة ذات قيمة يقدم بها للفلسطينيين أو للعرب. وبدون ذلك لا يستطيع باول، ولا حتى بمساعدة بعض العرب، إقناع الفلسطينيين بمناقشة موضوعات وممية مثل وقف إطلاق النار (بين من ومن)، أو إعطاء تأكيدات حول «مكافحة الإرهاب» في المستقبل. لم تتبن السلطة الفلسطينية أثناء العدوان وحتى اليوم المقاومة كخيار إسرائيلي، ولكنها مع ذلك لا تستطيع أن تفاوض بتعابير مثل «وقف إطلاق النار»، أو ضرورة «مكافحة الإرهاب». ويميدون أن إسرائيل والولايات المتحدة كانتا «تطوخان» معاملة ما، تمكن الإسرائيليين من الادعاء أن في حوزتهم، بعد أن «اتجزء» العدوان ما «اتجزء». جوابا سياسيا على المبادرة العربية لمسلم من قمة بيروت، عندما قام لتتياهو بإحباط هذه المحاولة.

لقد استنتجت الإدارة الأمريكية الحالية من فشل الإدارة السابقة في كاتم ديفيد أن السبب يعود جزئيا إلى عدم منح الدول العربية دورا كافيا فيه وفي الإعداد له، وإن القيادة الفلسطينية لا تستطيع وحدها، دون سند عربي واسع، التوصل إلى تسوية على قضايا

العدد الحادي والأربعون، يونيو ٢٠٠٢ م



## وما ساجري وما المعمل



كبرى مثل القدس والجليلين، ونحاول إسرائيل استغلال هذا الاستنتاج الإسرائيلي لافراج مؤتمر إقليمي للسلام.

ويعتبر المزاج السياسي العربي عمومًا المفعول الوحيد، «الدولة المشتركة للنفوذ» أفضل من الإمارات الثاقرة وثقافتها، ولذلك يبدو اقتراح شارون وكأنه تيّئٌ لاستنتاجات الابرار الإسرائيلية الحالية بما يتوافق مع المزاج السياسي العربي، ولكن اقتراح شارون ليس اقتراحًا لفضاضات سلام بل لحجور عربي إسرائيلي بعدد الجند، أي بعد أن يتقوى العرب مسانج العدوان وسياسة القوة الإسرائيلية، ويشترط شارون استثناء عريقات، الأمر الذي يعيد للعرب أهداف العدوان الإسرائيلي الأخير كحقلانٍ ناجزة. كما لا يظيل شارون مبادرة السلام العربية أساسًا لتؤثر في القوي الذي يقتره، وهو بالثاني مؤثر غير ملزم للدول ولا للتوصل إلى تطبيق شروط تسمية متفق عليها.

والأني والأمر أن المؤتمر الدولي لا يدعو سوريا وليبان للمشاركة، وذلك لتدحلق هذه إلى مطلب فإنما استجيب الحفص عن موعودهما تمصيح الدعوة إيجازًا، لقد احسنت سوريا وليبان صتعا بعدد أمر إبطاء على موضوع القوة دالة على عدم أخذ هذه الفكرة جدية، وحسب دون انتقاد، عيبيها لا يفسر ذلك كطلب كما أن الرد العربي في قمة شرق المتوسط على اقتراح المؤتمر الإقليمي بالتمسك بمبادرة بيروت يعني عدم قدرة إسرائيل على فرض الهيمنة على العرب، لقد ولد هذا الاقتراح بتشويهيته حادة وتحاول الولايات المتحدة إحياءه بالنقاش الاصطناعي، ولكن قرار مؤتمر البليكو صد دولة فلسطينية يعرقل هذا المحاولة

في ظل المعطيات الحالية يبدو أن الاقتراح المادي والمفوس الوحيد الذي يوجه الشعب الفلسطيني هو الاقتراح الإسرائيلي، ويجب أن نقابلها سياسيًا مقاومة موصولة ذات استراتيجية موحدة، يتطلب واقع الأبارتهاد في حالة فرضه برنامجيًا سياسيًا واستراتيجية مقاومة موحدة متفصلة عن، هذه الاستراتيجية وجدها فاعرة أن تستثمر حتى التخصيمات الأخيرة التي تمت في غيبتها، فهي قادرة أن تبدأ بشن الضملة على إسرائيل كدولة إبارتهاد خولو نينائي تعج بمجرى الحرب الذين يجب محاسمتهم، ليست الأولى لأن للمعركة الدبلوماسية بل لمعركة شعبية تشن عالميا وفي العام العربي بلغة يهودانية مهومة ضد مجرمي الحرب الإسرائيليين، هذه المعركة كليفية بنشر المزاج السياسي اللازم لاستقبال المعركة السياسية والدبلوماسية القادمة ضد نظام الإبارتهاد، مع شارون بلغت سياسة القوة الإسرائيلية حدودها، والعمل السياسي الفلسطيني والمقاومة الفلسطينية بعدها إذا كانت محكومة باستراتيجية في ربح صاف للفلسطينيين وخسارة لإسرائيل

## عسلام تستأنش؟

مذممة الحفص شارون في مكتب الرئيس الفلسطيني يور في الجمع الفلسطيني نقاش حي توفيق من شعب حي، وقد انتشرت حالة النقاش انتشارًا أثار في الهذيم فلم تترك حارة ولا سدى ولا صميلة ولا تمكلمها، هناك حتى من النقاش والنقد والنقد الذاتي تذكر بما بعد أيلول ١٩٧٠ وما بعد لبنان ١٩٨٢ وما بعد أوسلو، فهل نحن أمام ما بعد، أخرى لا ياتي بعدها جديد؟ وهل تستطيع القوى المظلمة أن تأتي بمحمد.

ولأن النقاش يور في حلقات متوارية شبه حرة، وذهانيات فرعية subcultures وجماعات متفصلة اجتماعيا وسياسيا، فلا يبدو أن هنالك حوارًا اجتماعيًا شاملاً تصديق منه قيادة موحدة، لحركة تحرر وطني، بل وتبارك في المنعطفات التاريخية الصادة، ولا تدرى إذا كان النقاش الدائر في رفح ذات علاقة بالنقاش الدائر في رام الله، وإذا كان النقاش المثار داخل حركة «فتح» مرتبطًا بشكل من الأشكال بالحوارات الدائرة في الفصائل الأخرى أو في الشفات. وقد لست حاليًا مهتمًا من النقاشات الدائرة والإسئلة المتناظرة من وإلى كافة الاتجاهات من خلال الاحتكاك مع القوى المظلمة والناس في الداخل وفي الشتات والعالم العربي وطبعها في المناطق المحتلة عام ٦٧ وفي لقاهات مفتوحة مع جماهير واسعة عثقت مؤخرًا معي في الناصرة والقدس المحتلة من دولة الإمارات العربية المتحدة وفي شكاكو وبيدلفيا نفس نوع الأسئلة الذي يطق الجهور العربي، وهو أن طرق بصمياعات متشابهة من قبل قيادات أنصا في الصحافة وغيرها إلا أنه يخفي دوافع ونوايا مختلفة

لقد فرضت له الجماعية الفلسطينية الفلسطينية صياغة كافة الأسئلة بلغة متشابهة إلا وهي لعة ضرورة الإصلاح، ولكن لغة الإصلاح تمنى نوايا ودوافع سياسية مختلفة، مع دعاة الإصلاح من يستند أنه كان على القيادة الفلسطينية قبول ما طرح في كتاب بيدفي ونجبت الانتفاضة، ومن دعاة الإصلاح أيضًا من يرى أن الطريق لتحقيق الأهداف الوطنية بعد إصلاحات كتاب بيدفي تمرير المقاومة، ولكنه يسأل أية مقاومة وكيف؟

لم يعد بالإمكان إذا الاحتفاء بكلمات وصياغات مثل ضرورة الإصلاح، لقد طرحت بعد الصياغات والتعابير بعد أيلول ١٩٧٠ وبعد أجيال ١٩٨٢ وبعد حرب الخليج الثانية وبعد أوسلو واثناء عمل السلطة الفلسطينية في السنوات الداعية الأخيرة، وكان الإصلاح ينشئ عادة بصلصلة وضع دعاة الإصلاح على مستوى الجهد أو الفرق من عملية صنع القرار. لا شك أن الحرب ملحة لترتيب مؤسسات السلطة الوطنية الفلسطينية، وأن الحاجة ماسة أيضًا لترتيب عملية اتخاذ القرارات بشكل أكثر ديموقراطية، وأن تتضح في أهمية الوزير مقابل غير الوزير وأهمية مؤسسة مثل اللجنة التنفيذية ل.م.ت.، وغيرها في العملية صنع القرار والاتصالات المحلية، والحقبة، وقيمة دور حركة «فتح» كخليفة سياسي في السلطة، ولأهمية غيرها من الحركات السياسية ووزنها في عملية صنع القرار أو أخذ معارضتها بعين الاعتبار ضمن إجماع وطني على لوابت لا تظالمها هذه المعارضة. هذه الأسئلة صعبة ولكن يجب أن نخرج في الحركات السياسية الفاعلة حاليًا ولا فقت معاذما بالنسبة للجهور الواسع، فاشيع الفلسطيني يسأل حاليًا أسئلة سياسية متعلقة بمصير المقاومة مع الاحتلال، والحق السياسي للأزمة، ويتسأل عن البرنامج السياسي لدى قادة، لا شك أنه في مراحل الماس والإحباط تنتشر نظرية المؤامرة ويتبعها التخوين، ولكن دور المظلم الممسح في قيادة النعاشات حاليًا يشمل تجنيد الجهور نظرية المؤامرة والخيالة، كما يشمل قيادة باتجاه طرح القضايا الحورية والمعمرية.

تبدا الاستفاة السياسية من ترتيب محاور النقاش بصياغة السؤال التالي:

١) الحركة الوطنية الفلسطينية هي حركة تحرر وطني أم دولة للتكوين؟ يجب أن يحسم هذا السؤال من أجل إقرار تمتد العمل بدولة السياسية، لقد بقي هذا السؤال معقلًا منذ بداية الثمانينات، ولكن اقتبسنا خاصة من قيام سلطة فلسطينية مرتبطة بالقوانين من معضلات التناقضات أمية، تشقق من حسم هذا السؤال على أنه تشقو أذاك توجهات مختلفة تمامًا في التعامل مع مفاهيم وواقع مثل: «سلطة ومعاصرة»، «وحدة وطنية»، «شعبي نسقي»، حسم السؤال باتجاه حركة التحرير الوطني المنضبطة من خلال الاستقلال عن خيار المقاومة، الاحتلال طرح مسألة استراتيجية مقاومة، ولكن نحن بيدفي هذا السؤال لا توجد استراتيجية مقاومة، بل توجد عملية سياسية من ناحية وعملية مقاومة من ناحية أخرى لا تربطهما إلا علاقة التعارض أو الإزعاج للتمثيل أو التوافق بين الجماعات في بعض اصلاات، أما أن حسم السؤال باتجاه الدولة قيد التكوين فهذا يعني الاعتقاد أن العملية السياسية الفلسطينية الجارية والمنظمة من كيان سياسي فلسطيني قائم وعترف به على الساحة الدولية يحترم تعهدها واتفاقياته، سؤددى إلى قيام دولة فلسطينية مستقلة على خطوط قريبة مما طرح في كتاب بيدفي، أو ما بين كتاب بيدفي والمبادرة السعودية ويفترض أن تكون والغبة هذا المنطق بدون مقاومة بعد ذلكها موضع نقاش.

لقد برع بعد العدوان أكثر من مؤثر على رغبة الولايات المتحدة أن تلعب دورًا بهذا الاتجاه، بشرط أن يحول عريقات إلى شخصية رمزية تحررها محاور ومراكز قوى مغربية أمريكية، ولكن لا حسم أن تخرج الولايات المتحدة بفرض حل كشيء على إسرائيل، ولا ضمان لنجاح خطتها لفلسطين، ولكن الجولات الكوكبية متباد من الضروري بلورة موقف فلسطيني متسق عربيًا تجاه هذه المحاولات، يجرها هذا السؤال نحن لا نقصد أن على الحركة الوطنية الفلسطينية أن تتخار من الاندثار المقاومة، كما أننا لا نصد الاندثار في المقاومة والتفويض، بل على العكس من ذلك نحن نرعى إلى الجمع بين السياسية والمقاومة، وبين المقاومة والتفويض إلا أنزم الأمر، ضمن استراتيجية واحدة، فهل هي استراتيجية تحرر وطني أم دولة تتضمن عناصر السياسية والمقاومة، وبهذا الذاتي أم استراتيجية دولة تتعامل مع دولة أخرى مع دول أخرى ككناها دولة في صراع حدود مع دولة أخرى.

ومن غير المشغول القبول لا دوليًا ولا فلسطينيًا بحالة من الفصل بين السياسة والمقاومة، لا اختلافًا لحالة من «الوظائف» في الحبل العصير المصداقية بين المعمرين، والمقصود هو استكثار الكليات واستخدامها في الوقت ذاته استكثارها كعنايتات مثل سياسة إسرائيل الأمنية، في هذه الحالة تخسّر السياسة العائليين، عالم المقاومة وعالم الصلوات الدبلوماسية، كما أنه من غير الممكن القبول لفلسطين بحالة الصراع على الولاية كان الدولة قد تكونت، أو لانتشار الفساد المؤثرين في المرحلة من التحدر المؤثرين ترافقه كيشيديات المتوارية الوطني والمبالغة باستخدام روجول الدولة والكنان كتمويض من النقص في الك اوقع، من المجتمع الفلسطيني لم يعد يقبل بالانفاس خاصة أن الفصل على غلب «عملية»، خاصة أن جدواها السياسية غير ثابتة لأنها لا توضع ضمن تصور شامل للنضال الفلسطيني يشمل العلاقة الجدلية بين السياسة والهدف.

وقد أعربوا عدة مرات عن رأيها أن الحسم يجب أن يتجه باتجاه استراتيجيية حركة التحرير الوطني ضد حالة كحول تنابعية استعمارية أصبحت أكثر وضوحاً للعالم بعد العدوان الأخير. فقد إزال ذلك العدوان آخر الإهمال ما وجد وجود الحسم الفلسطيني سياسي ولو بنصف سيادة في علاقة تكافؤ من أي نوع مع إسرائيل، ولكن مسألة حركة التحرير تخرج السؤال الثاني

(٢) ما هي استراتيجية حركة التحرير الوطني الفلسطيني في المرحلة الراهنة؟ يجب أن تجمع حركة التحرير الوطني بين العمل السياسي والقانوني المشروعة ضد الاحتلال بحيث يحكم الهدف السياسي وطبيعة الأدوات المتوافرة والأهمية متفاوتة لأحداث العمل المختلفة وغيرها من العوامل مثل النشاط. يهدف العمل السياسي إلى تخفيفه الرأي العام الفلسطيني والعربي إلى التنازير على أي للعالم الأمريكي والأوروبي والإسرائيلي ويجب أن يتسلمه عمله من استراتيجية المقاومة. ولتألف المقاومة من مجموعة "عمليات، فاعل كل واحدة بشكل منفرد، على استمرارية، عملية، مبرورة تخصصها الفاعلية، والقابلية في تحقيق الهدف السياسي، والتقدم نحوه هو الحكم الوحيد في اختيار هذه الأدات أو تلك.

(٣) ولكن هل يمكن تحقيق ذلك دون وجود قيادة سياسية موحدة؟ لا يمكن إنشاء الأدوات النضالية بشكل موضوعي ومحاكمة جواها ونجاحاتها يمدى تقريبها ليجل العمل الوطني من الهدف، كما يستحيل انسحاب التكتيكي والتنازير وغيرهما إذا هنك تناقض ومزايدة على مستوى قيادة حركة التحرير الوطني. أي إذا لم تتوافر قيادة مركزية قادرة على صنع القرار وفرضه، إن كان جويماً أو تراجعاً، لا يمكن أن يتم ذلك على المستوى الفلسطيني بعد كل هذه التجربة الطويلة بالبحار والقيادة الموحدة، على أسس أخرى يؤدي إلى مجابهات ومواجهات أهلية.



يلف، النقاش الشعبي حالياً وبيوره حور، له النضالية ولكه لا يتناسبها ولا يجيبها ويمدو إلى أن القوى الماسعة في النقاش على مستوى القيادة ترفع بالإقتدار عن الد الفصالي إلى نقاشات على مستوى صراعات النقود تحت شعارات الإصلاح، ولا بأس بصراعات النقود لو تكتل تعطل وجهات نظر مثالية، السياسية هي هذه الحالة من هذا أصور أخرى عديدة هي أيضاً صراع على النقود ولكننا نرى السياسة مسمرة بقوة القصور الذاتي، ولا يوجد الفرق واضحاً بين الحصار وفق الحصار، وأن القيادة الفلسطينية في حالة إدراك أزمة، والمبادرة ما زالت أم بيد فاجر نفسه هي عملية استعسافية، لا يبد شارون، أو حكومة الولايات المتحدة، ولا يمكن أن تكون القيادة الفلسطينية العادة بالأساليب القديمة وما دامت تتجنب الأسئلة الثلاثة أعلاه.

## بعد الحسدون

من بين نتائج العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني، مجتمعاً ومؤسسات، يمكن اعتبار التفسيرات في الوضع الداخلي الفلسطيني هي الأكثر حساسية وخطورة، فقد تكون التفسيرات الفلسطينية لتعجزاً عن فهم التغيرات الداخلية الحقيقية، فإذا فسحت هذه الطريق إلى الأسئلة الصحيحة المؤدية إلى القناعة بضرورة إقامة

قيادة وطنية موحدة ذات برنامج سياسي مرحلي موحد وإستراتيجية مقاومة موحدة، فقد تمحو جدياً إلى بركة مقيتة من ناجية تنظيم وضع مؤسسات الشعب الفلسطيني، إذ لم يتم تخفيض التجربة كما حصل في حالة الأردن ١٩٧٠ ولبنان ١٩٨٢ على طرح الأسئلة الضرورية لإزالة القاعات المسجحة، فسوف يؤدي الزلزال إلى ألس يهوية السلطة بشكل مجرد فحسب دون أي بقود إلى طرح الأسئلة الصعبة، وسوف تفتح الطريق نحو الفوضى السياسية والاجتماعية وللتصميم والاحتلال.

وهذا ما تجلبه "الفتنات"، أو الحرب الكلامية، بين قيادات في السلطة والإجفة الأمينة للنسار الفلسطيني، منذ أن رفع الحصار من جهتي المكافحة في رام الله ويستمال الحصار الفلسطيني؛ كما يدور "الفتنات" حول "الأثر" من الأثر انقسام النقود لإقسام العمل، وأين الكفة أصلاً؟

لو نحن الوقت بعد لصراعات النقود، ففي ظروف حالة السلطة تخفي الصراعات باخناً إلى خلف اتصال، وسواك الشك أوساطاً واسعة من الشعب الفلسطيني إلى الصراع دون حول "الوراء" في حياة الرجل، لأن حسم هذه المسألة بحسم أيضاً أي مجموعات النقود يتحكم بالقرار الأساسي في حياته، كما يدور الصراع حول تحويل عناصر عرفات إلى رمز

(رمز محلي يعني رئيساً رمزياً وليس قلم الرمز) كما كتب مارتن إندل، السفير الأمريكي السابق في إسرائيل (ديومعه أحرقت)، ٢٠٠٤، ٢٠٠٤، هذه دون شك مشككة، وخاصة أن هذا الشك يفتني بوميا بزيادة الإشراف على صراع سياسي يرافقه صراع على نقود تتابعه الولايات المتحدة بقوة.

ولكن المشكلة الأكبر خطورة هو بشو حالة انحلال يزيداه حدة الحصار الذي يقطع أوصال الشعب الفلسطيني ويضعف مؤسساته بالفضل الاحتلال السياسي والاقتصادي.



وأيذ أن تؤدي حالة الاحتلال والتقسيم وضعف المؤسسات التي تعكس شرعية وطنية شاملة إلى نشوء مليشيات مسلحة في حالة انتشار الأسلحة، خاصة مع توفر كم كاف من السجبال الكيميائية والوقائي والإصلاحي والتدويعي لتفريق قيام شعبيها في أضر حي وثقل هذه أن تيرت تأثيرات بصورتها الجماعية والمصلحة الفردية لدى أعضائها، ويعدد الحركة بالقيادات الفصالية أو القيادات المؤثرة، ومن هنا لا توجد الطريق بالضرورة إلى الصومال وأصداً الحرب الصوماليين، فاجتمع الفلسطينيون على بيته، وكل هذا يتم في ظل الاحتلال ووجود حركة وطنية ومؤسسات ذات تاريخ وثراء وتقاليد ولكن

حالة الفوضى الاجتماعية ممكنة بأشكال فلسطينية وليس بالضرورة صومالية. وهي تقلل من قدر المجتمع الفلسطيني على الصمود، والنضال ضد الاحتلال.

ما زال الاحتلال قاصداً على شكل حالة إرهابية تحيط باليمن الفلسطيني، وقد كرست إسرائيل مبادئاً جديداً بإجتياح مدن الضفة الغربية ومجتمعاتها منتقل من شادات وضت شات.

ويعاني الشعب الفلسطيني في ظل حالة الحصار من سلسلة معقدة ومشابكة لا تعد حلقاتها، ولا تكتف ولا تنحصر من الإجراءات والعقوبات، يبدأ بالبحار، ومع لئاه من قري بيت فوريك وبيت دجن مثلاً (هل سمع أحد بذلك؟) وشمل حركة الاقتصاد إلى الإغلاقات المستمرة دون ضجة إعلامية، وتحاول إسرائيل في ظل حالة الحصار التفتت للفردية والجماعية هذه أن تحسّل إحتزازات سياسية إما عبر حملة فوضى سياسية فلسطينية أو إحتداد حالة غياب الفوضى النقضاني، وإما عبر إحتداد شرعية الجيش الفلسطيني في المفاوضات يوافق أي تغيير إيجابي للمفاوضات مقابل دولة فلسطينية بمفهوم شارون أو بوش، أو بالهجوم البشري بيهما.

لقد قررت الحكومة الإسرائيلية وسلطة البيت إبان الحرب على الشعب الفلسطيني إلى يمنع المسؤولون الفلسطينيون منصة في



## انتقالات منظمة التحرير الفلسطينية

من النضال من أجل اعتراف أمريكي

إلى توسل الفاعل الدبلوماسي الأمريكي

المستقل عن التحالف مع

إسرائيل في المفاوضات

الإعلام الرسمي الإسرائيلي، الراديوي والتلفزيون، ولكن فحة دون سابق إذار فقتت المبرك وفيات أمام قيادات فلسطينية ساسية، فلهذا بقوة الاستمرار وانهم غير منصة فلسطينية بالاحتراق الكلامي على الضفة الإسرائيلية كأنهم يتكلمون على منصة الصديق الأخضر، ولم يتسامل هؤلاء، فلما تخير فجأة الموقف الإسرائيلي " لماذا فقتت فجأة هذه الخصة أمامهم؟

ليس إلا نتيجة إيجابية إلى عقل سياسي حاد، بشكل خاص كسر إلى السلطة الإسرائيلية، يصبح الزيت على نار الحصار العديم العلاقة مع مصالح الشعب الفلسطيني وهي مشكلة ليس نقاش إصلاح ديموقراطي أو هو نوع، والإصلاح السياسي الديموقراطي الفلسطيني لا يمر عبر الإذاعة الإسرائيلية الرسمية.

تتبدت ظاهرة التقسيم والاحتلال الأذى بالانتشار من طريق الإصلاح لا يمكن أن يمر إلا عبر الشرعية الوطنية ومؤسساتها، وأن هذه غير ممكنة حالياً بعد العدوان الإسرائيلي دون حوار وطني شامل بين السلطة والعارضة وداخل السلطة بقدر إلى قيادة وطنية موحدة ذات برنامج سياسي موحدة، على الأقل مرحلة جويها (مثلاً إلى قيادة سياسية)، وذات استراتيجية متجانسة تجمع بين السياسية والمقاومة.

ولهم تقوم قيادة وطنية موحدة إذا لم تقتنع القوى السياسية الفلسطينية باعتبار الصلحة الوطنية العليا فوق المصالح القوية الضيقة.

وأن التعددية والنقاش والحوار يتم في إطار هذه التعددية الوطنية الطبع المصالح المصالح والمنفعة من الأضرار الوطنية، لتصلها المنطق عليها كما أن تقوم قيادة وطنية موحدة بالارتباط القاسية وهدمها، أو إجنيز السلطة وأمر السعاة هو إجراء وطني شامل يؤدي إلى قيام جهاز شعبي في القرى وأند، والتميمات الفلسطينية تصلح قاعدة وطنية شهية بقيادة الموحدة

وتنح لا تطل من أهلية المناقش الذي من الممكن أن يتشكك من القيادة الموحدة وحيث السلطة المركزية، ومن ضمن الحسان الشعبية والأجهزة الوطنية المحلية لا توجد سلطة طبقية ذات برنامجية، ولذا أيضاً طلباً إلى بصمهم الحراج السياسي الفلسطيني مسألة حركة حرج وطني أم دولة عندها فستعطل مؤسسات القيادة أن تتعاضد وتتعاون مطلب من الجانب الشعبية ذات الطابع الإسرائيلي، كما فستعطل مؤسسات مثل المجلس التشريعي، وهي تحتاج مساهمة إلى تفعيل وتنشيط، أن تتعاون مع قيادة وطنية موحدة، ويناقش المجلس مثل هذا الموضوع، وإيشارك أيضاً بإقرار طبيعة هذه الفكرة، وتدعمها سلطة على هذا الموضوع سيكون بالإضافة أيضاً تشخيص الإشكالات المتكئة ووسائل النطق عليها خاصة بين السياسي، المثقل بالقيادة الموحدة، والتلفزيون، أي أجهزة السلطة

ما إذا لم يتم التوصل إلى هي صيغة من هذا النوع لابد من إجراء انتخابات سياسية، أو تخاض انتخابات لتحويل هذه الانتخابات إلى نوع من التعبير عن كل تقرير المصير، يتوجه إلى العالم أن يحترم نتائجها السياسية وليس لصداية أي شئ من هذه النتائج سوف تخرج إسرائيل، لا مانع أن تؤدي الانتخابات إلى التلال شامل هو تعبير أكثر ديموقراطية عن القيادة الوطنية الموحدة، ولكن هذا النوع بشرط أن تشارك في الانتخابات قوى سديقة على كائنات حديد، ولا تقطع المعارضة الانتخابات، ون تمنح الشرعية لخطت تعثر أمريكا وإسرائيل مظلمات إرهابية لتعشرك فيها، هذه مفرقة أخرى لتسحق أن تخاص، لأنها تستعبد مع الفصيلة الوطنية والهدف السياسي، هذه المعارك هي تعبيرات ديموقراطية عن كل تقرير المصير، ونصب في النضال ضد الاحتلال

## انطباعات

لماذا تصمت العلوم الاجتماعية عن أسباب ودوافع السلوك السياسي الفلسطيني عندما لا نتجح الاستراتيجية بصحة؟ من المألوف أن العلوم الاجتماعية قد وجدت لتقدم محاولات إلى الأقل بالتفسير العلمي لملل هذه الظواهر فلماذا تنتشر الفصيلة الإسرائيلية في تفسير السلوك المصالح الفلسطيني وتصمت العلوم الاجتماعية التي لا يخلو الاستشراق منها عن تفسير ظاهرة تزايد عدد الشباب الفلسطيني المنحصر عند حياته لمن تضعيع الطبق الأخر، المستبعد، ضما ليس بالاعتكاز تبرير هذه الظواهر، وقد تحسوت إلى ظاهراً لتألف الشديدي، ولا يبد شارون، أو عنها أخلاقياً إلا عبر قيادة وطنية ببيعة الحياة باعتبار أن هناك قسماً نسبي منها هي للشم الأخلاق والقيم الاجتماعية المترتب على ذلك وإذا كان من الصعب تبرير الظاهرة، فإن العلوم الاجتماعية لا تفرس بالأم من محاولة التفهيم، ولا يمكن أن تكشف بطراوح "التفسير" السائد بين طلب

# وما العمل



الجنة انطلاقاً من عقيدة -يحدد طبيعتها- علماء استشرافي وبين اعتبارها حالة يأس فلسفيا قد يؤدي في حالات نادرة إلى الانتحار، ولكن لا اليأس أو القنوط يؤدي إلى عملية استشهادية موحية في خدمة قضية وحلب الجنة لا يتناقص مع بقاء الحبيسات العنصرية واستمرارها، بل يبينى عليها، وأما طرة نفاذها فهو لا يصلح لتفسير الملوك السامسي والإحتشامي بل يحتاج بذاته إلى تفسير.

عندما نلاحظ علماء الإجماع الذين يصدرون إلى ما هو أعظم من التقرير الصحفي أو عندما يرفعون يحتاجون تغطية الاستمارات الإحصائية ليندووا إلى تحليل أقل من صحفي شأن المحابة للمنظمة وإسقاطاتها على السوسول السياسي للفلسطينيين، إذا كانت توضيح شيئاً مفهوماً، أو أن يجدوا أمامهم الخلفية الإطباعية التالية، التي لا تلتصق لافاقا أن تقدم شرحة، والتي من المفترض أن يلمسها أي باحث ينظر في مبرر الدواوس وغير مبدل الإحساس قبل أن يعد نماذجها الفظرية ودوائها المستصورة.

إن قياس القمع الإسرائيلي بعدد الضحايا الفلسطينيين وعدد الجيوش المهددة وصفه المدين وعد العقلانيين وغير محاكمة وحده لا يكفي. هنا إحتلال استعماري، وإحتلال استعماري يكرس ذاته باستدامة القمع والقوة، ويزداد استدامة القوة كلما ازادت وتيرة مقاومة الإحتلال، ولكن في عصر لم تبق فيه إحتلالات كولوئيلية يفرض أن تزداد حساسية قرأى العام العالمي حالة الإحتلال، ولكن ذلك لا يصلح في فلسطينيين بالشكل الذي يولد ضغطاً دولياً كافياً، ويتم رسمياً فقط بعد التأكيد على توازن بين الإحتلال والواقع تحت التأكيد على وامة وإخلفة بعد مفرقة، بعد أن السواوس بين الحصل والواقع تحت الإحتلال تؤدي إلى شهور فلسطيني مضاعف بالنظم.

لأن المحللان لا يتفقون إلا بعدة بشأن تفهم الكولونيالي وصبروت، ولكن إسرائيل انزعجت تتحدث وتكلمها هي الواقعة تحت الإحتلال وهي تحتاج إلى كم هائل من الأكاذيب لكي تعطى المبرر لهذه السواوس بين المجرم الأصلي وعنه وبين الضحية وعنف الضحية-أي المقاومة- لذلك يضطر الفلسطينيون أن يسعوا إلى إضباب إسرائيلي يؤول في مؤثر صحفي أن إرايميين فلسطينيين يشتقون كهمية في كنيسة المهدي، وهو يقول ذلك دون أن يريش له جنى أي أن الكذب ليس ضمة بظفر أو منظر رؤاسته ومرواوسية، كيف يبرهن إسرائيل مصروب في كهمية عندما يبل العنصرية العرية، رأسه ويضع في المصروب أين العنصرية الفظيرة قد أتمت عليه وإن هذا، الإعتداء، تابع من عقيدة الضرب وعقليته الإجماعية بعد استعراض تاريخه وسلوكه وإفلاظه هرامفا على الفرق بينه وبين السامعة والشكل والكمية الغنائية يعطفره على عرض اعنائه بلغة المصنام مولات بمصاحف معاقرون مع القضاة نفس أوقات الفراغ، تخلوا حالة الغضب والمرارة والعجز الذي يشعر به الضحية وكيف لا تظفر بيانه كيف يجن يبيدا بالتكمير في القاعة عندما شعر أن بعض الحاضرين بدوا يصدون اليأس، لم تلبث أن تنكسر أمامهم ويبدأ الكوميدي، وما إن تقدم أعصابه حين يبدأ المجرم الحنوق الهادي الأعصاب يهز رأسه بإيماءة الأعارف الحكيم: ألم أقل لكم؟ فترداه عصية لتفهم المجرم والتفكير أيضاً، اضرب هذه الصورة حساسية بالف كذبة في اليوم يسعها ليس من تعرض للضرب بل من

لقد وطأ ثم أخا أو أمّا، أو من فقد منه، أو لا يستطيع الوصول إلى المستشفى، أو من لا يستطيع أن يوصل زوجته التي يجب إلى غرفة الولادة، معقد روحه على الحاجز مع عجزه عن إنقاذ طفله الوليد، أو من أصابه حصار بول من المعتقلين الذين لم يسمح لهم بالمول قابوا أن يتولوا في شايهم تحيل أيها الباحث كيف يحس أولئك عندما يسكنون الكتب الإسرائيلية؟ الظاهر والمذانة الإطباعية للمهة الأولى أمّا اساحت إذا هي، تأخير كذب المجرم على أعصاب الضحية

شفت طريق الإحتلال الإسرائيلي للفلسطينيين والنداء والتودير، بالقل والتدمير، المجرزة والمصادرة. ولكن الإحتلال الإسرائيلي يختلف من بقية الإحتلالات بأنه يحتل الأعصاب أيضاً، إنه عصامي استحوذ الطامع حتى ليخطر ببال الإنسان المتخوسه أنهم يريدون الدخول تحت جده، لأن ييسر منح سبارات الإسماع من الوصول إلى الجرحى غير الرغية بتعذيب الناس بشكل سادي، صحيح أن المجتمع الإسرائيلي هو الوحيد بين المجتمعات الكولونيالية الذي يرد في الخلفة بشكل موحدة أية حرية يظنها الماطق يسلن جيشه من نوع أن الفلسطينيين يستخدمون سيارات الإسماع لقل الأسلحة أو لتحرير الموقوفين وتوهم هذه الفرية ساعها أن الفلسطينيين لا يسيرون سيارات الإسماع لقل الجرحى إلا فيما ندر، لا يمكن تفسير إزلال امرأة يريضة من سيارة إسعاف على حدود القدس والبدء بتفتش السيارة بيده بحيث يعطى كل جندى على حدة لجانب نسوا تفقيشه، وإماته لم يكتفاه الزوج بعد، والزوجة مددة إلى جانب الحاجز على ثلاثة المزمي، وجوه الجنود عابسة كأنهم ينفون مرضه عسكري مصيرة، ولعنه ويتبادلون خابريه تعقيداً انشامات عندما يتبادلون النظرات بخفية، يتكلمون.

لا يولم جيش يرفض منع التجول أسابيع متواصلة لا يستطيع خلالها الناس العمل أو التزود أو مجرد التقلع أو ساقه الحجلات أو اكبرها إصلاً، حتى، ذهني تساهل كافة مهامه، لا يلوو جرحين نقاش باعتقال جميع الناس في كافة المناطق في يوتنهم إلى أو يفرغ من مهامه، إلا أنه تملكته الرغية تنطلق الناس درسا، أو أن الغضب والعصية استحوذوا عليه لأنه لا يستطيع قصف هذه المدن بالطائرات مصحها من لتصية لا يريد الضحية ماى من مشاته من ناحية أخرى، لذلك فهو يقوم بدلال الفلسطينيين ليس كخطوات وقائية (مسمومة) فحسب بل كخطوات انتقامية (إسموحوية) وقلاقية، سريهم مع وماذا يماور، سينتقد الجندى لأنه القاضية على الفلسطينيين لأنه لا يمكن صومهم عن الأرض من الجوى، وهي بالناس خطرة للقلق على ابنه الذي لم يسعده الخط أن يقيل في سلال الطيران والتواجد في طوكره بنفسه شحميا فجلاته لم يفلح أن يتدب منه طلرة أو صاروخ طواوول يمدح وسط المدينة، وجمنى أنصر بول إزال الفلسطينيين ليجمع مادة للحديث مع رفقاءه الميار أو لتقوى عند مخرجوه، أول سبب بعد الخدمة، كيف يتصرف هؤلاء الفلسطينيون إذا «مهرتهم»، أو أن طللت منهم خلق السروراني واشي بوبوتا من الحاضرين، وكيف تصرف رب البيت عندما امرنا زوجته أن بعد لنا الطعام بعد أن قضا بتفتش البيت،

منا يفعل الفلسطيني الذي زامه يسرقون المتاجر ويهونون المكاتب إذا قرأ ترجمة خير من صحفة «يديعوت اخرونوت» أن مجموعة من الجيود الإسرائيليين تناولوا طعام الشواء على طاولة عائلة فلسطينية بعد إقتحام بيتها لم

أبي أفرادها إلا أن يجمعوا بضع مئات من الشفلات الخشبية العائنة، كان الفلسطينيين «يسرقون» للأسباب حتى وهم تحت الإحتلال، وكان الإسرائيليون مضطاط وجنكتم، وفي هذه المجرزة وفي الإحتلال الإسرائيلي لا يمكن الحطالة على المجدف الشخصية الإطباعية، فياضلهم، وجنكتم، والذي يمكن من القفو عند التفرقة، عندما تميز الإحتلال عن البيت، في الإحتلال الإسرائيلي لا يتميز البيت عن الإحتلال لا بأل ما يرايال الحضارة واليابعد الفارخي، البيت هو الإحتلال، والفارق هو أن إحتلال ١٩٤٨م ١٩٦٧م إكتفى بعيرى بعض التواب اليكوبيين التكتيكية: إذا أردت استرجاع نابلس فلماذا لا تطالبون باسترجاع يافا، وما الفرق بين ١٩٤٨م) والماساة المارعية والحرافة بينهما لا تقيم لقصصا الشخصية، وإنك ينقص الجندى يسهولة ويسر شخصية لحتل، ويحتاج إلى جندى فحسي إكتريه أكبر حتى ياقوم نفسها، الظاهرة الإطباعية الثانية التي يجب أن نلاحظ من تلك البحوث هي ذلك الاستحواذ اللاعقالي العصامي القادم من التطبيق بين السياسة الأمنية والانتقام والعقاب في تعامل الجندى الإسرائيلي المتوسط مع الفلسطينيين أبناء المكان، يتضمن كل إحتلال اغتراسا عصبيا مهينا لواقع تحت الإحتلال يتمحور أساسا حول ثوق لحتل، ومن دون هذا الافتراض الكولونيالي يصعب تبرير موقع السيطرة والتمكيد، وفي الإحتلال الإسرائيلي لا يكتفى بهذا الإحتلال الضمور أو الصابر، بل يتجاوز ذلك إلى إحتكار دور الضحية، وإعبار اليهودية شخصية العصرية الإروبية الاستعمارية وغير الاستعمارية بإماتين، بل يتجاوز دور الضحية إلى التناقص، التبعولوجي الضحية الحقيقية في سياق الإحتلال، من الصعب أن يكون الإنسان فلسطينيا، يقول شارون إن يطمح إلى تفرغ مساندة الفلسطينيين بعد التصيب بها وفق منسوبها لتضع عليهم، أما جولدا مائير فقد أعلنت: «إن نسامح الفلسطينيين لأنهم يجبرون أولاتنا على قتله».

يرجع الواقع تحت الإحتلال لفسيمة العنصرية ومعالته التكتيكية «لضطراره» أن يجمع تناقض معاناته في أفضل الحالات، هذا إذا لم تتوحيق، علميان أن الضحايا تجمععت في جبهة من الناس جرح جيل يترق بعد أن طعة سارق، وأخذت بالصراخ طلبا لاصحائي نفساني لحاجة التناقص السابا من الدواوس سيرة إسعاف المهدت عليه، لا يتبع الإعتام الدولي بالقضية الفلسطينية من الإقتحام المباشر بل من الإقتحام الحلي في كل دولة على حدة، ومن الإقتحام الدواوس بالأساسة اليهودية المتشابهة مع قضايا الهوية القومية والذاتية القاضية في سياق علاقة فلسطينيين والقبضية لفلسطين، وتشكل كهمية لعامة الفلسطينيين عامل تداووا وغير مباشر في تعديل وعادة عائل وتعرف بعد الهوية، إساق لنا الإقتحام الدواوس مع الضحية الفلسطينية حليا لأنه منع ضحايتها كمساة كولوئيلية، وزادها تحليدا، ولكن عوامل الاعتاق في ذاتها حول تقييد درجا سبوة، هذا الحلي لا يلائق الفلسطيني بدرجة سبوة قتل الإندونيسى أو السواوي، لقد قتل المئات أثناء مواجهات بين متطرفين وحكومة أوغندا وأنش عشار المواطنين الإندونيسيين في مواجهات بل غارت كطالفة، في السب السواوي الذي جذب فيه الضحية على حد شهاده مخيم جينب اهتمام وسائل الإعلام العالمية، ولم وقعت فيه مجزرة مقصودة ضد المدنيين أو الجرحى من حرب، وقعت مجازن أخرى في مناطق أخرى لم تلتفت نظر الراى العام، إن ما يعقد لنا الحسالة الفلسطينية هو ذاته ما يقيد إيدى إسرائيل عن ارتكاب جرائم أكثر طاعة بسهولة أكبر لم تمتع إنسانة في إسرائيل حينها من موحى جنين

الحدث العادي والاربعون، يوبية ٢٠٠٢م

أو البلدة الفلسطينية التي تأسس على الأرض، بل منعها نفس العوامل التي تجنّبها التعامل الدولي معها كحالة استعمارية. ليست إسرائيل كلفة القدرة ولكن إسرائيل تمن على الفلسطينيين بأنها لم تزكهم جرائم القبر. وكان الشعب الفلسطيني أن يشكر الله الذي ورّعه على إسرائيل وليس من دولة أخرى، لا تستمال من عن الأرض حسبا، ولو بدوره لا يسألها، ولو جرى حسابا ظريحا، يحكم تعريف الحساب عندما يتعلق بحياة البشر. لو جئنا أنه كما إسرائيل الفلسطينية في القضاء الفيزيائي من قبل، قلنا كما إزادت قيمة حياة ومعاثات، الفلسطينية في لبنان يقل في غارة إسرائيلية بسهولة لأن من أين الضفة الغربية، الذي قد يسهل موته مقارنة بالفلسطيني المواطن في إسرائيل الذي يبيع موته كقيمة بلجان تحقيق رسمي. وقد كُفّرت حياة الإنسان الفلسطيني تتناسب عكسيا مع مدى بعده عن إسرائيل.

شعور قلبي أن شتت في حياة الضحية من عن قربها من الظلم. يضاعف هذا الانشقاق الذي يدور باليمن وعدم الاتصال، كما يزيد من الشعور بآثار أسدال الألق على الواقع تحت الاحتلال إذ كانت البراءة إلى اعتراف العالم بمعاناتها هي التماس التي تلتصق على العامل الخفي المستعمر لتعمر القبايل إلى العلم عبر مظلة ومشاعره وتبريراته. لذلك تلك المعاناة النفسية والصعبة مثل ذلك الجزء من المعاناة التي تنبع من أهمية العامل لا قيمة الضحية. وهذه ثلاثة الظواهر التي تميز حالة المعاناة الفلسطينية.



في يحصل في تاريخ الاستعمار أن دعى هذا الكم من نخبة المثاليين والواقعيين تحت الاحتلال إلى الحوار في العواصم الأوروبية. كما لم يحصل أن استأثرت أهمية الواقع تحت الاحتلال من قدرته على خلق موازنة حورية مع خستل. ولم يسيق أن اختصر هذه العدد من الكتاب والمقالات تعرض إلى يعضها بمقابل ملقى المثاليين في جسات حوار واعتراف متبادل. ولم يسيق أن شوهت ثقافة الشعب الواقع تحت الاحتلال في هذه الفجوة، بحيث أصبح احتضان للثقافة لا إبداع بل ابتذال، أخضاره كمنطق لغرض الحوار، قوله لعله لتفادى الهزيمة مع مضطرب شعبي التي تجعل منه ملقا مشوها. فقام هذه السابقة ردة الفعل الرافضة بشكل ملقى التي تحول معانيتها أيضا إلى حالة خافية لغيرة لفهمون النخبة معتمدة على في الرض كربة لعل لأخرى. ولم يسيق أن أنجبت (البالية السياسية) التي جعلت politically correct هذه القضية من الأوامر والمساواة والتكافؤ على المستوى الرمزي بين غير المتساويين وبين المتكافئين ما يضيق من عرق المساواة على المستوى الفعلي. يوافق الفلسطيني بالمرزمية بين سطح كتمسوخ من غير الواقع وإنما لأن حالة لوازى والتكافؤ للكتابة والتضاعة عن حقها في كبر من الرمز بخفض النخبة من الخفاضة الفارقة الثانية بعدد الدولتين والإنتاج الثقافي إلى التناقص بين ملقطين بالانكسار الدبلوماسي على المستوى العالمي. يخلو الفلسطيني في حالة متضاربة خادعة ومخاضة وعرة النتائج ولا من حالة الصراع الواقع مع المختل، قد المخطوب ليس أن تتفق بل أن تتحرر من الاحتلال.

ويفرق المضمخون الذين يعضون بين الإصرار ومواجهته وبينهم وبين الإصراف حقوق شعبهم في هذه المرزمية الرحمة لإنصار السلام إلى الشعب المختل، فهم يعترفون مرزا بنيتهم هذا كهدف مرمى عن إحقاق الحقوق

لشعب الفلسطيني والتمثال من أجل ذلك ومن هنا الحق الخاص لصناعة الهوة وشبابها قريبا وراء الدفاع وعن تطويرها، هذه الهوة التي ينوب فيها أبطال هذه السياسة عن شعهم فكهم متدليل لهويته.

لم يسيق في تاريخ المستعمرات أن طلب من الواقع تحت الاحتلال أن يضمن أن المختل، ولكن صناعة التكلف والتمسوخ إلى الكرامة لا تتطلب هذا فقط بل تتطلب ضمان أن المختل نفسيا أيضا. ولم يسيق أن طلب من الواقع تحت الاحتلال أن يعترف بالاختلال القائم بحسب بل بمعانته وبأكرته التاريخية وبيحة الموارى.



تتعالى الحالة الاعلامية العربية مع المعاناة الفلسطينية بالقياس العربية ويسيغ الفلسطيني أخبار شعبه ومبدته وحارته من العلم الفضائي الحديث. لقد باتت حتى أخبار الحي تمر عبر صفات الفضائيات، ويات الفلسطينيين يتعامل بين سطح مع معاناته بل مع صورته في وسائل الإعلام العربية. ولتتعامل وسائل الإعلام العربية مع معاناة الفلسطينيين العربية فحسب، بل ويتناصب فيها حجم المعاناة مع

في كل حركة وطنية تعيش طفيليات على جراح الناس الضخوة وقبيحة. ولكن الاعتراف العربي والدولي بالقضية الفلسطينية جعل بالإمكان الارتقاء بالتامل إلى مرتبة الصاعقة وتحول إلى... القضية الفلسطينية، إلى هدف أو غاية أو إلى واقع معاش يتغنى الخطأ عليه. من هنا لم لا التناقل بالعرض الوطني مع حب فلسطين وحج الرحلة لشعبها إلى حب القضية الفلسطينية. ومن الحياة الحقيقية المعاناة التي الولوج بالعرض للعبرة عن «القضية» لقد نشأت الولوج «القضية» دراما إعلامية لتعيل بهكم هائل من التمسيل والكتب السياسية بصرح اقتبس الشريعة من استخدام لعل الضحية. ما يلي انقراض والاحتجاج الحشون وغيرها مما يابغ صاحبها لنما ويسببه شرعية.

يضفي حب فلسطين تشعب محل وكيد محتل الضمعية في معركة الفتحير فيه هذا كقول الضمعية في هذه الحالة لعل هذا قاعا بلاته. بل يحاول الماقتول تتيب الضمعية خاصة إذ كانت بحياة الآخرين. ولكن التعبير عن حب القضية الفلسطينية، ولا من الفلسطينيين، يتم بالمعانة أو تعميها رمزيا وتحصيل اعتراف بين ضمن الحبر العام. كما فعل الصلحة باستمرار الضمعية كحالة خافية صوبتة تقضي الضمعية بحياة الآخرين، ومن ثم الحياة بحجمها ترضية للضمير وتعويضا مراحيا



## السلول العربي متاعف مع الفلسطينيين

### وإحاطت عليهم في الوقت ذاته أنهم يشكّون له عن معجزه. ويضطرونه إلى إخراج ذاته وإخراج الولايات المتحدة لو أراد أن يرحى تعاطفه العنان، ولو أراد أن يتعاضد مع مزاج شعبية السياسي

عن عدم المشاركة بالتضحية، ومحاولة لتحقيق أغراض استبداد، بل أغفل لقائه، ممكنة من هذه الضمخيات.

تصلح ضمعية القضية غطاء لمن لديه مصلحة باستمرارها. كما يعطها ويمعط كاتوليكية الجارة ذلك الذي استختر ضرورة تصليتها لتخفية صفات تيرر يحمل «الصيغة» الجارة غير المجرى من كلمات ولا معاني بل من استمرات وصور «المصمود والمقاومة الطويلان» يصلحان لتجوير «الحضي» في نفس الطريق، دون تخليص المارقة بين الوسيلة والهدف. أي بين الوسيلة ومخاضها. أي بين صفة واعتي الأولى انقضاض على الوسيلة. كما يصلح «المصمود والقتال الطويلان» لتجوير العودة لقول ما في قلبه وتاثيره بقائلي على أن التناقض بينه تاسس على خبيثة الرض، ذلك أن هذا المصمود لم يبلغ بتخريك العالم العربي، كما يدعي الضمخيون وروا، ولأنه لم يعدل مسيرته القوي المختل لصالح إسرائيل. قد صمغ ضمعية القضية حبال الوجهة والجدود والقتال العارض سائر الدراجامة التجنّب ولكن الفارقة في أن إيجازاته في الأخرى.

لعل الصمغية تمكن من إطلاق الهيدان الحبيب الغريب «عالمين وإحسين شهيد» ملايين...» خيف ملايين...» ولأنه ملايين»

من سيقلي يوجب روح هذا الهتاف ليحتفل بتحرير القدس» وهل تحرير القدس هو الهدف أو تحرير القدس لتكون القدس عاصمة... كان الشعب الفلسطيني يساقط هذه الاستلة أو أخذ الهتاف بحدة. ويكنه يعرف أنه لا علاقة بين هذا الهتاف والقدس الحاضرة. ضاماً كما يدور العرب هذه حقيقة الرصداء العرب الذين يريدون فلسطين «مليون»، «مليون» مواطني الحرب مع إسرائيل. فهم من ناحية يدركون عدم جدية وغيبا بدء السرايين بحياة ملايين المواطنين في خوض الحرب. ولكن هذه الصيرورات من الضمعية أحرى تدركها بالاستمرار بالحق، حياة المواطن اليومية ضحية دالة الماقتول هؤلاء. تؤدي ضمعية الضمعية إلى تناسب عكسي بين ضخامة الشعارات وضآلة الممارسات

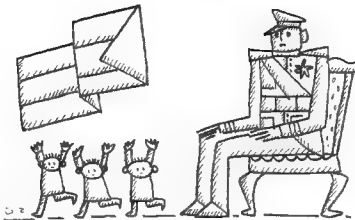
تشكل لعة «القضية» والمخاضين عليها كصاعقة من رفاهيين وتصويين مصدر ارتباطا شديد الحالة السياسية والشعورية الفلسطينية بصرع عنها بالانقلاب السريع من الحساسات الجراف والرفض إلى برامج الحقائق والترويج إلى لا يوع الحقائق تركه. كما يصدق كل إشاعة عن البطولة، إلى اليأس والوقوف القاتنين، لم إلى التشكيك بل كشيء، كما التشكيك المصاعف وأما بلغ الأمارة. والذين يصدق إلى إشاعة عن «الخطية» هذه المرة، هذه في المقابلة ابراهيمي ينصب بعدد لا يرسك ضحايا سياحت للشعوب تتصلق هذه الظاهرة بالآراء السياسية، والإرادة السياسية هي العالم الأكثر أهمية في مرحلة التحرر الوطني خاصة بالنسبة لمن يعمل ضمن اختلال في موازين القوى في غير صالحه معطى، كما هو الحال في النضال ضد الاستعمار.

قد نشأت الدراجامة تمنع الجمع بين المبدئية والعلانية؛ إما ما مبدئية عجيبة وبوجاهية نقص جرعة حاضرة وإما علانية متلطفة نشأت عن طريقة لطرح تدفق الهزيمة بشكل عقلاني. تمنع عجيبة وإشادات الحالة الفلسطينية انتقيد العقلاني التقى لمراحل. ويمنع غياب اكتشاف شخصي والتقييم التقديري إمكانية وضع است نتيجة تضالفة.

وما يستحاجه الشعب الفلسطيني، ما يحتاجه الفلسطينيون الآن هو تخليص رافلي في عصره في العراق على مجريات التفتيش وصيغ مأساة أساسية استراتيجية سياسية تشتمل برأينا استراتيجية مقاربة مع هذا الاختلال. تتم ملل هذه المخاضة لتجارب السابلية في لبنان والأردن والكويت وإن الحالة الفلسطينية تلتحت إلى حالات متناقضة كل في داخله، فحالة متلففة تتحير هو شعور قائم بلاته لا علاقة لاعتبارها بنقاش الجاسم. وندية مجموعة مصالح واعتبارات القلبية وروية لا أصلا إلى شوارع يعكس الجوء إلى أحدا تجنبا لانكسار بالقتل في الأخر بل إلى يكون بالإمكان اعتبار التفتيش من حقني. بل ويهدا المعنى فإنها فائدة لا تهزم ولا تفرق يعنى الفرق لا لتفرق بالقتل إلى قتل. وفي ما يفسر الفرق بين أزمة أبريل ومايو من العام ٢٠٠٢ وبين سبائاتها في غياب دراس سياسي لفلسطيني يصلح للاستدلال بالحق الفلسطينية بعد الصلحة والقطاع. وقد يحسد ذلك ضرورة الاستماع إلى ما يقابل

## كلمة خاتمة

إذا كانت المقاومة أمرا مدعوما، فلما يعنى الجميع بالمقاومة التي صمدت أماما طوالات في حزم مجتهد بينه على قمر القاموسين «إذا كانت المقاومة أمرا محسوبا فلماذا لم يدع المنغون بها إليها» تايكف عن ممارستها عدما مضطرب الإراد



■ في المبعينيات، جُثت سفينة مصرية في شاطئ الإسكندرية، وتشتت جوايها، أياها قال لي صديق عزيز كان من رابطة السفن الكبيرة، «إن ريان السفينة انحازت لخطا بالاقتراب من الشاطئ عندما اشتدت به الريح وعلا الموج، كان الأخرى به ألا يقترب من الشاطئ وأن يدخل سفينته في عرض البحر» سألته متحجباً وكيف يكون عرض البحر الهائج أن على السفينة من الشاطئ الأمل مياحاً، فاجابني بأنه عندما يشتد الريح ويغنو الموج، فإمان السفينة في العمق، إنها إن اقتربت من الشاطئ ضربتها الأمواج على مشوره فلتكسر، أما في العمق فهي كلها أمواج في أمواج، إن ضربها موج تلقاها موج آخر وصلها، وعندما تعصف الريح ويغنو الموج قلاسان في العمق

وعندما يصف القرآن الكريم في سورة دهم، حادث الطوفان، نعرف أنه لا علا لماه وتفتقر به يتابع الأرض وهظت به أمطار السماء، وظل يعطو على الأرض ويطلو، حرب ابن نوح من الماء وظل يصعد ويصعد لئلا يصله الماء، حتى بلغ قمة الجبل، ولكن المياه علت وعلت حتى أربكته فكان من الغرقين، أما نبى الله نوح عليه السلام، فإركب بالحكمة الربانية أن الأمان ليس في الهرب ولكن في المواجهة، وأن الأمان لا يمشى في مسطور الشواطئ، ولكنه في عمق البحار الهائجة، وأن الأمان من الموج في الموج نفسه، فلما بلغت الأرض ماها والقلت السماء وغشي الماء، ساحتها فقط استوى نوح وسفينته على الجبل

ونحن الآن، على هذه الأرض، منذ ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ضد العود الأمريكية، ومن أكتوبر ٢٠٠١ ضرب أفغانستان، ومن ٢٨ مارس ٢٠٠١ تصاعد الاجتياح الصهيوني الأمريكي لدس فلسطين بالسلطة الغربية.. فالعاصفة قوية والريح شديدة والموج هائج، وكل ذلك يتصاعد ويبلغ العراق حيث جبل الحدود الذي استوت عليه سفينة نوح، ومع ذلك فليس من بين رابطة الدول العربية من أدرك حقيقة نوح عليه السلام، وليس منهم من أبشع من صديق ابن نوح، وما منهم من جنح سفينته إلى مسطور الشاطئ، هارياً من الموج أوباً إلى ما يستكسر عليه الشواطئ

ونحن نعرف من فلول إدارة الصراع التي جرحته التصاعد المخيفات بين طرفي الصراع، إبان من يقف الأوكيون هو الهالك والمهزوم، إلا أن يكون متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة، إلا أن يكون قابلاً على عمق القتال وموصول الاتصال به ولم يبق سلاحه، ولا من مرة في التصراع العربي الصهيوني الأمريكي بادري فيها بقبول إقصاء السلاح إلا وبادرت علينا الولتر.

ونحن نرى علينا أن ننسجده الحكمة من شعر نبي الطيب الغنصي بعد يقول: عرست في الأفق حتى تركها

تقول أمات الموت ما دعر الأعر

## فلسطين .. الأمان في العمق

### طابرق البشري

[١]

نحن هنا لا نتكلم عن العنف الحتمي، لكننا نكلم عن وجوب المواجهة حتماً بالطريقة المناسبة، وإن كان العنف هو الخيار المأخوذ والرائج الآن، وأنه هو السبيل الذي لابد من ولوجه في الحالة الفلسطينية الراهنة والمعيشية، وأن السعي الصهيوني لضم القدس للأراضي المحتلة وإقامة المقصورة للشعب الفلسطيني والتجهيز للزعم بالقوق، كل ذلك لا يواجه إلا بالمقاومة العنيفة، وما كل يمكن لاتخاذة أطفال الصحراء في ١٩٨٧ إلا أن تتطور من طريقها في انتفاضة القدس في ٢٠٠٠، فيصير الأطفال شباً وتصير الحجارة رصاصاً ومفجرات.

وإسرائيل مجتمع استيطاني إيزال بنشاً ويتوسع، والمجمعات الاستيطانية لا تنشأ بلحق بما تنشأ بالقوق، والمعاداة التي ينتجها هي: القوق، إلا أن الواقع، لم يد ما يدعي بعد ذلك من حقوق، وهكذا قامت أول جارات لتحتها، ولا يقابل ذلك إلا بالهتة المؤدية، أو والمقاومة والعلا العدواني العنيف، إلا بأن القوق ستترك أضراً مادية للصالحين وإيجاعاً جسيماتاً لهم، وإن المعنى أن يخلق كسباً بعوداته، إلا أن خسارته للمائة والبشرية تلوق ما يعول عليه من كسب.

يعني أن الأعداء هنا تتعلق بالكسب المادي واستغلال الضعفات، أو تتعلق بالواقع الاستراتيجي والعسكري لضمان الانتشار وتأمين طرق المواصلات الموبدة، أو تتعلق بالقوق السياسي في مواقع الهتمة، وعلى أي من هذه الأعداء فإنه إذا فسدت إمكانيات تحقق الهدف بسبب جديده المقاومة واستمرارها وتحديدها للأعداء المطلوب تحقيقه، إذا حدث ذلك يكون فشل المشروع.. وهنا نجد أن نوع المنافع التي كانت مرجوة هي منافع قصيرة المدى نسبية وقابلة للتغيير والاستبدال، وأن عدم تحقيقها وتغير عدم إمكان ذلك يؤدي إلى استبدال غيرها بها وإلى تخليدها، فيحتمل العتدي عصاه ويرحل.

إذا كان يمكن القوق بأنه لا مهرب من استخدام العنف عند مواجهة استعمار استيطاني قائم على كسب الأراض الواقع بالقوق أو يتوسل لذلك بإعادة أصحاب الحق وأصحاب الأراض الواقع بالقوق، بالقوق، إذا كان هذا هكذا، فإنه يتعين القوق بأن لمقاومة العنيفة ضوابط، فهي أولاً تمارس في الأرض المحتلة عادة وأبسن خارجها، وهي تمارس ضد الطرف المعتدي عسكرياً كان أو متخذاً سبلاً مدنياً، وهي مع تكمي الصراع تتناهي وتتنسج وتلتقيها الحرافكة، وتتصاعد وتتمدد وسائل القوق حسب خطط العدو المعتدي وحسب ما يستخدمه من الدوات العنف، والتصديق حتى إن ينبغي التصبر بما يشمل ذلك من المصائب والتخرف والقتال والنقاط الانسداد، ولكن دون إلهاء السلاح ودون كسر إرادة الاستمرار، مع سلاحه أنه لا علف إلا في الأرض المعتدي، وهذا ما يفسحنا من حالات العدوان الوطنية التي عرفناها في العالم عن التاريخ المعاصر.

واستفراء هذه الحالات أيضاً، يظهر أن للعنف درجات، من حيث مدام الإليني، ومن حيث وسائله، بدءاً من الحجارة كما حدث في انتفاضة ١٩٨٧، حتى كل أشكال صروب العصابات، وبالقوق أسلوب من أسلوب إلا بالملازمة الواجبة والخبرة العملية ولتوّن المواجهات، وهذا ما أفطن أن القوق المتابع المهزوم بهذه الضوابط يركه جيداً، إننا ما قصد أن أشير إليه هنا أمراً.

أولها: أنه متى كان العنف ياتي من استنفاسه المادية لا محصن عن استخدامه في مقاومة العدو، فهو يصير هو الأسلوب الحاكم لغيره من الأساليب الأتني، بسبب تكلفته وصعابه، ولأن التكلفة البشرية له ما يقي مدخلها لتتوّن مثلاً، ولأنه لم يبق إلا اللاتوت عدم إمكان نجاح المقاومة بغيره، ومن ثم فهو مقترض فيه أنه الإلعي مقصداً.

وثانيها: أنه متى كان العنف ياتي من المشروعة بعد ذلك، وسياسية أو اقتصادية أو عائلية.. تكون مثبته ومطلوبة في إطار خدمتها لمصلحة الأكثر حسية، وكلها مطلوبة ويستمدد بالمسؤولية السياسية، عاها، ما بقي من السبلات أنه لا كل من استخدم العنف في أجل التحرير، وما بقي كل من استخدم الوسائل مكملاً لوسائله الأهم، نهضة وتيسير وإتاحة وتطوير وكسب استمرار.

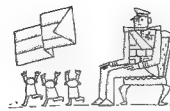
إنه عند ذلك يلزم استخدام العنف في حركات التحرير ومقاومة المعتدين، لأن ذلك يمكن أيها الأخفكار من بدالة مثلاً، فكلها إلى ذات الغاية من مقاومة جادة وتحرير

ونحن لا نتكلم مع العدوان الإسرائيلي الأمريكي حول أرض غربية عنا يصفع فيها كلاً، بمعنى أننا لنستأ طرفاً في صراع بين متنازعين، ولكننا نحن موضوع الصراع ذاته، نحن موضوعه وأحد طرفيه في ذات الوقت، وهذا الوضع يحطينا مزك لا تكون لغيرنا فط، وهي مزك لا يتخذ بعينها، وما من بلد عليه المعتدون على أمره وانتهى جهاده ضمم إلا بره الاعتداء، وقد تصورت إمبراطوريات أمام هذا الصبر والتصميم، والصبر والبصيرة، وظول النفس يباتين من أنه في صراع الوجود وفي مجال الدفاع عن الذات، يمكن للجماعة أن تلعب مرة ومرات، ولكنها مجتمعة.. أو أيًا من قواها منفردة.. لا تمتك أن تتنازل عن الحق في الوجود الجاهز أو في اليقاء المستقل، والأجبال تتوالى ولا يؤثر أي جفولهم ما انضطحت به إرادة اسلافهم، وتلحق الآن أن الملحقين يتكثرون أن مسألة فلسطين على أقدم مثلك في عالم اليوم، وهذا صمم لأنه لا نهاية لخل هذه السبلات إلا باسترداد الوجود أو أحد إغناؤهم أو إزاحتهم، وفلسطينيو الشتات وهم بضعة ملايين الآن، إزاحتهم في العودة إلى مجارهم قللاً لنويم ولدينا جيداً.

أما المعتدون فهم ليس لديهم هذا النوع من الحقوق طويل المدى، أو هذا النوع من الحقوق العابر للأجيال، إزاحتهم في الغالب يمحضون عن المنفعة وإن زيجهم، والأمر يتعلق بحساب الربح والخسارة ومحالات القوق والهتمة،







التهديد المباشر «للقاعدة العسكرية / الدولة»..  
يكنى أن هذه الشعوب والدول العسكرية خاضعة  
لتنظيم القدرة على بده هذه التهديد عن نفسها،  
والاحتلال المحتل، وكسر عتبات أجلي قواته  
السلطة عن المدن المصرية وعرضها كلها بالقوة  
العسكرية التي أسماها في منطقة قناة السويس  
في سنة ١٩٢٧ لم يضع مصرى واحد أن كلمة  
استقلال تحقق، ونحن الآن بالمثل لا ينبغي أن  
نتوهم أن استقلالنا تحقق ما يقرب إسرائيل  
(القاعدة العسكرية / الدولة) المهددة لحدودنا  
ومخيمنا وأبنائنا، وهكذا الأمر بالنسبة  
لسوريا ولبنان والأردن، وهكذا بالنسبة  
للسعودية وما جاورها والعراق وغيرها.

والحداد أن إسرائيل حطمت المعامل  
النزوى العسكرية في أواخر السبعينيات لأنه  
يهددها، وأنشأ تنظيم يربط إلى المعامل  
الإسرائيلي وتصل إلى إسرائيل، والحال من قبل  
أن بريطانيا أعلنت الحرب على ألمانيا الهتلرية  
عام ١٩٣٩ عندما سيطرت ألمانيا على ميذا  
دناج في بولندا، دون أن تقترب ألمانيا من  
الحزبية البريطانية، وعرف العالم كله أن  
بريطانيا بإعلانها الحرب لم تكن تبدأ حرباً ولا  
كانت تمتد على غيرها، بل قللت الخائب أنها  
تدفع عن نفسها خطر، وشيخاً ظاهراً الذي  
عدونه جبريل العرب على التوسع، وإن حالنا  
حز العرب بالنسبة لإسرائيل أظهر من حال  
بريطانيا بالنسبة لألمانيا، ١٩٣٩، ومصلح  
الأمم المتحدة لا تقف عند الحدود الجغرافية،  
إنما تتجه بحجم المستفوض على الإرادة  
السياسية وحجم التهديد الجماعي.

وتحس نعرف من تاريخنا الحديث في  
مصر، أن موضوع الاستقلال الوطني ومدى  
تحرر الإرادة السياسية الوطنية هو الموضوع  
الذي حكم كل نظام سياسي، واستقرار  
حكومتنا، وإن دراسة سابقة لي عن هذا  
تقوم الحكومات في مصر بين الأحزاب  
السياسية في ظل دستور ١٩٦٣، وعلى مدى  
ثلاثين سنة منذ صدوره، تبين أنه من تغيير  
وإزاري أساسي يرجع إلى هذه الفترة (وكان  
يسبب يرجع إلى فشل فاضلات مع الإقليم  
أو فشل فاضلات معهم، أي أنه من مسألة  
تتعلق بنظام الحكومة أو كالات متصلة اتصال  
سياسية بالمسألة الوطنية، وهذا ما أدى إلى  
اعتناق مبدأ أن القوانين التشريعية للأحزاب  
المصرية يتصلق بأن الديمقراطية كانت بلداً  
منظورة إليها في إطار صحتها للمسألة  
الوطنية، وأن الصلة بين المستقلين صلة لا  
تفصل، وهي لم تنفصل.

اتصل هذه الأثران بصورة أعمق وأثرم  
لا تظهر المسألة الدستورية، فتغير نظام  
الدولة كله في مصر بعد هزيمة ١٩٤٨ في  
السلطين، وتغير النظام السياسي والاجتماعي  
كله في مصر كذلك بعد حرب ١٩٦٧، وإذا ذهبنا  
إلى التاريخ البعيد في بداية القرن التاسع  
عشر، وحدنا أن تهديد الأمن القومي للمسألة  
العثمانية الذي ظهر في عزمي عام لواء  
واضطرابه لإبرام معاهدة كنفيل فيديري في  
١٧٧٤ هي ما به بدأت مشكلة الأمن القومي  
لهذه الدولة، ومن يومها حلح سلاطين وقت  
سلاطين وجرت ثورات، وأعيد جيش  
الاستشرارية وقامت جمعيات سياسية سرية  
وعنية، جرى كل ذلك بحثاً عن توفير عناصر  
الأمن القومية للدولة والجمع

وبالمثل فإن حملة عسكرية قاضية على  
مصر جرت من الفرنسيين في ١٧٩٨ ولم  
تستطع أن تستقر أكثر من ثلاث سنوات، هذه  
الحملة قضت تماماً على خذبة سياسية ظلت  
تتصد مصر منفردة دولتين وخمسين سنة  
وتشارك في حكم مصر مع العثمانيين مائتين  
ولعشرين سنة تالية، وهي نخبة المليك،  
قضى عليها ظهور فاشلها في حماية مصر  
وأمنها من غارة الفرنسيين عليها، وسقطت  
إلى غير رجعة لها في التاريخ كله  
وقد قصمت أن ذكر هذه الأحداث في غير  
ترتيبها الزمني لن تظهر مدلولها السياسية  
بالقوى ما تظهر لدلائل التاريخية المسوقة من  
تتالي أحداث التاريخ، كما قصمت أن أركز  
الأحداث المشار إليها في رؤوس موضوعات  
حتى لا نضربنا التفصيل عن التنبه للدلالات  
العامة



[ ٥ ]

أظهرت الأحداث الفلسطينية الجارية الآن،  
أن بلداناً ليست في تمام السيطرة على قرارها  
السياسي، وإن نفس السيطرة هنا عندما  
يتعلق بمسائل الأمن القومي إنما يعتبر نقصاً  
في السيادة، لأنه يفيد عدم توافر القدرة على  
تحريك الإرادة السياسية على ما يوليها الحماية  
لأن الجماعة تجاه مخاطر الخارج، وهذا يفيد  
على الاستقلال السياسي.  
أخسني أن أصلي لفترة أن الأحداث  
الأخيرة تكاد تشير إلى أنه لم يعد للتكثير من  
اندول العربية سياسة خارجية، القصد سياسية  
تصدر في الأساس، وقيل كل شيء ويعد كل  
شيء، عن صوالح الشعوب والجماعات  
العاجلة والأجلة، وأراك بالانزعاج بما يحقق  
هذه الصوالح، على مستويات الإعداد الداخلي  
والنوعية الاقتصادية والخيارات المتاحة من  
حيث العلاقات مع الدول الأخرى ووجوه  
تبادل المفاعع معها.

إن فلسطين المحتلة، وسوريا فيها أرض  
محقة من خمس إسرائيل سنة، ومصر عادت  
لها سيادة بعدة السلاح لا تستطيع مصر أن  
تحملها بوقوتها المسلحة إلا من غرب قناة  
السويس، ومن يذهب من المصريين إلى العمل  
أو لربح لا يتمتع - في عمله ولا في ثروته -  
بحماية القوات المسلحة المصرية، ولا يضمن  
من نفسه من عدوان إسرائيلي عسكري يأتيه  
وهو في ظنا أو ذهب أو توبيع أو شرم الشيخ،  
من على بُعد خطوات من المياه الإقليمية  
المصرية في خليج العقبة ويمكن للإسرائيليين  
اختطاف أو الاعتقال أو حتى في سواحل  
خليج العقبة بأسهل ما حدث منهم في لبنان  
ونوس من نحو عشرين من السنين، وجيش  
إسرائيل على بعد بضعة عشر كيلومتراً،  
مصر على بعد مائة كيلو متر ويضع  
عشرات من الكيلو مترات، والجزيرة العربية  
ومطقة الخليج بها دولنا العربية التي  
تعتمد في كل خضها على ناتج البترول،  
وسط أميرها العربية، وفي المياه القارية  
قواعد عسكرية أمريكية يبره وبحرية.

وفي مصر، نحن نتبع خط الفصح الكافي  
لكي يأتى للمصريين الخبز، وذلك طبقاً للإرقام  
التي يليها في المسموعين في صفح مصر  
السيرة، ومناطق إنتاج الفصح في العالم هي  
في الأساس في الولايات المتحدة وكندا وأستراليا،  
وروسو ومناطق الإنتاج في مصر يعرفون  
ذلك من عشرينات السنين، ولهم خطط  
وسياسات، والإرقام معروفة سلفاً ومتوقعة  
من حيث مستقبل الزيادة السكانية ومستقبل  
استهلاك الكافيه وسعيل إنتاج الفصح، كل ذلك  
معروفة حساباته من المستحبات  
والسبعينيات، فليس ما يتذكر به أحد الآن  
أن يقول إنه فوجئوا، ينص أو أنه فوجئوا بهذا  
القديم على سياسته الخارجية.

وبالمثل فإن وزارة الثقافة في مصر -  
حسبما ذكرت صحيفة الأسبوع في أول أعداد  
سبتمبر مايو - أعدت خلافاً لفرقة فنون شعبية  
بالقاهرة، ثم فوجئوا بأن السفير الإسرائيلي  
يقبلهم بعزبه على حضور حفل لفرقة عن  
نفسه، ورفض ما ذكر له من أن وجوده يشير

خاطر المصريين ما قد يهدد سلامته، فالتعت  
الوزارة الحاصل كله، لأن مصر لا تستطيع أن  
تقول لمصريين الإسرائيليين «لا» ولا تستطيع أن  
تقرض عليه ما تراه من مسئولية عليها في  
حفظ أمنها، وهكذا مسألة الإرادة الوطنية ما  
بين «الخبز» وما بين «المصر»، ناعيق عن أن  
يكون شيء آخر.

وتحس في الفكر السياسي الدافع الآن،  
صارت أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية هما  
العالم، منذ السبعينيات، وصارت الأقوال  
السياسية الأمريكية وكشايات الفكرين  
السياسيين الأمريكيين هي العلم، ونكاد - إلا  
من عصم ربك - نكر ما يقولون، على مدى  
خمس عشرة سنة، فإذا قيل «نظام عاقي»  
جديد، قلنا «نظاماً عاقياً جديداً»، وإذا قيل  
«العودة» قلنا «مصر العودة»، وإذا قيل «صراع  
الحضارات» قلنا «صراع الحضارات»، ثم  
قدما على استحسان تعديل بأنه «تواصل  
الحضارات» لأنه لا طلاقة لنا اليوم لفظ  
الصراع، وإن قيل «الازدواج» قلنا «الازدواج»،  
والصفحات تعاد، والأخبار تهرق، والذوات  
تتصد، وموجبات الترحيم، ثم يأتي  
شارون وأجداد فقول «لا طلاقة لنا اليوم  
جبالوت وجوده، (إسرائيل القوية من سورية  
البطرة).

أو موضوع استقالة الإرادة الوطنية  
يكاد أن يكون مفقوداً، وأحد يشير الآن أن لنا  
شوقاً إلى استقالة الإرادة الوطنية واستكمال  
أو تبين أن نركبنا من أول فحازات التراجع  
القومي من النواحي السياسية، والعجيب أن  
إسرائيل تبذل المزيد من التناقض وإعطاء الحق  
في الأيوذج سلاح ذو دمار شامل في إيران  
المحلى، وأبستانيا أيضاً على بعد آلاف  
الأميال منها، ونحن في «مصر المحروسة» لا  
تتعد تشهر بخطر سلاح نووي على بعد  
ألا بكم ينكر من جودنا الشترقية، وعلى بعد  
أقل من مائتي كيلومتر من القاهرة، وهو في يد  
دولة توسعة مثل معنا في أربع حروب من  
قبل ويحكمها استبداديون متهوسون،  
ويعرفون القتل الجماعي للشعب العربي في  
السلطين، وتواجه ذلك بلانداً ضد يستخدم  
القمصينيين الطرويون من ديارهم أو  
المهذون بالبطرد والمضربون أبناء من  
مستعمرين، نحن ضد أن يستخدم هؤلاء  
العنف مع جلايدهم.

محسوس لدى فيما أفنى أن الحرب النظامية لا  
مجال لها في هذا الصراع الثقافى بين العرب  
وإسرائيل، ومحسوس فيما يظن أنه متى  
استبعدنا الحروب النظامية جيبنا وبسيلة  
في هذا الصراع، فيعتن أيضاً أن نستبعد وأن  
تتفادى ما يعضى إلى حروب نظامية من  
سياسات وأوضاع

ولكن من المحسوس أيضاً أن فلسطين أرضاً  
محقة من إسرائيل وأن الاحتلال الإسرائيلي غير  
مشروع على كل منقظ ونظام دولي قائم،  
ومحسوس أيضاً أن إسرائيل تهدد الأمن الجماعي  
العربي وأجودها يجهض أبداً إمكانيات  
التنوير والتنمية في بلاندا.

ومع تعارض «المحسوسين الأولين» مع  
«المحسوسين الآخرين» فلا بد أن يوجد طريق  
ثالث، وهذا الطريق الثالث هو طريق المخالفة  
الشعبية بكل صوره وأشكالها، شريطة أن  
يشارك فيها الشعب العربي في جميع الأقطار،  
العد الحادى والأمريون، يونيو ٢٠٠٢م





فالتصراع دام ونحن العرب جميعاً طرف فيه، والطريق الثالث إذا كانت مسالمة، له مخاطر، بالنسبة للشعب في المقام الأول والنسبة للدول في المقام الثاني، ولكن لكل سياسة ولكل قرار يتخذه فرد أو جماعة أو هيئة أو دولة، له دائماً وجود مخاطر، كما أن للسكوت والجمود والمواقف السلبية مخاطرهما أيضاً، وقد تكون مخاطرها أفدح، ومن يريد أن يتجنب المخاطر تماماً فعليه ألا يأكس ولا يشرب لقيام احتمال حقيقي بأن ثمة «فيروس» في الطعام، وبكيفية ما إذا نكس في احتمالات المخاطر المفردة وأن نقلل من هذه الاحتمالات، وأن نكسر في أساليب تداركها، نستطيع من أضرارها ونخفف من المضار المنوطة، مع وجود الاعتماد لتعمل ما لا يمكن تفاديها مما يسببه البذل والفداء ومن نحو عشرين سنة، وفي محاضرة كان يلقاها المرحل العسكري الوطني العجوز اللواء المرحوم سمح العبدري، عن الصراع العربي الإسرائيلي، سئل عن حجم الضحايا، فتمكلم وأسهب في الشرح، قال فإن إنساناً شامداً سجدنا من الهرمية في الصراع أبهت تكلفة وأدح نكفات وأعلم خسائر وأشد خراباً.

## [٦]

في سنة ١٩٥٦ عندما ألغت حكومة الوفد في مصر معاهدة الدفاع المشترك بين مصر وبريطانيا، صارت للقاعدة العسكرية البريطانية في مصر والقوات المسلحة الإنجليزية في وضع غير مشروع، وصارت مكافحة هذا الوضع العسكري الإسرائيلي وبإسلاح مكافحة مشروعة، حدث ذلك كله في سوجبة من الخصائص الوطنية الصام، ولكونت فيرق الفدائيين للكفاح المسلح، أنه أنشئ معسكر للتدريب على العمليات القتالية داخل حرم جامعة القاهرة، كان يقبل المنظمين فيه من طلبة الجامعة، وفي تلك الأيام كانت المظاهرات تملأ مدينة القاهرة وإسكندرية والأقاليم يومياً، وأحدة منها بالقاهرة، قد جمع المشاركون فيها بمليون متظاهر، وكانت الصحافة الوطنية مليئة بخبايا الحوادث المتتابعة للأعمال الفدائية وبالتهديدات.

في هذه الأجواء ظهر ثمة شعار سياسي كسبت عن الصحافة ورددته هناتات المتظاهرين، يطلب الحكومة أن تصير قانوناً يلقي القانون الذي يمنع حمل السلاح بغير ترخيص والذي يصاب على مخالفة ذلك بالحبس نحو ستة أشهر، وكنت أعجب من هذا الطلب، والتساءل: هل هذا الفدائي الذي أعد نفسه للشهادة، ولأعماله على مزارعها أن يبدل حياته، هل يخشى من عقوبة يحتمل أن تطبق عليه متى تولى إن ثبت قسده أن لا يحكم عليه بالحبس ستة أشهر، أو أنه يطلب الإلزام بشرعية فعله، ولكن شرعية فعله لا تكن وقتها تتاح في ذلك غير معترف له بها، لأن مصر كلها كانت على حواس بالاجع للصميم.

الحقيقة أنني لم أعرف بعد ذلك وعلى مدى الستين أي جدوى لكل هذا الخطب، إلا أنه صادر عن مجرد حماس وعن روح خطابية يمكن أن تولى أكثر مما شأنا، لأن استجابة الدولة لهذا الخطب من قبلها أن تضعها في حالة حرب مع القوات البريطانية، بما يترتب على ذلك من نتائج مواجهة عسكرية نظامية غير متكافئة أبداً.

أتذكر ذلك جيداً عندما أعسم اليوم أصواتاً كثيرة تدعو دولها العربية إلى ما أسمته هذه الأصوات «فتح الحدود» مع إسرائيل لوصول الفدائيين العرب إلى الانضمام إلى زملائهم في فلسطين، كما لو أن الحدود عليها أسوار مبنية وأبواب مغلقة فتفتح بقرار سياسي أو بقرار إداري، وكذلك الدعوة التي تدع أحياً طالب الحكومات بأن تعلن «الجهاد» على إسرائيل.

وكان الجهاد يحتاج إلى إذن من الدولة لكي يبدأ ولكي يكون مشروعا. والحاصل أن ثاباً من هذين المظلمين، لو أن دولة من دولنا استجابت لهذه المطالبات، المظلمة، فكان ذلك يعطية اشتباك في حرب نظامية مع إسرائيل، وهو أمر لا نلقه وأرى أن نكسر من يطالبون بأي من هذين المظلمين، إنما قد يكون الدافع إليه هو حث الحكومات لكي تتخذ موقفاً أكثر وضوحاً وصراحة في مواجهة العدوان الإسرائيلي، وهو الدافع مع مشروعيته إلا أن التعيين به بإعلان فتح الحدود، أو إعلان الجهاد، هو تعبير يجلو حدود المخوف والمطالب، كما أنه غير بعيد، بل من المعروف أن ما يضغط من عمليات التهريب عبر الحدود لا يعمل أكثر من نسبة قليلة مما يجري الهريية فعله، وهذا يحدث بالنسبة لقوى الدول العربية من حيث الانضباط الأمني، ناهون عن الدول الأقل قدرة فمن يريد أن يمارس لا يضاح إلى سق إجازة بفتح الحدود.

ومن جهة أخرى، فإن من يطلب الجهاد ويضج للمقاومة بروح الفداء، لن يخشي أن تعطله شرهه بلده، كما أنه لا يخشى طغيان أن يترسب به للشرصون عند الطرف الآخر. والدول والحكومات لا تصنع مسيلاً بأي تحرك شعبي واسع ومطرر، إنما هو يحدث بموجب

الامر الواقع، وتضطر الحكومات إلى السكوت عن كل إطار للاثامات السياسية التي تقدرها، وتكثف من اللغط والجدب ما فيه، وإن التحركات والمبادرات تبدأ بالممارسة، وتستمر بالإصرار وبالهدوء وببطء حجم ما من المخاطر وحجم ما من التضحيات، وإن مخاطر مواجهة تحرك شعبي لحكومتها في القضايا الوطنية، هي مخاطر أهون كثيراً من مخاطر مواجهة قوى الاحتلال العسكرية، التي تبغي حركات المقاومة الشعبية واجهتها في النهاية.

وفي النهاية فإن موضوع المواجهة في الصراع العربي الإسرائيلي، وإن اختلفت الأوضاع بشأنه بين مواقف الحكومات ومواقف الشعوب، وإن ظهرت سياسات حكومية لا تحقق الوضع الأمثل لهذه المواجهة، وإن بدا في مسلكها ما يحق ويحرق تحريك وجود المقاومة الشعبية على قدر الطائفة التي يستطيعها شعبها، إن بدا لك ذلك ما يستلزم النقد والمواجهة بأساليب الحوار والمواجهات لنشروعة السلمية، إلا أنه ينبغي ألا يغيب عن

الذهن أمران: الأولهما: أن مسائل الأمن القومي وعلى رأسها بالانفصالية لنا هذا الصراع العربي الإسرائيلي، هذه المسائل لا تحييان إليها مصلحة الجماعة مع مصلحة الدولة، إن نظر إلى الأمر في البعد السياسي الصام، وبالنظر المسطلي البعيد، وإذا بدا أحياً استخراق من أجهزة الدولة في حماية ما يسمى بامن النظام والخوف من شعبها، وإذا بدا نوع من الوهن وطغوت الإرادة السياسية حولاً من الخاف أو ارتباطاً بطواه الأجنبية، فالرد في النهاية أن تتحمل الموازين لصالح حماية الأمن القومي، والوطنيون يضعون بعضاً من رهائهم على هذا التحول والتعديل. ثانيهما: أجهزة الحكومة كلها في بلاد مثل مصر تتكون من مستهين هم مواطنون ووطنيون في الغالب الأعم من تكوينهم الاجتماعي والثقافي والسياسي، وهم بأصولهم الاجتماعية وتوجهاتهم السياسية وتشكيلهم الثقافي يحرصون الطابع السعالي الذي يتشكل منه التيارات السياسية السعالي

الأساسي في ملاحه، وهم محركهم المتفانية في تضامهم، وفي حدود الإمكانيات المعتبر للنضال الرئاسي والهرمية الزبانية، يعطون بقدر ما يستطيعون ما فيه الصالح الوطني العام، وخاصة في القضايا ذات الإجماع الشعبي المتعلق بامن الضحايا وصوالها القومية العامة، وإن جزءاً من رهائنا يتعلق بتقدير هذا العنصر وحساب آثاره الإيجابية في أي تحرك شعبي يبغي في النهاية الصالح الوطني العام تجاه مخاطر الخارج.

وإن المشكلة غالباً في مثل هذه الأمور تكون مع القرار السياسي ومع مبعث الإرادة السياسية، وعلى تقديرهم يضعون بعضاً من رهائهم هنا على تقديرهم وطنيتهم هؤلاء المهنيين الذين تتكون منهم أجهزة الحكم والإدارة والأمن الجماعي، ونحن في النهاية شعباً وأجهزة دولة، وفي مسائل الأمن القومي للأمة وفي المسألة الوطنية، يصيب الصواب منا ما يصيب الخطر، وإن أي رضائنا يتخرج به الضارب بقدر ما يصاب به المضرور.

## [٧]

وفي النهاية فإن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي أسقطت مفهوم الشرعية الدولية، وهي لا تترك أية فرصة لمصدق بها والعمل أن يفتح سداً جدياً ما بأنها ليست خصماً لنا، ولا أنها دون إسرائيل في خصومتها للعرب، في فلسطين وفي غيرها من القضايا الحارة، وفي إسرائيل لا تتركنا لقضايا أصعب فيما أن يفتح سداً جدياً وظرفياً مانها تفيها أي نوع من السلام معنا ولا مان تعرقنا بأدعية لها الذي نسيه، نحن العرب، وليس أمامنا إلا الإغتراب الكامل عن الخطق الأمريكي الإسرائيلي، والولايات المتحدة الأمريكية، بسلكها الدولي في العقد الأخير، وبخاصة في السنة الأخيرة، لم تعد تلتزم بصورة وجود، أية صياغة قوية أياً تمت للشرعية يستمر رضائنا وأفعالها، ولم يعد يهمها أن يقوم ثمة نوع من التقبل العام لمطالبها أو لمعت رضائنا، كما كانت تسعى قديماً أيام حمرها الباردة مع المعسكر الاشتراكي ودولة بقيادة الاتحاد السوفيتي.

وهذا النمط من التجبر الواسع والموح للسفوق المعصري ومن استخفاف القوة بغير سائر شرعي وأشبه شرعي لها، ومن الرهو والخيال، كل ما يحفظ لنا جهوداً فكرية كثيرة، كانت يمكن أن تصرف لكشف مسنون أو تبين عورات خفية، أو توصيح أضمالي أو تكذيب أكاذيب، وصارت القوة الحادية المعتمدة تواجه بقوة الصدور العارية وبروح الشهادة، وصارتم الدنيا تواجبه بالآخرة.

والسؤال الأخير -المعلم لهم وضع التاريخ والذات والضمعة المتكافئة، إن هذا النحور والغهر والشراسة كانت في الغالب من ملاح نهاية العصور ومن مظاهر الانحدار والافتقار بالنسبة للدول والدعائية.

# وعلى زائف واعترافات مبتورة

العسكرية والسياسية في نهجها الدؤى الموجه للشعب الفلسطيني وانتفاضه.



كعينة من المواقف القوية للمخلفين الاسرائيليين خلال بدايات الانتفاضة. قال غرشون شيك (استاذ الاب العبري المشهور) لقد تولى اهمية اكبر لسلكه الامن والشعور بشفقة اقل تجاه الفلسطينيين (الحياة الجديدة ٢٤/١٠/٢٠٠٠). ووجه عاموس عز (الابن الاسرائيلي البارز) الدعوة إلى انصار السلام في اسرائيل لتحديد مواءمهم. لماذا؟ لأن العنصر الاسرائيلي زال، ومع ذلك الفلسطينيين ليسوا مستعدين لصنع السلام مع اسرائيل، إذ إنهم يطلبون بحق العودة الذي يعنى تصفية اسرائيل ونزع الحق المبدئي للشعب اليهودي في تقرير المصير والقضاء عليه بأن يرحل إلى القلعة تخضع لحسن نوايا المسلمين (يديعوت احرونوت ١٦/١٠/٢٠٠١). وراى ميسروس اوفريش (محاضر في معهد الهندسة المتعبية بحيفا) أن الفلسطينيين لا يتصرفون وفق قواعد العالم الغربي المتحضر ويرفضون لعب دور الشريك الجراجمالى الذى يقبل المصالحة والحد الوسط والصيغة الهلنستية (هارس ٢١/١٠/٢٠٠١). اما الشاعرة القومية البارزة نعيلى شير فقد اعتبرت أن «الحزب النازى اعمون والى وطنا من القتل المبرور» (معاريف ٢٠/١٠/٢٠٠١).

وقد فاق النفاق من الاعاءات، تمجيس الانتفاضة الفلسطينية عملاً مداناً، وتتم عملية تمثيل لامتعة بين القاتل والشهيد. وتكون النتيجة المثريفة على ذلك، تفصل إسرائيل من الجرائم المرفقة بحق الفلسطينيين. ومن التعليلات التي سياتى في معرض الحديث عن سلوك النخبة الاكاديمية والثقافية عما سعى بحالة الاستخدام الاسرائيلى المرفط للقوة، ذهب الكاتب والمؤرخ اليسار ثوم سيجف إلى أن الفلسطينيين هم الذين اسخطوا الاسرائيليين اصحاب المجلد «ما بعد الصهيونية» للعودة إلى رحم الصهيونية. قبل الانتفاضة، يتابع سيجف، كان الاسرائيليون اكثر انفتاحاً، لكن الانتفاضة احييت والشاعر الوطنية» لدى الاسرائيليين (الايام ٢٩/١٠/٢٠٠٠). وقال نظراء سيجف من «المؤرخين الجدد» على القدرة على التعاطف مع الفلسطينيين تلاشت تقريباً منذ انهيار اكثر محادثات السلام شمولاً بين الجانبين (فى يوليو ٢٠٠٠).

## تصوير ام وجوه

بعد أن تبينت النخبة الاكاديمية والثقافية الاسرائيلية شكل المراهنة على ترسيم الفلسطينيين، تاهت نظرها. وخاصة بعد ما وضع فى الانتفاضة. اوصاف جديدة على الفعل الفلسطيني، لكن نون الاستجابية لاستحقاقات هذه الاوصاف. ويتعبريات

## ابراهيم عبد الكريم



THE JERUSALEM POST

TUESDAY, APRIL 5, 2002 27.10\$ 5326 25.10\$ MONDAY, 4/2/02



صيف اسرائيل. هرتس (يعن) حشوروايم بوس، هانسوفيه (يعر ييس) ميسارياف (يعر)

بيئاً (فى هرتس ١٧/٣/٢٠٠٠) تضمنت مواقف تقرب من التوجهات الاسرائيلية العامة للشخنة، بخصوص العنف المتبادل، والكراهية في الجانبين، وغير ذلك من التراكيب التي تشجب ذكر اهراب الدولة وتعدد تبسيط الصراع وتحميل الجانب الفلسطيني مسؤولية ما يحدث. لم تخرج المحاولات الاخرى عن هذا النطاق، وكان الجميع تقريباً ينتظرون ما سوف تسفر عنه المواجهة غير المتكافئة بين قوات الاحتلال وقوى الانتفاضة. استناداً إلى معرفة سابقة بالخصم. وهو ما يعنى أن الاوساط الاكاديمية والثقافية كانت شريكة لالابر

الواقع. راحت تظهر اصوات همس وتنازع طرح تصورات مثقلة وحلولاً مجترأة. منها - مثلاً - ذكره اعدها مجموعة من ٢٢ شخصاً من رجال الفكر والادباء والنشطاء في ما يسمى «قوى اليسار والسلام» قدمت (مطلع العام ٢٠٠١) إلى القيادة الفلسطينية للمشروع في مفاوضات والتوقيع على اتفاق سلام. وبعد أن جندت المكرة طبيعة العمل الذى تتصوره وبالإلزام وتولين لشعبين، اوضحت عدم موافقتها على عوده للاجئين إلى وطنهم (ضمن ما يسمى الخط الأخضر) لأن ذلك يعنى تصفية دولة اسرائيل (يديعوت احرونوت ١٥/١٠/٢٠٠١) ونشر مجموعة من المخلفين الاسرائيليين

■ تعين التقاليد التي درجت عليها النخبة الاكاديمية والثقافة الاسرائيلية في تعاملها مع الأحداث. أنها تعبر عن مفاهيم شريحة خاصة تمتد مهارات عالية سببياً في التوصيف واقتراح الحلول

لهذا السبب، على نحو رئيس، يولى الاسرائيليون - ولاسيما دوائر صناعة القرارات - اهتماماً ملحوظاً ما يصدر عن هذه الشريحة من رؤى وتصورات. ويتم التركيز على أن أى مسيرة تغيير في النطاق الاسرائيلي يجب أن تبدأ على المستوى البحثي وهو ما يفسر، ولو جزئياً، لماذا يعمل في اسرائيل عشرات المراكز والمؤسسات وصناديق التمويل في ميادين الأبحاث السياسية والاجتماعية وشؤون الصراع والسلام.

وقد جرت فراءة نماذج الانعكاسية، لدى مجموعة من الاساتذة والمختصين الاسرائيليين، بالمصمم الصهيوني الشائع، الذى يتجاهل التفتيات الممومة، لتقديم صيغة تدمية مادتها المصطنع الاكاديمي للتفصيلية. ومن ثم جاءت هذه القراءة معابره للواقع القائم ونصب في خدمة الانشاءات الايديولوجية الصهيونية. وجرحت فراءة النتائج ذاتها للانتفاضة، لدى مجموعة أخرى، بالفرسوخ إلى بعض مقتضيات الواقع والاستجابة النجولة إلى ضرورة تسمية المولد باسمه، قطع هؤلاء شوطاً في الاعتراف بحزء من الحقائق، لكنهم راحوا بعد نقلة معينة بفهاروس معنى تحليل الظاهرة إلى مسار آخر يتبعد نهائياً عن المأل

المنطقي والواقعي. وبذلك أصبحت التوصيات التي قدمتها الاوساط الاكاديمية والثقافة الاسرائيلية بمثابة «شوع» في إطار الوحدة الايديولوجية والسياسية. وحتى لا يطر هذا التفكير كما لو انه متعلق بعموميات وأحكام مسبقة، نصح الموضوع على شرها للعديد من يتبعون إلى تلك الاوساط عن تعديرات واضحة معينة عن التوايل

## من الصمت إلى التقاتة

امتسقت النخبة الاكاديمية والثقافية الاسرائيلية وراء الرواية التفصيلية التي قدمتها حكومة ايهود باراك لغواصات كامب ديفيد. والتي اثقت بالوم على الفلسطينيين في رفض بد اسرائيل المعهدة للسلام وفي عدم مساهمهم عن التنازلات التي قدمها الجانب الاسرائيلي خلال تلك المفاوضات. كان صمت اهل اقبور هو السمة الرئيسة عموماً التي قابلت بها تلك النخبة سياسات حكومة باراك وخلفها حكومة شارون. وكانت في جبرام الاحتلال والحصار والقمع ضد الفلسطينيين نداعاً عن النفس وعلميياً مشروعة لاحتفالت الزهاب. واسام ضغوط

## كيف يقدر الإسرائيليون الانتفاضة؟

تطلعاته القومية الشرعية، من مجتمع صادق (٠٠) إلى مجتمع غير صادق وسعدت لتوزيع تسطه على حساب اطلاق وخربل شعب آخر (هأرتس ٢٠٠٢/٤). هل نمة حاجة للإشارة إلى النصف المظلم من المعادلة؟ إن إكنا طرفها الثاني مسيحياً واعتراف بالواقع، فيأي معايير يتم الحديث عن الأخلاقية والعدالة والصدق كصفات لإسرائيل؟



اماد ارتفاع منسوب الفعل السياسي والعسكري الإسرائيلي، النافي والتمتعيرى للشعب الفلسطيني، لم يستطع بعض الاساذة والمخفيين الإسرائيليين رؤية الصورة المشوهة لإسرائيل إلى سرة السلوك المتبع ضد هذا الشعب على المستويين الجارى والإستراتيجي. فاخذ هؤلاء يعاينون حالة الاحتلال، ويسجلون اعتراضات تستدفع منها محاولة لخفض ضغوط الاحتقان الذاتى، يقول ميخائيل بن يائير: اختراعت وتشوق الخوول إلى مجتمع كولونيالى، جاعلنا المواقف الدولية، صائرا الراسمى، فكلنا مستوطنين من إسرائيل إلى المناطق المحتلة، معننا المجازر وطقنا اللحم الحى ووجدنا ذلك المبررات، وبتهلفنا لتقسيم بنتائج الحرب العنا جهازى فضاء / الأول إلى إسرائيل المحرور وتقدمى وإبيرالى (٠٠) والثنانى إلى المناطق المحتلة فقام مسجف، وفرضنا عليها حكم إرتياك عظيم (هأرتس ٢٠٠٢/٤). واختار يوسف زيف (محاضر بالفلسفة والعلوم إلى كلية وينجت وبار معلمين الكيموسديم) توجيه خطاب إلى كل ضابط أو جندى يخدم في المناطق المحتلة، نيه فيه أنه حتى إذا كانت الحرب عادلة، لا يعنى ذلك أنه مسموح فيها بأى شيء. من الخطور - يقول زيف - تحويل المدنيين إلى أهداف والقيام بعمليات جماعية وهم البيوت ورد أبان لجياه وإهانة الأشخاص ولاهم عند الوماز. ومن المحتمل أن تجد نفسك هناك فى المحاكم الدولية لجرمك الحرب، خاصة إذا كنت ضابطاً (هأرتس ٢٠٠٢/١٤). وإزاء التجاوزات الفظيعة والإفراط في هذه الأنماط وسواها من الممارسات، أيدى بعضهم جرة غير

مخائيل باكير (استاذ القانون والمستشار القضائى الأسبق للحكومة) تحوات الانتفاضة إلى حرب تحرير قومية للشعب الفلسطيني، وتعلفاً سمارات التاريخ وبروسه أن أى شعب لا يمكن أن يرضى بالخضوع لسلطة شعب آخر، وستكون نهاية نضاله لتحريره فى الانتصار، إننا نعرف ذلك ونفهمه، لكننا نتجاهله (هأرتس ٢٠٠٢/٣) ويصف الكاتب والمفكر المشهور ب. ميخائيل الحرب التى تشنها إسرائيل على الفلسطينيين بأنها ليست حرب وجود ولا حرب ألام فر ولا حرب تحرير، ثانية ولا حرب على حياة الدولة. طبقاً لنزع الكثيرين في إسرائيل، لكها حرب على الماتق، على بسبب المستوطنات، ومن الذين يصورون على التسكس بفخام الأيام الستة والمستعدين لسك الدولة، والرتاك على رديئة باسم إيمانهم الوقتى بقدمية الأرض. إنهما - يتابع ميخائيل - حرب حملاء وجنونية، زادة وعديمة الفائدة، فرضت على الشعبين بايدى والحراس، ولدى محاولة وضع المسألة في سياقها المعصم، تبرز في الحال محاولة لتبرير مفاهيم يوجعنا (مون بيئة) تفلر فوق طبيعة المورو الصهيونى، أن يقول يوزام كينوك (الشاعر واحد من كبار الرموز الفكرية والثقافية الإسرائيلية) إننى لا أعرف ما الذى يجب عمله، من جانب الأريز المسيطرة على ثلاثة ملايين عربى، ومن جانب آخر إننا لاريد أن يتجول الأشخاص منا مع أرقام زرقاء على أيديهم..



قله هم الذين غامروا بين جموع الاساذة والمخفيين والمخفيين الإسرائيليين في النظر إلى الصراع من زاوية متفرجة، فعننا وجدوا! / الأوريسوم موسى تسوكومان (رئيس معهد التاريخ اللاتى في جامعة تل أبيب) أدرك حالاً أن بداية الفكر الصهيونى كانت خطأ، حيث انسحب اليهود من النضال داخل البلاد حتى كانوا فيها إلى تبدى فترة العودة إلى فلسطين (الاتحاد - حيفا ٢٠٠١/٢٩). ومع تكرار الشفا في المستعبد، باحتلال المناطق الفلسطينية عام ١٩٤٧، كان هناك من طلب العفو على طريقة إفرادى كيشون (الكاتب الساخر الهجارى المولد الذى حصل على جائزة إسرائيل لعام ٢٠٠٢) قللاً: عدراً لثنا انتصرتنا (الأيام ٢٠٠٢/٣/١٩). والمعنى الكامن وراء ذلك، هو قلق ما ترتب على الاحتلال من أعياه على كامل إسرائيل، بالمخلفو الاستراتيجى / التاريخى، فالاحتلال أو ما سيعيه ميخائيل بن يائير باليوم الصايك لحرب الأيام الستة حول إسرائيل من مجتمع أخلاقى (٠) ولاق بعدالة كيانه السياسى (٠٠) إلى مجتمع فاسع ومضطهد لشعب آخر ومجتمع من تخفيف

معهودة، كحالة إبراهيم عوز (استاذ للسر في جامعة حيفا) الذى شبه معارسات جنود الاحتلال بعمارسات النازيين، وصاح: إن في كل واحد منا إيمان صغيراً، (هأرتس ٢٠٠٢/٧/٢٢). إنه مجرد توصيف، لكنه على أى حال خلوقة متقدمة، تصبح ذات أهمية حين لا تكون نسيابة اللطف، بل بداية في طريق مفترض هو طريق التغيير.

لا يجد الأكاديميون والمثقفون الإسرائيليون عناء في تحديد التدايعات المقصورة لسياسة إسرائيل إزاء الفلسطينيين، واستيقاً لنهاية الحتمية، أنيرى بعضهم للتخزين من الكرامة التى سحتل بإسرائيل جراء استمرارها بنهجها الحالي.. أب. بوشع (الواع كسبار ألداء جنون ملحق - جزار ريط الدولة الصهيونية الإسرائيلية بتغيرتها الفلسطينية (يديوت) إنشرت ٢٠٠٢/١٨). ويؤكد عاسى إيلون (الذى انتقل من رئاسة إسرائيل إلى طاقم للفكرية والتقديرات) أن إسرائيل تسير باعين مفتوحة نحو كرامة وجودة تتمثل بنهاية الدولة الصهيونية في حال استمرار الوضع (هأرتس - صاريك) ٢٠٠٢/٧/١١. خاصة أن العرب، باقتداء المروخ الإسرائيلى الجديد، بنى دوريس - لا يمكنه قبول شرعية إسرائيل وأعتاك اليهود لاراة لإدع باع فلسطين.

### دعائل وتصورات للحلل

بغية عدم ترق الباب مفتوحاً على التوقعات، عمد بعض الأكاديميين والمثقفين الإسرائيليين إلى بلورة العديد من المقترحات التى توجت تخفيع الفضايل حول سبل الخروج من تلق المواجهة مع الفلسطينيين. ويمكن تصنيف هذه المقترحات وفق ثلاثة أنماط، هي:

١- **نمط - الحل الإسرائيلى،** الداعى إلى استبعاد الزمن وتقريب الفوة التى شهدتها الفلسطينيين واللى تظن العرب إلى شر حرب

٢- **نمط إسرائيل - سبيل**، مسموح بول البروفيسور آرييه دابر، حيث يجب أن تخيار الزمان والمكان للناسيين لتشن إسرائيل حرباً إزامية وتطلق

النار على رأس عرقات، عندها فقط يمكنها ضمان وجودها في هذه البلاد

٣- **نمط - دولتين لشعبين،** سواء عبر المفاوضات وتقديم التنازلات التى ستضطر إسرائيل إلى تقديمها أجلاً، والخروج من الدائرة المصيرية، بتقديم سبيل لمطرف الفلسطينى كى يتخلل عن العنف / عبارات الأدب داليد خروسام (يديوت أبريت ٢٠٠٢/٢/١٨). أو يطرح مبادرة إسرائيلية لإنهاء الاحتلال وإقامة خط حدود مؤقت ومخصص حسب الواقع الديمغرافى، مع الاعتراف بإقامة دولة فلسطينية مع البحث عن حل شامل بين إسرائيل والعرب.

٤- **نمط - الخيار الأردنى،** الذى يبدو أنه لا يزال بين الملفات الإسرائيلية المفتوحة والتغير هو أن الدولة الفلسطينية تتسبر مسئلة الاستراتيجية اسامية، كى يكف يمكن التنازل عليها حتى لا تكون صديقه وليس بها مطالب داخل إسرائيل. وبعد التفرغ على الخطار الكامنة بموافقة إسرائيل على قيام دولة فلسطينية، الرضى على الاستعجار على حل الدمج الفلسطينى - الأردنى مع فصائل معينة / دعوة بتخفيف دور، إقرار الضعف السياسى، والإدراك إلى الجامعة العربية (القدس المقدسة ٢٠٠١/١١/٣٠).

٥- **إن كانت عدم الأدع تستحق على وجود مسئلة للحل للحل،** إلا أننا نشير إلى حالة من التخطيط والإرتباك في تحديد طبيعة الحل الذى يصمم على المدى الطارى، وتبدو معالم الحل واضعة على التصورات المعروضة، بالفرق فوق مسئلة اللاجئين

### إسقاطات حق العودة

١- **إجماع إسرائيل** شامل تقريباً على أن عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم تعنى نهاية الدولة اليهودية، وبطبيعة الحال يلخص هذا الإجماع المفهوم العنصرى ليوية الدولة وحصرتها الأثنية، عبر المحافظة على الأغلبية اليهودية فيها، ونجد إلى معالجة الاساذة والمثقفين الإسرائيليين هذه المسألة ثلاث صيغ رئيسية، هي:

١- **مسبقة الفرض المطلق** لحق العودة واعتباره «مسبقة شرعية» على إمكانية مساهمة إسرائيل في حلقة اللاجئين،

٢- **صبغة الاعتراف** الإسرائيلى بمسبقة اللاجئين والإقرار بالكم والمعاناة المرتبطة به

٣- **وتحمل للمسؤولية** ولو الجزئية عن وقوعها.

٤- **صبغة عدم مسئلة** اللاجئين للزمن، مع التركيز على تطبيق حل سياسى على يتضمن قيام الدولة الفلسطينية

هنا إنز جيداً قضية الصراع العربى - الإسرائيلى، فلما تسمى، وما لم يجد حق العودة طريقه إلى الاعتراف به، تنف مسئلة اللاجئين الكاشف الحقيقى للثقافة العبرية والاسامية والعلمية السائدة في الأوساط الأكاديمية والثقافية الإسرائيلية، وتلف هذه الأساطير في حالة مشابهة للحجرات التى تغلف إحساسها بالآتجاه، دون أن ترقى أن الموت يتقلتها على الشافى



- تقارير دولية: غسيل الأموال قد يصل إلى (5) بالمائة من دخل العالم؛
- مصر: الكبار يغسلون في عواصم الغرب والصغار يغسلون في قطعة أرض؛
- موسكو: بوتين أيضاً متهمة
- باكستان: (٢٠٠) مليار دولار مشبوهة على حدود أفغانستان
- الإمارات: تجرّم يد أموال (٢٠) شركة ومنشأة بطلب من واشنطن
- غسيل الأموال من المخدرات والرقائق الأبيض إلى «إرهاب» أسيت مبر
- في البدء، كانت الأموال القذرة تتجه إلى محلات الغسيل والكي؛



# أموال الأنابيب

## أو المال الحرام

محمود المـسـراغـي

■ ■ ■ حين نشر الخبير الاقتصادي الباكستاني إكرام الحق دراسته عن غسل الأموال، وكان ذلك قبل ١١ سبتمبر الشهير، لم يكن يعرف أن الدراسة سوف تكون ورقة رئيسية في ملف سبتمبر وحرب الإرهاب.

كانت الدراسة معنية بحكاية المخدرات في كل من باكستان وأفغانستان وعرجت على عالم الجريمة المنظمة، لكنها تنبّهت على وقت مبكر - إلى ذلك الخبيث الذي يربط بين الجاليين، الإرهاب، والحشيش، حتى أنه يمكن القول إن زولجا قد تم بين المخدرات والتطرف وعالم السياسة، وأن هناك - كما يقول إكرام الحق - "تنظيمات إرهابية اعتكست نفوذًا بغسل إمكاناتها المالية التي تكسر بالآل الخيارات والثالثة من تجارة المخدرات".

والفرادة الجديدة للدراسة والتي تم نشرها قبل قليل صيف عام ٢٠٠١ ربما تقدم لنا أيضًا التفسير لذلك الفخ الذي وقعت فيه باكستان متحول من حليفة للافغان إلى واشنطن مع صديقهم، وباتت تاتمر ما تراء واضطر دون حلف أو تحيد، إلى ذلك أنها تم الإسكاه بها مرتين، الأولى حين بدت كمورد رئيسي للبحر الذي تخموا في معادها الإسلامية وأوحا بنفوس إلى طالبان، والثانية وهي التي تيزرها الدراسة، حين بدت كقناة تمويل رئيسية للسلطة (طالبان) - القاعدية - أما التفاصيل التي يقدمها الاقتصادي الباكستاني فهي مذهلة، حيث يبلغ نصيب الشركات الباكستانية في تجارة الهيروين العالمية حوالي مائة مليار دولار سنويًا، أو ثلث الحجم العالمي لهذه التجارة. أو هي (١٠) بالمئة ما يند غسلة سنويًا في العالم من أموال قذرة، والنعبة تبدأ إلى الحدود الأفغانية - الباكستانية حيث يبلغ سعر الكلو جرام - بالجندة - ألف جنيه إسترليني، ثم يتضاعف (٢٥ - ٣٠) مرة حين تصل إلى بريطانيا، ويستمر تزايد السعر في سوق التفتحة ليعمل إلى (٤) ألف جنيه إسترليني، أي أنه أكثر من سعر اللعج بجمالي (٢) مرة. ■

وهذه الأرباح الهائلة هي التي تعسر بالمخاطرة، وبينما تسمى الأموال القذرة للسلول إلى الشريعة عبر عمليات غسل وتحويل وإخفاء، فإن بعضها يذهب لتمويل لتنظيمات سياسية تزداد نفوذًا ونشاطًا بفضل التمويل الضخم القادم من عالم المخدرات، والذي يقبله هذه التنظيمات ذات الطابع الإسلامي ربما بمقتضى (الشركات تبسج المخدرات)، ربما يتفاوض بعض المخدرات شيئًا غير الخمر، ويجوز للمسلم أن يزرعها وينقلها ويبتاعها ويسوقها (١) ومن هنا، فإن طائفة من القاعد أو طالبان - على

سبيل المثال - ذا أيديولوجية إسلامية وجهادية، فإنه قد يستبج زراعة وتجارة المخدرات دوليًا من أجل غاية يرى التنظيم أنها مشروعة، إنه طريق (اللا مشروع) للوصل إلى (المشروع) وهو هذا الجهاد من أجل الإسلام!

صدرت الدراسة قبل سبتمبر، وكانت واشنطن أيضًا معنية بالقضية ولكن من زاوية بعيدة عن الإرهاب وعالم السياسة، فقامت عناصر من المباحث الفيدرالية الأمريكية (اف.بي.اي) بتحرير كوارر أمنية باكستانية على مكافحة عمليات غسل الأموال القذرة الخاصة للجرائم المالية التي أصبح نجاحها - كما تقول سفيرة أمريكية هي ويندي تشامبرلين - "حافزًا رئيسيًا للفساد والتهار للخلل الاجتماعي، إلى إنها الحلقة التي تجعل الجريمة مفيدة وذات ثمرات وأغراء".

أصدرت الخارجية الأمريكية تقريرها هذا في مايو (٢٠٠١) ولم تمجبه ويندي تشامبرلين مساعدة وكيل وزارة الخارجية والنعبة بمكافحة غسل الأموال والتي تم تشجيعها بعد ذلك للكان المفاس، وهو العمل كسفيرة لبلادها في باكستان - لم تنتبه لذلك المسألة التي أشار لها إكرام الحق بين المخدرات والإرهاب، وإن كانت قد نهبت لأهمية إعلان الحرب على مافيا غسل الأموال والذين يعللون - وفقًا لتقريرها - في تريلون دولار سنويًا!

في تلك الفترة أيضًا، وقبل سبتمبر بأحداته المزعومة، وبالتحديد في شهر أغسطس (٢٠٠١) نشرت مجلة "نيوزويك"، تحقيقات أوروبية تجري مع مدير إحدى الشركات الروسية - الألمانية حول عمليات غسل الأموال، وأن التفتحات (قد تمتد للرئيس الروسي فلاديمير بوتين) والذي تولى مسئولية إدارة هذه الشركة لبعض الوقت. أما الشركة نفسها فكان متسويًا لها (وهي شركة سباح كما يتفقها بالالانية) أنها سهلت عمليات غسل الأموال لحسابات

المافيا الروسية ومهربى المخدرات في كولومبيا.

وحن لا نعرف ما انتبهى إليه التحقيق، لكننا نعرف ومن سياق ما جرى نشره أن الرؤساء أيضًا يمكن مساهمتهم طبقًا للقواعد الأوروبية - والتي باتت دولية - في جريمة جديدة اسمها غسل الأموال، والتي لم يكن بعيدًا عنها رؤساء دول وسابحين مثل: سوارتو، ماركوس، وعبد من الرؤساء الأفارقة، وربما غيرهم أيضًا، وهو ما تشير له دراسة مجلة (Impact) الصادرة عن هيئة التمويل الدولية في ربيع عام (١٩٩٩) تحت عنوان "جميع الفساد".

في هذه الدراسة يروي فيليب سيجال - صاحب الدراسة - أن النتائج السالبة لمظاهرة الفساد، بغسل الأموال تقدم من الاقتصاد إلى السياسة، وبينما قد يفيد منها الإرهاب فإن الفراق يدفعون للشن، ويفرض مثلًا بما حدث في إندونيسيا حيث احتكر اصداف وقرباء الرئيس الاندونيسي السابق سوارتو صناعة الطائفة، وجرى بناء مشروع مشترك (اندونيسي - أمريكي) تشارك فيه شركة جنرال إلكتريك، وكان نص العقد يقضى بشراء المراجيل اللازمة للمشروع من شركة أجنبية! أخذ توكيها المحلى أحد أبناء سوارتو، ولكن بكلفة إضافية تحمها المستهلك مقدارها عشرون مليونًا من الدولارات، والأمز متكر: الفساد يحدث، والتكلفة تزيد، والمستهلك يدفع!

وهي حالة سوارتو، الذي تنازل عن جزء كبير من نهج قبل أن يرحل، استعمرت المعلومات تتدفق عن أموال خارج البلاد، فهل كان ذلك عبر قنوات شرعية، أو من خلال وسيلة من وسائل غسل الأموال: بنوك واسهم وسندات وغطارات وشركات وبعية؟ على أي حال فإنه الفساد عند القمة، يدخل

عمر الباب الملكي، وربما عمر اكبر البنوك العالمية، وبينما كان الأمر يتعلق قبل سبتمبر بجرائم مثل المخدرات والدعارة وتجارة السلاح، فإنه - وبعد سبتمبر - بات في ثورة الاهتمام، ذلك أنه ارتبط - وعلى نطاق واسع - بتسويق الإرهاب وسأ جرى في واشنطن ونيويورك، وحينذاك أصبحت الدور العربية والإسلامية في مركز الأحداث، فمن هنا بدأ، كما ترى واشنطن بعد أن تكشف بها حيطان «الأول» مشاركة عدد غير قليل من إباءة الدول الخليجية وبعض المصريين في أنشطة تنظيم القاعدة أو التردد على أفغانستان، وجزء منهم قد تم القبض عليه وجرى نلله إلى قاعدة «جوانتانامو».

■ الثاني: خروج بعض الأموال الخليجية إلى أفغانستان أيضًا، بما حدا بالآراء الأمريكية لطلب تجميد بعض الحسابات في الإمارات العربية والتفتيش على حسابات كثيرة في دول أخرى.

وم يكن ذلك الإرتفاع المتسارع في نهاية (٢٠٠١) وديانات (٢٠٠٢) مع بداية حسيط الاتهام عربي بغيبه لسل الأموال، فقبلها كان الإصاح قائمًا من قبل اللجنة الدولية المعنية بهذا الأمر، وكانت الاتهامات لبعض الدول العربية بأنها حائل حصص لغسل الأموال، وهي اتهامات تحولت بعد سبتمبر للحد من تمويل الإرهاب من خلال (إعمال الخير) التي باتت مهمته في كل مكان، ومن خلال منظمات المشرشرة في الخليج والتي أصبحت موضع شك من وجهة النظر الأمريكية، وربما من وجهة نظر أممية خليجية.

وهكذا ازداد الاهتمام عربيًا بالقضية يتحرك من النمو المركزية، ويصدر تشريعات لتجريم غسل الأموال أول مرة، والأطر يتحاشن ملقوح مع الولايات المتحدة، «لتحرف» وتراقب، وتطارق، وتامر «أحيانًا» بالمخاض ليس لأموال القذرة وحدها، وإنما لنموال المنظمة أيضًا وهي الأكثر بغيعة الحال!

في أي حال قد بات، غسل الأموال، أو قصة الأموال الهاربة في الظلام على الأجندة العربية، وبات ذلك موجبًا لاتهام دولي متزايد يعكسه الدراسات المتشورة، والتحركات السياسية والإعلامية والتي تستهدف إقامة حلف دولي جديد يواجه حلف المفسدين، والمرتشقين، وأصحاب الجريمة المنظمة وجماعات الإرهاب أبدًا.

{ ١ }

في دراسة نشرتها مجلة (فورين بوليسي) - عدد مايو، (٢٠٠٢)

يونيه (٢٠٠١) - يروي (Nigel Marris Otterill) شيئاً من التاريخ فقروا به منذ ثلاثة آلاف عام تقريباً كان التجار الصينيون يجاولون إخفاء أموالهم حتى لا يستولي عليها الحكام، فكانوا يجيشونها في أشكال مختلفة من الانتمشة مثل امتلاك بعض الأصول غير المسالمة، وربما كان ذلك هو أول نشوء فكرة غسل الأموال.

الفصل، كما قلت، عمرها ثلاثة آلاف عام. لكن عامر التميمي رئيس الجمعية الاقتصادية الكويتية يروي ما فعله أخرى عمرها ثلاثة عقود فقط هيجوول «إن مصطلح غسل - أو غسيل - الأموال ملهى في الولايات المتحدة لأول مرة خلال التسعينيات حيث لاحظ رجال مكتبه المخدرات أن التجار الذين يبيعون للمدمنين بالحقنة تتجمع لديهم - في نهاية كل يوم - فئات صغيرة من النقود الورقية والمعدنية وعادة ما يتجهون إلى محلات غسيل الملابس لغسل الأموال الملوثة بأثار المخدرات بالبخار أو الكيمويات أو لاستبدالها بنقد من فئات كبيرة يمكن إيداعها بالبنوك. ومن هنا نشأ مصطلح غسل الأموال، والذي قد يعمل أيضاً تحويل الأموال القذرة إلى أموال نظيفة لا تحمل شبهة اجرامية.

ويصرف النظر عن أصل الكلمة فإن الفكرة لم تبدأ هكذا، ولم تشرع التنظيمات والمعادنات الدولية لكي تواجه تفكراً يتجده محلات الغسيل والكي. لقد تحدثنا طويلاً عن الاقتصاد الخفي والاقتصاد الأسود... فهل تكون هذه هي البداية؟

الإجابة أيضاً بالنفي، ففكرة البدهى هي فكرة الاقتصاد العالمي التي تزاد حجباً بسرعة هائلة، وحركة الأموال التي تتسارع وتيرتها، وعالم التكنولوجيا والكمبيوتر الذي جعل انتقال الأموال يتم بضغطة إصبع على جهاز إلكتروني، كما جعل انتقال الملكية

وبالملايات كل يوم. عبر اموال إلكترونية للبروصات وأسواق المال.. فكيف يمكن التحكم في كل ذلك؟

في تقرير (التقصية في العالم) الذي أصدره البنك الدولي (٢٠٠١) أن مسافلي تدفقت دروس الأموال الخاصة في مجموعة الدول ذات الدخل المنخفض والمتوسط عند ارتفع من (٤.٦) مليار دولار عام (١٩٩٠) إلى (٦.٨) مليار دولار عام ١٩٩٨. أي أنه مضاعف أكثر من ست مرات في ثماني سنوات، بل إنه في بلد مثل البرازيل قد تضاعف نحو مائة مرة في نفس الفترة!

وبدون الدخول في تفاصيل حركة دروس الأموال عبر الحدود الدولية فقد كانت الكثرة كبيرة، وتضم الاقتصاد الرسمي الذي تسجله الأرقام وتعلم عنه الحكومات الكثير من أسرار، والاقتصاد غير الرسمي أو الاقتصاد الخفي والذي يضم المشروعات وغير المشروع، البائع المسجول الذي لا تعرف عنه الضرائب شيئاً، وبائع المخدرات الذي يدخل في مجال الاقتصاد الأسود، ويسعى لتغيير وجهه أمام المجتمع أو لتبليس أمواله حتى لا تكون مطاردة إلى غسل هذه الأموال، تخرج (بجصاص من غير سوء) قبضه المال الملوث في أوعية مختلفة مثل شراء الذهب أو السفن أو العقارات أو الشركات الخفية أو شركات (الواجهة) .. لم تعد سحب النقود ليودعها في البنوك التي تملك حاسة الشم، لكنها وإزده مصدر مشروع لا تستطيع إلا أن تغلق ما يقدم لها من أموال. ومن بعدها يبدأ التوجّه الحقيقي للأموال كما يريدنا صاحبها. إنها مثل لعبة «السلم والنجبان» التي يتسلق بها الأبطال، فلا تكاد العين وهي تنظر لبداية اللوحة أن تعرف كيف الوصول إلى

النهاية. فاشترجات، والطرق الملتوية ثقيلة بالتمويه.

أيضاً فهي «أموال الألبابيه» إن جاز التعبير، فعملها يجب الرجل من زوجته دون لقاء جنسي وعمر أنثوية تنضم سائل الرجل والمرأة... فإن نفس الشيء يحدث في غسيل الأموال حيث يلتقي الرجل وعنده التفتيش الوصول إلى النشاط المشروع عبر عالم سرى لآراء الأعين!

والبداية قد تكون أيضاً أموالاً نظيفة وناتج نشاط مشروع، لكنها ورغبة في التهرب من الضرائب الباهظة، أو رغبة في الهروب من انكسار وطني تنضم تحرك دروس الأموال، حينذاك قد يلجأ رأس المال للتجار عبر وسائل غير مرئية، وعبر بنوك وانشطة في الداخل أو في الخارج، وبينما كان نظام الحسابات المبرية، والتي قد يصعب اسم صاحبها مجهولاً، وسيلة جيدة للتخفي فإن هناك بلاداً قد اشتهرت بغسل الأموال وإعطاء شهادة صلاحية لانتقال إلى مختلف أنحاء العالم! في كتاب يحمل اسم «دخ العوالة» تاليف: (هانس-بيتر مارتين وهارالد شومان) قصة طويلة حول «الواجبات الضريبية» التي تستقبل الأموال الهاربة من تيران الضرائب في أماكن أخرى، فتأتي إلى هذه الجناات وتتجمع بإعدادات كاملة أو شبه كاملة، وتتحرك في المصارف بحرية دون أن يسألها احد: (من أين لك هذا؟).

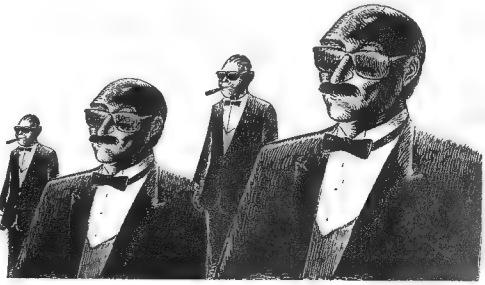
ويقول مؤلفو الكتاب - الذي قام بترجمته للحريرية - عدنان عباس علي - أنه «من الكاريبي وغير لشنتاين هناك ما يقرب من مائة منطقة مختارة تدور منبر المصارف وشركات التأمين وصناديق الاستثمار أموال زيلنها الأثرية، وبينها مثل جزر (الكايين) الكاريبية والتي تخضع - رغم استقلالها - للناظر البريطاني وتضم (١٤) ألف مواطن فقط ولا تزيد مساحتها على (١٤) كيلو متراً مربعاً. وهذه الجزيرة وحدها تضم خمسمائة

مصرف مسجل، وبعض هذه المصارف ينتمي لبنوك عالمية شهيرة. ومثل الكايين، ذاتي لوكسمبورج، وإمارة لشنتاين وجزيرة سرسي الواقعة في الفلال الإنجليزي... وغيرها

## [ ٢ ]

يدافع البعض جزئياً عن عملية غسل الأموال حين تكون اضطرارية ويضرب (تيجل موريس) المثل في دراسته بمجلة (فورين بوليسي - مايو، يونيو ٢٠٠١)، بضرب المثل بمصر الذين صارت زيمبابوي أراضيهم، ويرجع الأعمال في شيجيريا الذين أقاموا اقتصاداً موازياً خارج نيجيريا بسبب قواعد التحويل الصارمة للمعلة النيجيرية والذي استمر طويلاً.. وتتحدث الدراسة عن التهرب من الضرائب وهو تهرب يعني أن جزءاً من الأرباح المبرورة وهي الأموال المبرورة قد بات غير مشروع، وأصبح كما يشير الباحث مثل نقطة العنبر إذا اختلطت بالمال لوثها، لكن فصلها عنه يصعب مستحيلًا.. وهكذا تكون الأموال بعد أن تدخل إلى باب البنك ويقبلها الشباك.

المناخ إذن متعدد، والأحجام هي ما جعلت الاقتصاد الدولي متزايداً حتى إن لجنة دولية لمكافحة غسل الأموال قد أنشأتها أوروبا، ثم باتت تنظيمياً ملتبساً إضافة لبرنامج الأمم المتحدة لمكافحة المخدرات وغسل الأموال، ورغم أن تقليد حجم الأموال التي يتم غسلها سنوياً يختلف عليه لأنه جزء من «كامل الصراء» الذي يصعب حصره، فإن الأرقام تتفاوت بين ستمائة مليار دولار واربعمائة مليار دولار، يقدر تقرير للبنك الدولي أن الحجم من (١٩٩٤) كان ستمائة مليار دولار ويقدر تقرير صادر من صندوق النقد الدولي أن الأموال التي تم تبليصها من (٩٨) تتراوح ما بين (٦٠٠-٧٠٠) مليار دولار وهو ما يعادل في الحدود الدنيا (٢) من الناتج المحلي لكل دول العالم، بينما يرتفع من الدول الأعلى - وفق تقديرات أخرى (٥) % من دخل العالم و(٢٥) % من التجارة العالمية وأكثر من سبعة أضعاف مجموع الصادرات السنوية لخطة أوبك من النفط، وما يوازي ثلاثة أضعاف مجموع احتياطات البنوك؛ وتتفق تقديرات اللجنة المالية الدولية لمكافحة غسل الأموال مع صندوق النقد في تقديراته التي تدعو إلى أن غسل الأموال يتراوح بين (٥-٢) بالمائة من الناتج العالمي، ويقدر - د. إكرم الحق في دراسته المشار إليها سابقاً أن ما يتم عمله سنوياً يبلغ نحو تريليون (ألف مليار) دولار، بينما يقدر - شريف بسويحي الخبير بالعلاقات الدولية والقانون الجنائي الدولي - حجم تجارة المخدرات وحدها بخمسمائة مليار دولار سنوياً، ويرى - د. حمدي عبد العظيم نائب رئيس أكاديمية السادات للعلوم الإدارية - حجم الاقتصاد الخفي في مصر في منتصف التسعينيات (١٩٩٤) قد بلغ (٣٢.٧) مليار جنيه بينما بلغت قيمة المخدرات المتداولة حوالي (٣) مليارات جنيه سنوياً ويتم غسل (٧٠-٧٥) منها في البنوك وأسواق المال محلياً وعالمياً، وتستند هذه الدراسة الأخيرة على أرقام وزارة الداخلية التي تسيطر عليها





## [ ٢ ]

هذه الدورة ذات الطبيعة الخاصة هي التي تجعل شعار الحملة العالمية لغسل الأموال هي «عرف عميلك»، بمعنى أنه عندما تزيد الإيرادات في البنوك عن رقم معين (وهو عشرة آلاف دولار في الولايات المتحدة مثلاً) أو عندما يشك موظف البنك فإن السؤال يصبح ضرورياً من مصدر الأموال، ولكن وحتى تصل إلى هذه النقطة فإن أربعين وسيلة عمل ونصحية قانونية أصدرتها اللجنة المالية لمكافحة غسيل الأموال والتي تضم أكثر من ثلاثين دولة، وتعتبر مسؤولية عن تطوير السياسات الهادفة إلى مكافحة عمليات غسيل الأموال، وملاحقة العوائد الختافية عنها لكشف عن مصاربه غير المشروعة ولتج إعادة استخدام هذه العوائد في أنشطة غير شرعية.

التوصيات تم وضعها عام ١٩٩٠، وجرى مراجعتها وتطويرها وصدرت معاملة عام ٩٦ لتنطبقها الدول الأعضاء وغير الأعضاء، وتصبح بعد ذلك دستوراً يحدد الدول المتعاونة والدول المتقدمة بعدم التعاون ومن ثم غسل الأموال في نطاقها.

وتبدأ التوصيات بأهمية التصديق على احكام معاهدة الأمم المتحدة لعام (١٩٨٨) والخاصة بالمخدرات والمخرفعة باسم معاهدة فيينا، وتمتد لأهمية أن تصدر الدول المختلفة التشريعات التي تعدد نطاق الجريمة الأصلية «المخدرات مثلاً» والجريمة التابعة «غسل الأموال». كما تعدد الهيئات المختصة في مكافحة الجريمة التي تشمل: كل المصارف، كل التتبع للأموال والممتلكات، تجيد الأموال والمجوز عليها في التحقيق، إبطال العقود، إنزال العقوبات، وتبادل المعلومات محلياً ودولياً، وبما يجعل كل المؤسسات المالية التجارية مسؤولة عن تطبيق القانون وليست البنوك وحدها. ولكن، وعندما تصل التوصيات إلى دائرة البنوك فإنها ترفع

الف قضية في عام ١٩٩٤، وتقول المراسلة أنه إذا كان المعلن أو المضبوط لا يتجاوز (٤٠) بالمائة في العادة ما يتم تناوله فإن الرقم الحقيقي لا يتم تناوله. ومن ثم غسلة أو غسل مسجلة - يعني إلى ستة مليارات من الجنيهات كل عام، وبينما يغسل المصنار الموالهم في مشروع أو قطعة أرض فإن الكبار يتجهون للعوامل الغربية في أغلب الأحيان.



في كل الأحوال فإننا أمام أرقام هائلة، ولنا أن تصور دورتها في الاقتصاد سواء في مصر أو العالم العربي أو العالم الخارجي.

في البداية نشأت عن مشروع يقطع عن الاستثمار القومي حصصاً لا بأس بها، وبينما تكون الدولة في حاجة إلى مستثمرين - على سبيل المثال - فإن الأموال تذهب لشراء أسلحة صغرية أو مخدرات أو اقتناء غنائيات وأطفال يعملون في سوق الرقيق الأبيض والسوق - بل تذهب للنشاطات غير المشروعة كشراء العقاصد في النهاية،

يضيف للدخل القومي عبر رافدة الشهيدين: الأجور وعوائد التملك... إننا نعتنا شره أكثر من خير، إن كان هناك خير على الإطلاق؟

صحيح أن الأنشطة غير المشروعة تلد دغولاً وفسحاً لهم لغنا يتبعهم من أي جانب اختاروا أو قانوني ولترتكب كل ما يضر المجتمع، وفي جانبها يرى أنها تلتصق من الاستعمار القومي، واستهلاك القومي الرصيد وتذكي أنشطة «الاقتصاد المظلم» إن جاز التعبير، فالنقد الرخيصة والتي تأتي بكميات غير معاداة في الأنشطة الاقتصادية المشروعة، تخرج من أيدي أصحابها ببساطة فيفسارونها ليعملوا بالسلع والأراضي، وربما يقيسون أسياساً ألف ليلة وليلة في الفراحم كما تروي بعض الحكايات في مصر.

وتتسم المرحلة الأولى بأنها ذات تضم أكثر من نشاط واحد فيكون التحالف بين مختلف فروع الجريمة، فمخارج المخدرات قد يتحول إلى تاجر سلاح بشكل غير مشروع والالتان يحتاجان إلى حماية فيلجان لعصابات القتال وعصابات التزوير والتزوير، إنه تحالف الجريمة تتلقى فيه نوعيات متعددة تعمل تحت المظلة وعميداً عن أعين الجميع.

بعدها، تبدأ المرحلة الثانية، مرحلة تفكك الجبر التي تختلط بالله فلا نستطيع أن نلفظها، وهنا تتقدم الواسل، وبينما لا يلتصق المخرنف الصغير (مثل الموالف المرتشي) الانتظار حتى لو ذهب إلى البنوك يودع فيها أمواله... فإن المخرنف الكبير يبقى هو المعنى بالوصول إلى ضباب الحياة ليودع فيه تقوده، ثم يسحبها وقد أصبحت أموالاً مشروعة. ومن ثم تدخل المرحلة الثالثة وهي مرحلة الدخول إلى المشروع عبر مشروعات وأنشطة عادية، ولكن ما بين المرحلة الثانية والثالثة أي مرحلة للدخول والخروج من المصارف أو البورصات أو المؤسسات المالية يكون الحذر ويكون الفساد والإفساد فيبحث صاحب الأموال عن مصري يحميه أو مسئول يعطيه البراءة؟

## [ ٤ ]

جريمة غسل الأموال إن جازية مستخدمة، بل هي أبنة العقود أو السنوات الأخيرة من القرن العشرين - وهي - كما قلت - جريمة نابضة، بل هي محاولة لحاصرة مجموعة من الجرائم عن طريق حرماتها عن علمها المادي أو عن طريق الإفساد بتأثيرها من الطرف الأخير للجريمة، الربح الملتحق والأموال الظاهرة.

وعالم الجريمة - كما هو معروف - عالم متسع يشمل - على سبيل المثال - الحصر - الحشرات، والطفق والانتزاع والاحتساب والسرقة والاختلاس وأرادة وتزوير الأسلحة والبضائع وقطع الغيار الآدمية والحدارة والتجارت في السوق الأسود والتزوير الفصيري والافتراء في البنون والاستيلاء على أموالها أو تهريبها للخارج والتأجير في السلع الفاسدة وتزوير الشيكات والمصارف غير المشروعة في أسواق الأوراق المالية.

القائمة طويلة أصيف إليها في الآونة الأخيرة ويشكل ملح: قضية الإرهاب، والتي كانت وراء تصديق أربعة وثلاثين شركة مشتبها في أمرها بدولة الإمارات العربية وكان ذلك في (٢٠٠٠) نوفمبر عام (٢٠٠٠) أي بعد سبعين يوماً من أحداث (١١ سبتمبر وبناء على طلب من الولايات المتحدة، وإن لم يفسح قرار البنك المركزي بالإمرات عن ذلك، قد شمل قرار التصفية عددًا من الشركات التجارية ومحطات البترين والطاعم ومحلات المهورات، فهل كان لهذه المنشآت علاقة بشؤون الإرهاب الذي ضرب الولايات المتحدة؟ أم أن التجميع تم تطبيقاً لقانون مكافحة غسل الأموال والذي كان قد صدر قبل ذلك بأسابيع؟

الشعار السالف ذكره (عرف عميلك) فعير مسموح بفتح حسابات بأسماء مجهولة أو وهمية أو دون التعرف على المركز القانوني للعميل أو عنوان إقامته ومجال نشاطه



التوصيات، أو الوصايا تتعدد بعد ذلك لتشمل جوانب فنية كثيرة، مثل حفظ السجلات لمدة خمس سنوات على الأقل، ومثل تصميم نظام للإبلاغ عن المخالفين والمشتبه فيهم دون أن يصاب الموظف الذي يقوم بذلك بأذى.

وتمتد الوصايا من مجال الداخل وتطوير أجهزته وتزويجهاته عن الخارج وتأمين فتح قنوات بين الدول لتبادل المعلومات.. وتبادل التضمين أيضاً مع إبرام معاهدات دولية على غرار معاهدة المجلس الأوروبي في حق غسل الأموال، وهي واحدة من اتفاقيات ومعاهدات أبرزها:

- ١- اتفاقية فيينا (١٩٨٨) لمكافحة الاتجار غير المشروع في المخدرات والمؤثرات العقلية.
- ٢- مبادئ الرقابة الحصيفة، أو هكذا جرت تسميتها من لجنة بازل، ويرتبط أحد هذه المبادئ بتعليق على الأموال.
- ٣- توجيه المجلس الأوروبي في يونيو (٩١) حول هذا الأمر.

١- الاتفاقية العربية التي عقدت عام (١٩٩٤).

وقد تم تبني ذلك بالنشاط الدوب لجنة الدولية لمكافحة غسل الأموال (F.A.T.F) والتي نشأت في قمة الدول الصناعية السبع (٨٩) وأصدرت توجيهاتها الأربعين السابق الإشارة إليها عام (٩٠) ثم عدلتها وراجعتها عام (٩٦) واللجنة تضم دولاً من أوروبا وأمريكا اللاتينية وآسيا ومجلس التعاون الخليجي.



## جريمة غسل الأموال إذن جريمة مستحدثة،

بل هي أبنة العقود أو السنوات الأخيرة من القرن

العشرين، وهي جريمة تابعة، بل هي محاولة

لحاصرة مجموعة من الجرائم عن طريق حرماتها

من علمها المادي أو عن طريق الإفساد

بتأثيرها من الطرف الأخير للجريمة،

الربح الملتحق والأموال الظاهرة



على أي حال، فإن سلسلة من الإجراءات قد تمت في الدول العربية استجابة للضغط التي مورست للدخول في حملة غسل الأموال أو دراً للتهام الذي جرى توجيهه بالفعل لبعض البلاد مثل مصر والتي جاء اتهامها بعدم التعاون في الحملة الدولية بسبب عدم إصدارها للقوانين والتشريعات المنظمة، ذلك، وهو ما يتم تداركه حالياً. وهو نفس الاتهام الذي جرى توجيهه لدولة الإمارات والتي أعلنت تبنيها - على لسان محافظ مصرف المركزي يوم (٨) سبتمبر (٢٠٠١) أنها قد توصلت إلى اتفاق مع مجموعة العمل المالي الدولية لتجلبل تقرير الفريق بشأن تصنيف الدول غير المتعاونة إلى مبراري عام (٢٠٠٢).

في هذه الآونة أيضاً، التزم الشامي من عام (٢٠٠١) أوفات شرطة الجبرين خمسة من رجال الأعمال الذين يحلون الجفسيين القرمية والأردنية بفتح أموال جهما (٥٠) مليون دولار، وكان تم تطبيقاً لقانون مكافحة غسل الأموال الذي أصدرته البحرين في يناير من نفس العام.

بعدها، وفي فبراير من هذا العام (٢٠٠٢) ألغى النائب العام اللبناني قراراً قد صدر بملاحقة

## كتاب الزاوية



### حالة حصار

محمود درويش (١٣ مارس ١٩٤١ )

ولد بقرية «البيرة» في سهل عكا. خرج مع الخارجيين بعد اجتياح القرية في ١٩٤٨، قضى مع عائلته عاماً في لبنان، عادت بعده العائلة إلى فلسطين. صدرت مجموعته الأولى «عصافير بلا أجنحة» في ١٩٦٠. وتتابعت مجموعاته وهو يقضي أيامه بين السجن والإقامة الجبرية. في ١٩٧٠ خرج للدراسة في موسكو. لكنه قرر ألا يعود. جاء إلى القاهرة، ومنها إلى بيروت حيث استقر رماً وأصدر مجلة «الكرمل». وخرج من بيروت بعد اجتياحها في ١٩٨٢. وظل محمود يراوح بين المدن العربية والأوروبية، ويكتب الشعر في كل الأحوال. رفض درويش «اتفاق أوسلو»، واستقال من «اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير»، ولم يعد إلى فلسطين إلا في ١٩٩٦، وأقام في رام الله.

أهم أعماله الشعرية: «عاشق من فلسطين» ١٩٦٦، «أحبك أو لا أحبك» ١٩٧١، «محاولة رقم ٤٧» ١٩٧٣، «تلك صورتها» وهذا انتحار العاشق» ١٩٧٥، «مديح الظل العالي» ١٩٨٣، «حصار لمناخ البحر» ١٩٨٤، «ورد أقل» ١٩٨٦، «هي أغنية.. هي أغنية» ١٩٨٧، «أرى ما أريد» ١٩٨٨، «أحد عشر كوكباً» ١٩٩٢، «لماذا تركت الحصان وحيداً» ١٩٩٥، «سرير الغربة» ١٩٩٩ و«جدارية» ٢٠٠٠.

ومن أعماله النثرية: «يوميات الحزن العادي» ١٩٧٣، «شيء عن الوطن» ١٩٧٥، «ذاكرة للنسيان» ١٩٨٦ و«في وصف حالتنا» ١٩٨٧.

«حالة حصار» آخر أعماله، وهي قصيدة طويلة كتبها الشاعر في رام الله، في يناير ٢٠٠٢.

جذبت مستثمرين لبنانيين، قبل كان يتم التحقق من هوية أموالهم، وأنها ليست مالا حراماً؟

« نفس السؤال يتم توجيهه في عملية الخصخصة، فالعين دائماً على أفضل العروض، وأعلى الأسعار، وأيسر الطرق للبيع. فهل كانت العين مفتوحة أيضاً على ذلك الجانب الذي نتحدث عنه، وهو جانب «الحال الحرام»؟ وهل كانت الأموال «المخزونة» من البنوك المصرية والتي تم بيعها بشراء مشروعات عامة أو إنشاء مشروعات مع انسحاب المال المعلق للمستثمر في الوقت المناسب.. هل كان استخدام هذه الأموال - وربما فقدها - حلالاً أم حراماً؟

« وهل كانت ظاهرة تركيز الإقراض في عدد محدود من رجال الأعمال عصباً حافزاً للاستثمار.. أم مشجعاً لهروب رؤوس الأموال إلى الخارج، بموجب سماح يضمنه قانون النقد الأجنبي الذي يجعل تسهيلات تزيد عما هو مطبق في بريطانيا



القانون في مصر يسمح بتحويل الأموال بلا قيود، لكن البيض - وهروباً من المسؤولية أو خوفاً من لفتنسيات معينة قد يلجأ أيضاً لتعلمات غسل الأموال، تختفي بعدها الثروات خارج مصر.

أقول: إنه تركيز الإقراض وأمامي دراسة مصيرية تشير إلى أن (٢٤٣) عميلاً قد حصلوا - في نهاية مارس (٢٠٠٠) - على ٤٢٪ من حجم الائتمان في مصر، وأن ثمانية عملاء قد حصلوا وحدهم على (١٢,٤) مليار جنيه، وبعض هؤلاء (خرج.. ولم يعد).

قضية غسل الأموال إن قضية مهمة، لكن الأهم: مجموع السياسات التي تضمن السلوك المالي والاقتصادي القويم.. والسياسات هنا: تشريعية، وتنظيمية، ومؤسسية، ورقابية، ومحاسبية.. ولعل ذلك ويعد: شاكلياً تسبب ينشر الحقائق ونشر المفاسد أيضاً. إنها قضية الديموقراطية وحرية المعلومات والتي لم تعد - كما تقول مؤسسات دولية كالبانك الدولي - تنفصل عن قضية الاقتصاد.. فالديموقراطية في النهاية هي الطريق القويم لاتخاذ القرارات في السياسة والاقتصاد والمجتمع.

ثلاثة لبنانيين - أحدهم يحمل الجنسية الأسترالية - بتمهة تبييض الأموال وبناء على طلب هيئة التحقيق الخاصة لدى مصرف لبنان المركزي والتي تعنى بمكافحة غسل الأموال.

وفي نفس الشهر - فبراير - كانت كل من مصر واليمن والكويت تعد مشروعات قوانين حول هذا الأمر. وقد وافق مجلس الشعب المصري بالفعل في شهر مايو الماضي على مشروع القانون بعد أن كان مجلس الشورى قد وافق عليه قبل ذلك بأيام.

ويبدو أن المطالبة بالاتهامات كانت وراء موجة القوانين التي تعانق هذا الأمر في مختلف البلاد العربية، وفي حالة مصر التي جرى إدراجها ضمن الدول غير المتعاونة والتي تجري مناقشة تشريع جديد لهذا الغرض، فإن الدولارات المسكوبة ترى أن غسل الأموال لم يكن مباحاً. لكن مواجهته كانت تتم من خلال قوانين تعالج الجرائم الأصلية مثل المخدرات، كما أن مصر ملتزمة باتفاقية الأمم المتحدة (فيينا) - ١٩٨٨) وقد أصدر البنك المركزي في يوليو (٢٠٠١) تعليمات للبنوك للحيولة دون غسل الأموال.. أي أن المواجهة قد بدأت قبل اللجوء لقانون خاص جرى الاختلاف حول اثره وهل يمكن أن يجاسر الجريمة ويطارده أموال الإرهاب (وإن لم تظهر في مصر).. أم أنه يزيد من مشاكل البنوك ويدفع رؤوس الأموال للهروب من اللقوات الشرعية، ومن ثم يؤدي على حركة الاستعانة.

### [٥]

في حالة مصر نثار علامات استفهام عديدة.

« فلماذا كان محافظ البنك المركزي قد أصدر منشوراً في منتصف عام (٢٠٠١) يقضي بعدم وضع أي قيود على الإيداعات النقدية بالعملات الأجنبية في حالة سداد مديونيات العملاء تجاه البنوك، أو حالة فتح اعتمادات مستندية أو بيع عمولات أجنبية مقابل الجنيه المصري.. إننا كانت هذه هي التوجيهات التي أتت الباب لعمليات الغسيل (إن؟) وهل يتم إلغاء هذا المنشور - والذي استهدف فتح عمليات صعبة بعد صدور القانون الجديد؟

« وإذا كانت البورصة قد شهدت طفرة



## كتاب الزاوية



### حالة حصار

(٢)

هنا، عند متحدرات التلال، أمام الغروب

ووهة الوقت،

قُرب سائينٍ مقطوعةِ الطل،

نعملُ ما مَبْنَى السَّجْدِ،

وما يعملُ العاطلونَ عَلَى الْعَمَلِ:

نَرَى الْأَمَلَ.

\*\*\*

بلادُ على أَمَةِ النَجَرِ،

صرنا أَقْبَرُ دَكَاةً،

لَأَنَّا لِحْمَلُفٍ في سَاعَةِ النَصْرِ:

لَا لَيْلَ لِيَلِنَا الْكَلَالَةِ بِالْمَدْقَعَةِ

وَأَعْدَاؤُنَا يُشْعَلُونَ لَنَا النُّورَ

في حلقةِ الْأَنِيةِ

\*\*\*

يقولُ على حافةِ الموتِ:

لَمْ يَبْقَ لِي مَوْطَى لِلْخُسَارَةِ

حُرًّا أَنَا قُرْبَ حَرْبِي

وغدَى في يدى ..

سوف أدخلُ، عما قَلِيلٍ، حياتي

وأولُدُ حَرْبًا لَأَوِينِ،

وَأَخْتَارُ لَأَسْمَى حُرُوفًا مِنَ الْأَلْزُورَةِ

المانيا التي أعطت الشتيابة العامة فيها أن  
صناعة البناء الأساسية كانت تدفع (١٠)  
مليارات مارك سنوياً كرشاوى للمسؤولين..  
وفي المانيا أيضاً تم التحقيق مع شركة أوبل  
لتقاضي (٢٥) من المسؤولين التقنيين بها  
لرشاوى!

ومن المانيا إلى روسيا ودول شرق أوروبا  
يستمر المشهد.. وفلاح فساد لا تتوقف حتى  
بانت القضية هناك دولياً يستحق البحث لأن  
الرشوة تقضي على فكرة المنافسة في الاقتصاد  
السوق، وهو ما حدا بالعالم لإبرام معاهدة  
دولية لمكافحة الرشوة.

وفي عالمنا العربي، وعلى ما أظن فإن  
الجهول أكثر من المعلوم، وأكثرت الفساد  
متوافرة بأكثر مما هو متاح في الدول  
المتقدمة.

في الدول العربية تختلط السياسة  
بالأعمال، وهذا باب واسع للفساد.. وفي  
بلادنا العربية تتراجع الرقابة الضعيفة  
وتغيب الديموقراطية إلا قليلاً.. ومن ثم يصبح  
الكشف عن الفساد مهمة الإدارة التي  
قد تكون ذاتها مرتبطة للفساد.. وتحت إشراف  
مسؤولين قد يكونون فاسدين

في بلادنا أيضاً، تتراجع الحصانة تجاه  
الأخطاء ويلعب احتكار السلطة وعدم تداولها  
دوراً في ترسيخ الفساد.

ومع ذلك فإن حديث الفساد الذي ازداد  
إيقاعه في الفترة الأخيرة، وتصدى بعض  
البرجماتيات لمظاهر الفساد، وإغصام الصحافة  
بالقضية، وإنشاء بعض الدول - مثل الأردن -  
لديريات «مكافحة الفساد» كل ذلك يمثل

خطوة إيجابية، قد يساعدنا المناخ الدولي  
الجديد الضاغط من أجل تصحيح الفساد،  
والأمم عملية ضبط الإيقاع وتنظيم الجهود  
في حملات مخلصه وحقيقية

إنتنى لا أتوقع مجتمعاً متطهراً.. طاهرًا..  
تقياً، لكن ما نرجوه قُدرًا أقل من الفساد يحمي  
المال العام. ويحمي مصالح المجتمع، ويحمي

ما تبقى لدينا من قيم ووجبة.  
أما الحل، فهو ما تدفع له المؤسسات  
الدولية الآن أبحت عن الانتفاضة، وأبحت عن  
المؤسسة.

الديموقراطية تزيد الانتماء، وتوفر  
الحياة والمشاركة والشفافية تجعل كل  
شيء «على المكشوف» مما يسهل الرقابة  
والمناسبة.. وسيادة القانون هي ما يمنع  
الانحراف.

● نلنشى منظمات لحاربة الفساد، كما  
فعلت بعض الدول؟

● هل نعيد النظر في طريقة التصرف في  
المال العام فنوفر شفافية أكثر في عملية  
الخصخصة، وننتشر فحواها أولاً بأول؟  
● هل نشدد القوانين لتجعل المال العام  
من العكاز؟

كل ذلك مطلوب، فاسوما فعله أمة أن  
تكون حكوماتها للبيع والشراء.. وأن تكون  
الدخول إلى الفساد بالمال الرسمية؛ سواء  
معلها الصغار، أو فعلها الكبار من وزراء  
سابقين أو لاحقين.

القضية ليست غسل الأموال، رغم أهمية  
مطاردة هذه الأموال، لكن القضية هي ما وراء  
ذلك، فالأفعال تخرج من ثقب إبرة.. هكذا  
تعودنا في بلادنا. ■

[٦]

في اليوم، كما قلت، كان الفساد، فهو الأصل  
ومن أرباحه يقطع البعض ما يحتاج إلى  
«غسل وكى وتطهير»

والفساد، سياسى واقتصادى، وطبقى  
للدريبات الدولية، فإن الفساد قد انتقل من  
السفح «صغار الموظفين» إلى القمة «كبار  
الموظفين والمسؤولين» كما أنه انتقل من المحلية  
إلى العالمية، وبعد أن كان قرين التوسع في  
الوظائف التي تقوم بها الحكومات، بات في  
عصر اقتصاديات السوق شاملاً (العام  
والخاص).

(شهدت الأونة الأخيرة في مصر تقديم عدد  
من كبار المسؤولين السابقين للمحاكمة بتهمة  
الفساد، كما شهدت تقديم رئيس أحد الأحزاب  
للمحاكمة بتهمة الإضرار عن طريق صحيفة  
الحرب، وشاعت جرائم المال العام التي يرتكبها  
أفراد من الطلاق الخاص).

وبينما يضع البعض تعريفاً للفساد أنه  
الدخول إلى عالم الجريمة «بالمالاس الرسمية»  
ويقول آخرون: «إن الفساد هو أن تبيع الحكومة  
ناصر معلوم..» بينما تأتي هذه التعريفات  
الساحرة فإن الدراسات الدولية تشير إلى أن  
بداية الفساد استغلال للسلطة، وهي - في أغلب  
الأحيان - سلطة عامة تفرض الضريبة وتصلها

وتعفى منها، وتعفى التراخيص أو تصحبها،  
وتشتري وتبيع من خلال مناقصات دولية  
ومحلية.. إنها سلطة المَنح والتمنع يمارسها  
موظف كبير أو هينجر، فإذا انحرف سلطته، أو  
قام بتعطيل الإجراءات لإيقام يتسببها بمقابل  
مادى، فإن الفساد يكون قد بلغ ذروته.

لكن الفساد ليس مجرد تظلمة أخلاقية، إنه  
أيضاً عرض من أعراض سوء التنظيم والإدارة،  
ومن ثم فليس أن يصبح «أسد حراسى»، فإنه  
لا بد أن تصبح مطالبين بمثل إدارية وسياسية  
أفضل. أما الدليل فهو ما جاء في تقرير مؤسسة

الأعرام عن الانتهاكات الاستعمارية  
الاستراتيجية لعام (٢٠٠٠) والذي تناول  
أسباب قضية الفساد في الوطن العربي،  
فقدت عن لعبة إغواء المعلومات، ومشكلة  
غياب المساءلة، والقضية انخفاض أجور  
الموظفين وتضارب الاختصاصات وعدم وضوح  
النواتج.

(تعترف مصلحة الجمارك في مصر بأن  
الإجراءات البالية التعقيد حتى أنها تحتاج  
لإنشاء مهنة مخلص ليقود المتهملين داخل  
الدول المحرمة!!)

ولكن لماذا احتلت قضية الفساد اهتماماً  
عائياً؟

لقد نشأت بيلكة دولية جديدة في  
التسعينيات، غاب النفاخر الذي خلفه الحرب  
الباردة وبدأ التنافس السلمي على الأسواق..  
وبات كسب الأسواق على أساس قاعدة  
«الأفضل، أسرع، مستهدفاً..» ولكن لأن البعض  
«يدفع» فإنه يستحوذ على الصفقات الدولية  
الكبرى وينفذ إلى الأسواق على حساب  
الأخرين



هكذا كان الأمر - مثلاً - مع شركات المانية  
وأمركية كبرى.. وهكذا كانت البداية في

## أمن بما ريجان وكارتر

المسيحية الصهيونية  
في أمريكا

في الأساس كانت الكاثوليكية تقول بأن العصمة للمكتسبة التي يملها البابا. يعد حركة الإصلاح الديني التي انطلقت من ألمانيا بقيادة مارتن لوتر وكالفن وغيرهما أخذت تلك الحركة بنظرية تقول إن العصمة للكاتب المقدس.

كانت الكاثوليكية تعمست بنظرية القديس أوغستين بأن ما ورد في الكتاب المقدس بشأن مملكة الله قائم في السماء وليس على الأرض. وبالتالي فإن القديس وصهيون ليسا مكانين مصادين على الأرض تسكن اليهود ولكنهما مكانان سواويان مفتوحان أمام كل المؤمنين بالله. بعد حركة الإصلاح الديني وُضعت تفسيرات أخرى تقول بالواقع الأرضي لمملكة الله، ويوجد الله المقدس لليهود ومكانتهم عن الله في إلهامه مفككة، وبالعودة الثانية لتلميح وشروطها وبالثانية وحديثها.

وهكذا ومنذ منتصف عام ١٦٠٠ بدأت الحركة البروتستانتية دعوة اليهود إلى مغادرة أوروبا والعودة إلى فلسطين لإقامة مملكة الله. أوتيفر كرمويل راعي الكومنولث البريطاني في انطلاقة الأولى دعا إلى توحيد فلسطين لعودة المسيح.

وفي عام ١٦٥٥ نُشر كتاب للبروتستانتين الألماني يول لفيجن هوف قال فيه إن اليهود سوف يتحولون إلى المسيحية بمجرد الظهور الثاني لتلميح لأنهم سوف يعتبرونه واحدا منهم. وأن من مستقر ما هذا الغلوهر الثاني عودة اليهود إلى الديار التي منحهم الله إياه عبر إبراهيم وإسحق ويعقوب.

وهكذا تكونت الأدبيات الدينية التي تجعل من اليهود المؤمنين على الخطأ الإلهية التي يتخذ بمقتضاها مصير جميعهم. والتي تجعل من إقامة دولتهم المخل الوحيد الذي لا بد منه لعودة الثانية لتلميح. وهي الصورة التي تصمم صبراً الإيمان والكفر والتي تعشيه بانتصار المسيح وسيدانته على العالم مدة ألف عام ومن ثم تقوم الساعة.

من خلال هذه الأدبيات أصبح الإيمان بمساعدة اليهود في إقامة دولة في فلسطين نوعاً من العبادة التي تحجر عن مشاركة الإنسانية في تحقيق الإزادة الإلهية. حتى أن اللورد انطوني أشلي كسوير الإصلاحى الإنجليزي الشهير قال في عام ١٨٣٩ «إن اليهود رغم غلابة القلب وغارقون في المحمية ويتكبرون اللاهوت فإنهم ضروريون بالبنسية لأمل المسيحي في الخلاص». والرغبة في الخلاص المسيحية كانت الحافز الديني وراء قيام الحركة الصهيونية المسيحية بمعنى مساعدة اليهود على إقامة دولتهم في فلسطين بالذات. وحتى لا يتعرض الضمير المسيحي البروتستانتي إلى أي عذاب. رفع اللورد كسوير الشعار الذي

«تقف الدبلوماسية العربية متلعزمة أمام تفسير الموقف الأمريكي المؤيد لإسرائيل في كل الصروب والاعتداءات التي تشهدها على العالم العربي. ملأاً تضامراً الولايات المتحدة بتعرض مصالحتها وسمعتها المعنوية للخطر؟ ولماذا تضرب عرض الحائط بالصدقة مع العالم العربي (٢٠٠ مليون) ومع العالم الإسلامي (مليار و ٢٠٠ مليون)؟ بل ومع شعوب العالم في الشرق وفي الغرب التي تؤمن بحقوق الإنسان وتدعو إلى احترام المبادئ والقوانين الدولية؟ ولماذا تدافع عن المجازر التي ترتكبها إسرائيل وتؤيدها على حساب كل هذه القيم والمبادئ الإنسانية؟

في الأساس هناك خطأ في صياغة هذا السؤال الذي يتردد على كل شفة ولسان جيداً بعد جيل. والخطأ هو في الاعتقاد بأن الولايات المتحدة تؤيد إسرائيل إن هذا الاعتقاد خاطئ يؤدي إلى نتائج خاطئة. فالعلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل ليست مبنية على التقدير وعلى الدعم والمساندة وليس مسيحياً أن إسرائيل تلعب دور الشرطي الأمريكي في الشرق الأوسط. وبالتالي فإنه ليس صحيحاً أن المخالفة العربية في التجاوب مع المصالح الاستراتيجية الأمريكية يلغي دور هذا الشرطي أو يعطله.

الحقيقة هي أن العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية تتجاوز حدود المصالح السياسية والاقتصادية والأمنية وبالتالي فإنه مهما قدم العالم العربي - الإسلامي من تنازلات وتضحيات لتوليات المتحدة، ومهما أدى من استعداد للتوافق معها وحتى لتيسير في ركابها. فإن ذلك لن يغير شيئاً من الموقف الأمريكي من إسرائيل. ذلك لأن هذا الموقف يترجم في حد ذاته ثوابت إيمانية تتحدى المصالح وتجاوز الصناعات السياسية وحده الشرق الأوسط من دور مناطق العالم الأخرى يخضع فيه القرار السياسي الأمريكي إلى هذه الثوابت الإيمانية. وما اللوبي الصهيوني الفحل والواسع النفوذ في الولايات المتحدة سوى أداة واحدة من أدوات عديدة أخرى توظف هذه الثوابت الإيمانية لصحة إسرائيل.

من أجل ذلك لا بد لنهم خلفية الانترام الأمريكي بإسرائيل من فهم هذه الثوابت ومن معرفة موقعها في عملية صناعة القرار الأمريكي.



محمد السمّك

في عام ١٨٩٧ عُقد في مدينة يال السويسرية المؤتمر الصهيوني الأول بدعوة من الصحفي اليهودي أنشماسوي تيبودور هرتزل. ولكن قبل ذلك بثلاثة قرون انطلقت الحركة الصهيونية المسيحية من هولندا وبريطانيا ثم استوطنت وتجدرت في الولايات المتحدة

تنبأ من بعده كل الصهاينة المسيحيين وهو أن فلسطين أرض بلا شعب لنسحب بلا أرض.



تولى الترجمة العملية الأولى لهذا الشعار اللورد بالمستون وزير الخارجية البريطانية في ذلك الوقت (وكان عم اللورد كوبر) وذلك من خلال إنشاء فصلية بريطانية في القدس في عام ١٨٣٩ وتعيين وليم يونج أحد المؤيدين للصهيونية. (المسيحية نالتا عاماً للقبول، وقد وجدت مهمة يونج برعاية مصالح اليهود واهتمامهم وتسهيل إقامتهم وتشجيع عودتهم في ذلك الوقت كان جزءاً من اليهود في فلسطين كلها كانت جزءاً من البروتوكول السري العثماني يبلغ حسب وثائق القنصلية البريطانية نفسها ٩٩٠ شخصاً فقط. كان للفلسطين البريطانية حتى حمايتهم اليهود الأجانب في فلسطين بموجب اتفاق إضمان فرض على السلطة العثمانية. إلا أن الحماية البريطانية شملت اليهود العثمانيين أيضاً. أدى هذا الأمر لأول مرة في التاريخ الحديث إلى اعتبار كل اليهود أمة واحدة مهما اختلفت أديانهم وجنسياتهم.

وفي عام ١٨٤٠ كتبت هنري تشرشل (ضابط الأركان البريطانية في الشرق الأوسط) إلى موسى مونتيجو، رئيس مجلس الممثلين اليهود في لندن: «لا أستطيع أن أخفي عليك رغبتى الخاصة في أن أرى شعبك يبنى مرة أخرى وجوده كشعب. إنني اعتقد أنه يمكن تحقيق الهدف ببطء، ولكن لا بد من توافر بعض لا شيء عندهم. أولاً أن اليهود أنفسهم أن يتحولوا إلى أمة على الصعيد العالمي والإجماع، فانياً، أن تولى الأوروبية أن تساعد، وفي عكس هذا الموقف بدأ تقدم الفكر الصهيوني للصهيونية الإنجليزية على اليهودية. حتى إن العديد من قادة اليهود في ذلك الوقت كانوا يتفكرون في عمليات تشجيعهم على الهجرة إلى فلسطين، مقصودة في حد ذاتها لإخراجهم من أوروبا تحت لطف يدي.

في عام ١٨٤٠ اقترح إدوارد تيغور من مكتب المستعمرات في لندن «إقامة دولة يهودية في فلسطين تكون تحت حماية بريطانية العظمى، على أن ترفع الوصاية عنها بمجرد أن يصبح اليهود قادرين على الاعتماد بأنفسهم». وقال: «إن دولة يهودية مستقلة في مركز القيادة في الشرق بحيث تمكن من مرافقة عملية التوسع والسيطرة على عداوتها والتصدي له عند الحاجة». وهكذا بدأ استخدام مخطط توطين اليهود في فلسطين ينتقل إلى الميدان السياسي من غير أن يخرج من تحت المظلة الدينية، وهذا التزام لا يزال مستمراً حتى اليوم.

في السادس من فبراير ١٩٨٥، ألقي بمجانبين ننتياها، وكان سفير إسرائيل لدى الأمم المتحدة، خطاباً في الجمعية العامة للمنظمة الدولية قال فيه: «إن كتابات المسحبيين الصهيونيين من الإنجليز والأمريكان، أثرت بصورة مباشرة على تفكير قادة تاريخيين مثل لويد جورج وأرثر بلفور وودرو ويلسون في مطلع هذا القرن. إن حلم القلاع العظيم أصبح شعلة خيال هؤلاء الرجال، الذين لعبوا دوراً رئيساً في إرساء القواعد السياسية والدولية لإحياء الدولة اليهودية».

كان ننتياها واضحاً في إقرار الحقيقة التاريخية عندما قال: «لقد كان هناك شوق قديم في تاليفنا اليهودية للعودة إلى أرض إسرائيل. وهذا الحلم الذي يراودنا منذ ٢٠٠ سنة، نقبض من خلال المسحبيين الصهيونيين».

إذا كانت الحركات الصهيونية المسيحية انطلقت من الأدبيات الدينية المكتوبة في البروتستانتية في بريطانيا وهولندا والمانيا، فإن الولايات المتحدة حملت شعله هذه الحركة وسهرت - ولم تزل - على قيادتها حتى أن لغة اعتقاداً دينياً جرى تجميعه وترسيخه في الضمير الديني الأمريكي. فبالرغم من ما يقابل في بعض إلى من إسرائيل وتخصيص إلى من يساعده، وأنه ببركة دعم الولايات المتحدة لإسرائيل تقتل بركات الله على الشعب الأمريكي بقاء وخيراً وأمنًا وسلاماً.

في عام ١٩٤٢ منحت جامعة هارفارد الأمريكية أول شهادة تكوارة في تاريخها. كان عنوان الأشرطة «العصرية في اللغة الأم». أول كتاب طبع في الولايات المتحدة كان «سفر التزمير» (Psalm) أول مجلة صدرت في الولايات المتحدة كان اسمها «اليهود»، The Jew.

في مطلع الهجرة من أوروبا إلى أمريكا، اعتبر الإنجليز المهاجرين العالم الجديد، يقباضه كتمثال الجديدي New Canaan، واعتبروا كل بريطانيا جيسس الأول الذي استخدمهم بمثابة فرعون الجديد، واعتبروا إنجلترا التي هربوا منها بمثابة مصر، واعتبروا اليهود المصر في أمريكا بمثابة الأسباط العشرة المفقودة من بني إسرائيل، حتى أنه عندما قامت إحدى الجامعات البروتستانتية من طائفة المورمون في الصحراء الأمريكية قبل أن تصل إلى ولاية

يوتاها وتستنق فيها، شهدت عملية التبه نكث التي تعرض لها بنو إسرائيل في صحراء سيناء، ولذلك أطلقت هذه الجماعة على شهر كولورادو الاسم التوراتي القديم نهر ياشان. وقد ملغ من تأثير الصهيونية المسيحية على الرواد الأوائل في أمريكا حداً اقترح معه الرئيس جيفرسون اتخاذ رمز أمريكا مثل أبناء إسرائيل لتظلهم غيمة في النهار، وعمود من نور في الليل بدلاً من شعار التنسر. وذلك توافقاً مع ما يتضمته سفر الخروج تنبي مؤسس الكنيسة الموريموسية. الشس جوزيف سميث، نظرية البعث اليهودي في فلسطين. وارتفعت منذ العام ١٨٤٤ م الدعوات الأمريكية الإنجليزية لتوطين اليهود في فلسطين. أحد رواد الحركة الصهيونية المسيحية الأمريكية القس ووردر جريسون (Warder Gresson) هاجر من أمريكا إلى فلسطين واعتنق اليهودية، وعمل مستشاراً للحكومة الأمريكية في القدس، ثم قنعاً بأعداء لها في العام ١٨٥٢. وكان نشاطه يركز حول موضوع واحد وهو إقامة وطن يهودي في فلسطين. وتحقق ذلك أنشأ مستوطنة زراعية يهودية، ووطن إنجلييين أمريكيين ويهوداً فيها، بدعم من مؤسسة يهودية - مسيحية - إنجليزية.

توالى بعد ذلك حركات الاستيطان بتمويل من رجال أعمال أمريكيين، فقامت مستوطنة «جبل الأمل» في الغرب من يافا في العام ١٨٥٠، وكان إقبال الصهاينة المسيحيين على الاستيطان أشد من إقبال الصهاينة اليهود. وذلك انتظاراً للعودة العثمانية للصليب.

ومنذ ذلك الوقت بدأت الأرض الدينية الأمريكية تفرخ منظمات ومبادرات غابقتها توفير الدعم المعنوي والمادي من أجل تحقيق السموات التوراتية بمساعدة اليهود إلى فلسطين. من الأول هذه المنظمات «الفدرالية الأمريكية لإنقاذ فلسطين، Pro-Palestine Federation of America التي أسسها في العام ١٨٦٢، القس تشارلز ر. وائل R. Russell، ومنظمة «اللجنة الفلسطينية الأمريكية-البروتستانتية American Palestine Committee التي أسسها في العام ١٩٢٢ م السيناتور روبرت ووجنر R. Wagner، وضمت ٦٨ عضواً من جسر الشويع ٢٠٠ عضو من عشق التواب وعدداً من رجال الدين الإنجلييين ورجال أعمال وأساتذة جامعات،

وكان تعلق فولويل ولايش، ومن هذه الشخصيات أيضاً باي روبرتسون، صاحب برنامج «باتي السبعينية» التلفزيوني الذي يستقطب وحده ١٩ مخاطبة من الجمهور (١٦ مليون عائلة) وجيني

وصحافيين وأدباء مشهورين كما تأسست في العام ١٩٤٢ م منظمة «المجلس المسيحي لفلسطين» Christian Council of Palestine على قاعدة وفد بلفور وتحققاً له، من الصهاينة البروتستانت ومن شخصيات مالية وسياسية وكارزة بارزة رفعت هذه المنظمات شعار الأكرض الموعودة، وشعار الشعب المختار، ويصلت بين الشمامسين، وعلمت الناس أن أفضل عمل يقوم به المسيحي تقريباً إلى الله، هو المساهمة المالية والمعنوية في تحقيق إرادة الله بإعادة اليهود إلى فلسطين تمهيداً لعودة المسيح.

تنشئ الكونجرس الأمريكي قرار المؤتمر الصهيوني الذي عقد في نيويورك في العام ١٩٤٢ م، واقتضد في العام ١٩٤٤ م، قراراً تشهد الولايات المتحدة بموجبه بيشل قصارى جهدها من أجل فتح أبواب فلسطين أمام اليهود لتدخل إلى البلاد ولتلاصق الفرصة أمامهم لاستعمارها حتى يتمكن الشعب اليهودي من إعادة تكوين فلسطين يهودية ديمقراطية حرة».

لقد استعمل الكونجرس الأمريكي عبارة إعادة تكوين فلسطين بدلاً من العبارات التي استعملها المؤتمر الصهيوني في بيان مؤتمر نيويورك، وقد تكون ذلك يهودية في فلسطين، فقامت الصهيونية المسيحية أشد مثالا وأكثر تعلقاً من الصهيونية اليهودية!.

يوجد في الولايات المتحدة (١٧٧٥٤٠٠٩) بروتستانتين ينتمون إلى ٢٠٠ طائفة أكثر هذه الطوائف مخالفاً في تبني العقيدة الصهيونية هي الطائفة المنسبانية Indispensalism التي يبلغ عسدد أتباعها ٤ مليوناً تقريباً، وتختلف الجموعة باسم الانجوساكسون البروتستانت البيض White Anglo Saxon Protestant (W.A.S.P) وهي تضم الشخصيات الأبرز في المجتمع الأمريكي سياسياً واقتصادياً وثربوياً وعاملياً وسكرتياً.

أثناء زيارته إلى واشنطن قام بها رئيس الحكومة الإسرائيلية الأسبق نتانياها، حرص على الانجتماع بشخصية معروفة من هذه الشخصيات هو القس جيري فولويل في ذات الاحتفال سال فولويل إلى أي مدى تستطيع إسرائيل أن تتخلى عن المزيد من الأرض للفلسطينيين من دون أن تعرض أمنها للخطر».

رَ ننتياها الواقع أننا لا نستطيع أن نتخلى إلا عن القليل جداً. وكان تعلق فولويل ولايش، ومن هذه الشخصيات أيضاً باي روبرتسون، صاحب برنامج «باتي السبعينية» التلفزيوني الذي يستقطب وحده ١٩ مخاطبة من الجمهور (١٦ مليون عائلة) وجيني

سوأعت. صاحب نامى اكمو محلة تلغزيون انتماسة في الولايات المتحدة وسامسلف عشيرة بائعانة من المشاهدين (أكثر من مائتين عائلته) ومنها كندك بىكر وأورال روبرنس وكينين كويلاند وريتشارد دى هان وريكس همرند. ويمك كل منهم مسطحة تليفزيونية إبحمعة بشيرية

بؤ من هذه المجموعة من الشخصيات الدينية بأن إرادة الله مسئلة بقيام إسرائيل وأن الله يساعد من يساعد إسرائيل ويعداى من يهاديها. وأن قيام إسرائيل يؤكّد نوايا الشرط الذى طال انتظاره من أجل العودة للثانية للمسيح. وبالتالي فإن الدفاع عن إسرائيل هو عمل دئى يتعلّق بنوايا إيمانية وليس مجرد موقف سياسى يتأخّر بالتأخيرات من الأحداث

إن في الولايات المتحدة، الدولة العثمانية (والتي يصص مستورها على فصل الدين عن الدولة) ١٠٠٠ محطة إذئية يعمل قوياًها ٨٠ ألف قسيس إنجيلي أكثرتهم المساحنة من اتناء هذه المدرسة التي تعتبر إسرائيل تجلياً إلهياً وحسبياً لتعمه من أجل خلاص بني البشر

لذلك ما من تواجبه إسرائيل أزمة أو مازفا. حتى يصره هذا الجيش الإسلامي - الذي عسبر شبكة الكنائس ومحطات الإذاعة والتلفزيون وسلسلة المطبوعات اليومية والإسبوعية التي تتولى إصدارها. يمثل التحرك من مقولة ثابتة من مقولات هذه الحركات الدينية. وهي أن القوانين الدولية التوضعية لا تطبق على إسرائيل لأن إسرائيل تختلف عن كل الكيانات السياسية الأخرى في العالم من حيث أن وجودها هو جسد إرادة إلهية وليس استجابة لحاجة إنسانية. وتأتى بيان ما يجب أن يطبق على إسرائيل هو الإرادة الإلهية التي وردت في الكتب المقدسة وأبرزها الوعد الإلهي لشعب المختار

من هنا فإن حكومات إسرائيل - مثلاً كان رئيسها - في حلّ غلط من قراراتها (الأول) (١٩٤٥ و ١٩٤٦ و ١٩٤٧ و ١٩٤٨) والأول (١٩٤٧ و ١٩٤٨). ولكها في حلّ حتمي من أي اتفاق غندهم يحسم إسرائيلية سافهة إا تثير أن هذا الاتفاق يتناقض مع مصالح الشعب المختار أو مع الوعد الإلهي. مثل اتفاق أوسلو !!.. وما بلغه الحرام سارون ألو

في كتاب «النشوة والسياسة» Prophesy and Politics. للكاتب الأمريكي هريس هامل - كانت كتنب خطابات الرئيس الامم المتحدة بنوع عام ١٩٨٠ تقول الكاتبين من خلال حديثها في العمل في البيت الأبيض بأنه في كل مرة يرضع حبيب الاله القومي لاتخاذ قرار يشعل بالشرق الأوسط. يدعى ممثل من هذه الكنيسة الانجيلية تحديداً حتى باتى اغراق مواضعه عن الامن المأمومة

الديمية الواردة في التوراة والتي وضعت هذه الكنيسة تقاسير وترجمات لها. وفي كل مرة يذ انتخاب رئيس أمريكي جديد يتولى إدارة رمز هذه الكنيسة مراس قداش حلف اليمين الدستورية. ولقد حلف الرئيس كلينتون اليمين الدستورية أمام قادة هذه الحركة انفس بيلى جراهام.

تؤمن هذه الحركة بالعودة الثانية للمسيح. وبأن لهذه العودة شروطاً منها قيام دولة صهيون وتجمع يهود العالم فيها. ولذلك تعتبر مساعدة إسرائيل واجباً دينياً وليس مجرد عمل سياسى مرتبط بحساسيات المصالح. وتؤمن هذه الحركة الاصولية ايضاً بأنه بموجب تدبير إلهي ايضاً تتعرض الدولة اليهودية إلى هجوم من غير المؤمنين. وخاصة من المسلمين والمخدين. مما يتسبب في وقوع مجزرة كبيرة تدعى «هرمجيون» نسبة إلى موقع المجزرة في سهل مجدو الذي يقع بين الجليل والضفة الغربية. في هذه المجزرة تستعمل الأسلحة مدمرة كيميائية ونووية. ويقتل فيها مئات الآلاف من المهاجرين. ومن اليهود مثلاً.

«سبناريو» هرمجيون كما يرسره هال



سبناريو

العالم يتحرك بسرعة كبيرة نحو هرمجيون. القس بيلى جراهام



ليندسي بعد إحد قادة الحركة في كتابه «نهاية الكرة الأرضية العظيمة» يقرص:

- ١- قيام إسرائيل.
- ٢- عودة اليهود من الشتات إلى أرض المسحاة.
- ٣- إعادة بناء هيكل سليمان على انقاض المسجد الأقصى.
- ٤- تعرض إسرائيل إلى هجوم كبير من الفكر (المسلمين والمسيحيين غير المؤمنين بالعودة الثانية للمسيح).
- ٥- قيام ديكتاتور يكون أسوأ من هتلر أو ستالين أو ماوتسوي توجع بترعم القوات المخافة.
- ٦- خضوع مناطق واسعة من العالم لسيطرة هذا الديكتاتور الذي يعادى اليهود.
- ٧- تحول ١١٤ ألف يهودي إلى المسيحية الانجيلية بحيث يصبح كل واحد منهم مثل بيلى جراهام القس الانجيلي الأمريكي المعروف. ينتشرون في العالم لتحويل بقية الشعوب إلى الديانة الانجيلية.
- ٨- وقوع معركة هرمجيون النووية التي تقسم في كارثة بيئية ضخمة.
- ٩- ارتكاف المؤمنين بالولاية الثانية للمسيح وهدم واليوسد ومعجزة إلهية فوق أرض الحركة. وتجناسهم من الكثرة. بينما ذوب أجسام بقية البشر في الحديد المنصهر.
- ١٠- حدوث كل ذلك في غلظة عين.

١٠- تحول المسيح بعد مسبعة أيام إلى الأرض وحوله جميع المؤمنين به. ٢- يحكم المسيح المسالم لمدة ألف عام بعقل وسلام حتى تقوم الساعة (الآلفية). من أتباع هذه الكنيسة شخصيات أمريكية سياسية وديبلوماسية وإعلامية وعسكرية تتشبه مراكز قيادية بارزة. كان منهم مثلاً الرئيس السابق رونالد ريجان.

لقد أصبح تقليدياً دعوة شخصية دينية أو أكثر من عدة كنيسة إلى البيت الأبيض في كل مرة يجد الرئيس الأمريكي نفسه معزواً لاتخاذ قرار جوهري يتعلّق بالقضية الأوسط. أهمية مشاركة الشخصية الدينية في العمل على توجيه القرار السياسي الأمريكي بحيث يتوافق مع إرادة الله. وفي مفهوم هذه الحركة الشخصية الاصولية، فإن إرادة الله تحددها التقديرات للتوضوعة لجموعة من النبوءات الدينية التي ورد ذكرها في بعض أسفار التوراة والعهود القديم، مثل سفر الزكيا. وسفر حزقيال. وسفر يوحنا. وغيرها. من هذه النبوءات معركة هرمجيون التي تدبها مباشرة الظهور الثاني للمسيح.

في مارس من عام ١٩٨١ نقلت مجلة نيويورك تايمز عن أحد كبار شخصيات هذه الحركة وهو القس جيري فويلر أن الرئيس ريجان قال له جيري - إنني أحياناً أومن بأننا نتوجه بسرعة كبيرة نحو هرمجيون. وفي أكتوبر من عام ١٩٨٣ قال الرئيس ريجان أمام لجنة العلاقات العامة الأمريكية للكونغرس: «إنني أؤمن إزاء كل شئ أن المجزرة التي سيشهدها معركة هرمجيون - إن التوراة في العهد القديم تصف تماماً الوقت الذي نمر فيه...»

العلاقة بين العمل السياسي - العسكري والإيمان الديني بهذه النبوءات. هي علاقة مباشرة. ذلك أن هذه الحركة الكنسية تعلم أتباعها أن من واجب الإنسان المؤمن أن يخلّف خلفه إيماناً وقدراته لتحقيق إرادة الله. وأن الله يختار من الناس من يؤهلهم ويمكّنهم من القيام بهذا الدور المساعداً لتحقيق الإرادة الإلهية. ولذلك كان الرئيس الأسبق ريجان يقول إنه يمتنى أن يمن الله عليه بشرف كبير للز التوراة لتحقيق إرادة الله في وقوع هرمجيون ومن من يظهر المسيح.

هذا يعني «أن الإيمان بهرمجيون يتطلب إنتاج الأسلحة المدمرة. وقد انجذبت. وهو يتطلب خلق الظروف المواتية لاستعمال هذه الأسلحة في المكان الذي تتصدده النبوءات. للظهور الثاني للمسيح. وهذا المكان هو الشرق الأوسط».

وردت كلمة هرمجيون مرة واحدة في الإنجيل وتحتدي في المقطع السادس عشر من الفصل السادس عشر من سفر الزكيا. «وجميعهم كلهم في مكان يدعى بالعبرية هرمجيون».

وفي الفصل ٣٨ و ٣٩ من سفر حزقيال وصف لنا يحدث، «ستستثمر الأقطار وتذوب الصخور وتتساقط الميران وتهتز الأرض وتتساقط الجبال والجدران على الأرض في وجه كل أنواع الأرباب».

ويفسر القس هو ليندسي الحلم الذي ورد في سفر يوحنا بأن - يوحنا - رأى في الحلم جراداً له أذيان الألبان - بأنها طائرات هليكوبتر كوبرا التي طلق من أذيانها غاز الأعصاب. وهي الطائرات التي استخدمها الجيش الإسرائيلي في صف من ومخيمات الضفة الغربية. وخاصة مخيم جتئين



في كتابه الشهير «نهاية الكرة الأرضية العظيمة» يقول القس ليندسي: «بعد أن أصبح اليهود أمة بدأ العد العكسي المؤشرات التي تتعلّق بالنبوءة الدينية... قيام إسرائيل كان في ذاته أول مؤشر بدأ احتلال القدس. ومن المؤشرات المختلفة بناء هيكل سليمان. واستناداً إلى هذه النبوءات فإن العالم كله سوف يتحرك حول الشرق الأوسط. وخاصة حول إسرائيل في الأيام الأخيرة. إن كل الأمم سوف مضطرب وسوف تلجأ بما يجري هناك. واستطاعتنا الآن أن نرى كيف أن هذا الإله يظهر ويأخذ مكانه الصحيح في مجرى النبوءات تماماً. كما نلحد الأحداث موقعا في الصحف اليومية».

ومنذ العام ١٩٧٠ والقس الانجيلي المعروف بيلى جراهام يردد في مواظله التي نقلتها شبكات التلفزيون الأمريكية: «إن العالم يتحرك بسرعة كبيرة نحو هرمجيون. وأن الجيل الحالي من الشباب قد يكون آخر جيل في التاريخ. إذ ما للفس هو الذي أدى صلاة الاحتفال بأداء القسم للرئيس بيل كلينتون لدى تسلمه سلطته رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٩٢. ثم إن

الرئيس جورج بوش - الابن - القسم اليميني أمام القس جرهم ايلان، الذي أعلن بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بأن الإسلام ليس فقط مصدر الإرهاب، بل إنه الشيطان نفسه.

وعندما زار الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر إسرائيل في مارس ١٩٧٩ القى خطاباً أمام الكنيست ( وكان يعمل على إقرار معاهدة الصلح بين مصر وإسرائيل قال فيه: نجست من سبق من الرؤساء الأمريكيين الإيمان بأن جعلوا علاقات الولايات المتحدة مع إسرائيل هي أكثر من علاقات خاصة، إنها علاقات فريدة لأنها متصالة في ضمير الشعب الأمريكي نفسه وفي أخلاقه وفي دينه وفي معتقداته. لقد أقام كل من إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، مهاجرون رواد، ثم إننا نتقاسم معهم ثرات الثروة).

طبعاً كان يمكن أن يبدو سيناريو جيمي كارتر وأدبيات الحركة الأصولية الإنجيلية الأمريكية مجرد خزعبلات أو هلوسة دينية، ولكن عندما يكون من بين المؤتمين بها إيماناً شديداً وصالحاً رؤساء (ريجمان - كارتر)، وزراء (وزير الدفاع السابق جيمس بوبرجر) وغيرهم من كبار الشخصيات الأمريكية السياسية والعسكرية التي تقبوا مراكز قيادية حتى الوقت الحاضر.

وعندما توضع نسخ من كتاب هول ليندسي على كل أعضاء البيت الأبيض وموظفي البعثات وقيادة القوات الأمريكية، وعلى جميع أعضاء الكونجرس (الشيوخ والسواب)، وعلى حكام الولايات وكل الشخصيات النافذة، عندما يحدث ذلك بهذه الملة، فإن السياسة الخارجية للولايات المتحدة في الشرق الأوسط تصبح مجرد ترجمة لهذا الهجوم الإنجيلي المتهود - للمسيحية.

وبعكس الموقف الذي اتخذته يوم الثلاثاء ٢٤ أكتوبر ١٩٩٥ للكونجرس الأمريكي عاصمة إسرائيل وبذلك مقر السفارة الأمريكية إنها من تل أبيب، مدى قدرة الحركة الأصولية على التأثير في صناعة القرار الأمريكي.



من خلال ذلك يتبين بوضوح أن الأصولية الإنجيلية لا تقتصر على مجرد تقديم تفسيرات معينة للمخارج الدينية محددة، ولكنها تحاول أن تصنع للمستقبل وفقاً لهذه التفسيرات وعلى قاعدتها، ومن خلال التوقع الممّاز الذي يتنبأه في مصنع القرار الأمريكي (والذي يتحكم في مصائر العالم ومقدراته) لم يعد يجوز، ولم يكن جائزاً في الأساس، تجاهل دورها وتأثيرها وسفوها. فقرار الكونجرس بشأن القدس لم تزل مصالح أمريكية. وهو لا يقع في إطار حركة السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، ولكن إلمته معتقدات دينية أصولية. ويات على السياسة الأمريكية أن تتكيف معه وأن تعيد النظر في سلوكها وفقاً لمقتضيات الالتزام به كصهي على إلهي مقدس. إن هذا الموقف المحملي يؤكد التواصل بين

التفسير الصهيوني للعهد القديم الذي تعتمد هذه الشركات الدولية الأمريكية والقرار السياسي الأمريكي في الشرق الأوسط. في ضوء هذه المراكز الدينية للسياسة الأمريكية في العالم العربي، فإن من الصداقة اتهام الإدارة الأمريكية، سواء كانت إدارة جمهورية أو ديموقراطية، بممارسة ازدواجية المعايير سواء بالنسبة للتعامل مع القرارات الدولية أو بالنسبة لإبادة انتهاكات حقوق الإنسان أو الاعتراض على تجاوزات القانون الدولي. ذلك أن إسرائيل هي في الأساس خارج هذه المعايير وفوق الأنظمة والقوانين لأنها، في الإيمان الأمريكي، تجسد إرادة إلهية مقدسة. فأى من يها هو انتهاك للمحرمات، وتعدّ للمسيحية الإيرانية، كما تقول هذه الكتيبة في تعاليمها.

والترجمة لهذا الإيمان عملياً عقد في عام ١٩٨٥ (إلى بعد مرور ٨٨ عاماً على المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في عام ١٨٩٧) في المدينة السورية نفسها - بال - وفي الفندق نفسه، وفي القاعة نفسها من الفندق، وفي لشهر نفسه اغسطس، مؤتمر استثنائي للكنائس الإنجيلية التي تختبر أيام صهيون أمراً لا يد منه شعيلاً للعودة الثانية للمسيح. ووجه الدعوة إلى «المؤتمر الصهيوني المسيحي، الدكتور ميجلاس بويج مدير المعهد الأمريكي للدراسات الدينية، وترأسه الكشوفات إيريهوفين رئيس الكنيسة الإنجيلية الهولندية. وحضر المؤتمر التأسيسي ٥٨٩ شخصية دينية من دول المتحدة وأوروبا، ومن كنائس مماثلة في الولايات الغربية وأسبوعية أخرى بلغ عددها ٢٧. ومنذ ذلك الوقت يُعقد مؤتمران في شهر اغسطس، الأول للحركة الصهيونية، اليهودية استكمالاً لمسيرة المؤتمر الأول الذي نظمه فيسودور هرتزل في عام ١٨٩٧، والثاني للحركة الصهيونية المسيحية الذي أعده ميجلاس بويج.

انطلقت عن مؤتمر ١٩٨٥ منظمة جديدة تحمل اسم «السفارة للمسيحية الدولية» ومهمتها توظيف النفوذ الممنوع والماضي الكنيسة (بعض الكنائس الإنجيلية الأمريكية) من أجل تحقيق النبوءات التوراتية المتعلقة بظروف العودة الثانية للمسيح وأهمها إقامة دولة صهيونية وتجميع اليهود فيها حتى يظهر المسيح لهم في عهد الثانية وفقاً لما تقول هذه النبوءات. وقد عملت المنظمات المسيحية الدولية على تطبيق مخطط الصفات التي اعتنقتها في عام ١٩٨٥، ومن أبرزها نقل يهود الاتحاد السوفيتي السابق إلى إسرائيل، وإنهاء المقاتلة ضد المصالح الإنجيلية، وحمل دولة الفلباين واسبانيا الكاثوليكيتين إلى الاعتراض بإسرائيل وإيمان الأصوليين الدبلوماسي معها، والضبط على دول أوروبا الشرقية والوسطى لتطبيق علاقاتها مع إسرائيل، ودعوة العالم إلى الاعتراف بالقدس

عاصمة أبدية موحدة لإسرائيل. وقد لعبت هذه المنظمة الدور الأبرز في استصدار القرار الأول عن مجلس الكونجرس الأمريكي (الشيوخ والذواب) في أبريل ١٩٩٠، الذي نصّ على دعوة الإدارة الأمريكية إلى الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، ثم باستصدار القرار الثاني في عام ١٩٩٥ بقاّ نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس. صحيح أن الكنيسة الكاثوليكية، والكنيسة الأرثوذكسية، وكذلك العديد من الكنائس الإنجيلية الأمريكية تعارض عمليات التهويد العنفي والسياسي وتعترضها تنويعها للمسيحية الحقيقية وتشمل للمسيحيين المؤمنين، إلا أن الصهيونيين في الوقت نفسه أن المؤامرات التي تقوم به منظمة السفارة المسيحية الدولية تحت العباءة المسيحية، يكاد يصحح الدور الأهم في التفسير على صياغة القرار الأمريكي من قضايا الشرق الأوسط والصراع العربي - الإسرائيلي. تبيّن هذه المنظمة اسم «السفارة الأمريكية الدولية»، توصيفاً لنهمة التي تقوم بها، وهي أن تكون بمثابة سفارة في مختلف دول العالم للدفاع عن إسرائيل ومصالحها، ولذلك قامت



**إسرائيل  
في الإيمان  
الأمريكي  
لإرادة  
إلهية  
مقدسة  
بها التماس  
للمحرمات**

إنها تسمى لو أن منظمة المؤتمر الإسلامي ومنذ، وجعاسة الدول العربية، وغيرهما من المنظمات القومية والإسلامية، تعمل على وضع خطة عمل بالتعاون مع مجلس كنائس الشرق الأوسط ومع مجلس الكنائس العالمي، ومع مجلس الكنائس القومية والإسلامية، من أجل الترويج لإبديت دينية في المجتمع الأمريكي تفاد الارتباط بين إسرائيل والصلاص المسيحي.

فروءاً لها في معظم الولايات الأمريكية وانطلقت على رئيس الخرج لقب قنصل، ومهمة الفرع جمع التبرعات لبناء المستوطنات اليهودية وشراء الأراضي من أصحابها العرب، وبيع سندات الدعم لإسرائيل، والاتصال المباشر مع ممثلي الولايات من مستوى البلدية المحلية حتى الكونجرس لحثهم على الدفاع عن مصالح إسرائيل.

وللسفارة للمسيحية الدولية فروع في عدد كبير من دول العالم تقوم بالهجرة نفسها، وبشكل المؤتمر السنوي الذي تعقد في شهر اغسطس من كل عام مناسبة لتقديم المحجزات لحققت، ولوضع برنامج عمل للعام الجديد.

وتتولى هذه المنظمة بشكل أساسي تنظيم عمل ٢٥٠ هيئة وجمعية أمريكية (غير يهودية) تعمل في الولايات المتحدة على قاعدة تفسيرات صهيونية كما يُعتقد أنه نبوءات توراتية تتعلق بدعوة اليهود إلى فلسطين وإقامة دولة صهيون التي يظهر فيها المسيح ثانية مخلصاً للإنسانية من الشرير التي تدق فيها.

لقد تجاهل العالمان العربي والإسلامي هذه الحقائق منذ أوائل القرن الماضي، ودفعنا جميعاً ولا زلنا ندفع لمن تجاهلها غالياً جداً، لأن الأول لا نضع حسداً لهذا التجاهل ولواجبة الحقائق تشايعاً وتصميم وبطس طويل، إن الفلاح لسياسة متوازنة متوازنة في الشرق الأوسط ليس سياسياً، وهو ليس في المصالح الأمريكية في المنطقة، الفلاح هو في العهدة الدينية التي تتحكم في صياغة القرارات الدينية تجاه هذه المنطقة، هل هذا يعني أن على العالم العربي - الإسلامي، الإسلام للامر الواقع ؟... أيا.

إن المجتمع الأمريكي مجتمع معدين ومنحرج، وفي الولايات المتحدة كنائس إنجيلية مناوئة لهذه العقيدة الصهيونية، وفيها كنائس كاثوليكية وأرثوذكسية محلية قوية وواسعة الانتشار تعتبر هذه العقيدة تشويهاً للمسيحية وتهديداً لها. ومن خلال التعاون معها يمكن على الأقل التخفيف من غلاء هذا التطرف المسيحي المديني الذي يسبقه دالة إعلامية لتلفزيونية ضخمة ترعّ لإفكاره وإيادته ونهضة من استخدام حوزة دوره انتباهية وقوة ضغط محموية مؤثرة.

١١٨٢م (٥٧٨هـ) بعمل كصب به كبراهيمة شيدون من المسلمين، فقد ذهب جنوباً في البحر الأحمر وهدد المدن المقدسة في الحجاز بحدود أخرى لتدمير الأماكن المقدسة فيها لولا أن أسطولاً بحرياً مسلماً تحت قيادة حسان الدين لولو أقفل هذه الخطّة وأوقع رجال رينالد في الأسر. وإن كان قد أُلقت يومئذ من هذا المصير. وتقول المصادر التاريخية إن حسان الدين قد أرسل الأسرى من الفرنجة إلى منى (قرب مكة) لقطع رؤوسهم هناك حتى يكونوا عروة لكل من يهدد مقرسات المسلمين



وتشير مؤلفة الكتاب إلى القصة المعروفة عندما أسير صلاح الدين عدداً من قادة الصليبيين في معركة حطين (١١٨٧م/٥٨٣هـ)، وتقول إن هذه القصة تحدد إيزراً وأسفا في المصادر الإسلامية، التي تميز بين المعاملة الطيبة التي عامل بها صلاح الدين قادة الفرنجة ومعاملة رينالد عندما وقع في الأسر في معركة حطين

فقد قدم صلاح الدين الماء المثلج للملك الفرنسي (جسار) الذي شرب ثم شاول الماء لرينالد الذي شرب هو أيضاً. عندها قال صلاح الدين، هذا الملعون شرب بون إنني ولنا فهو مستبعد من حمايتي وأمانتي ثم ذكره بما قاله للخجّاج عن الرسول محمد وقال له: إنني الرجل الذي سوف يتلقم لحمك منك ولتذهب روحك إلى الجحيم، ثم قام بقتله على التو. هذه هي الرواية التي ترد في كتاب مؤرخ صلاح الدين المعروف بابن شداد.

يتشكّل الكتاب بأحداث مسيرة الحروب الصليبية طوال القرنين الثاني عشر والثالث عشر، لكنه في فصوله التسعة لا يكتفي بهذا بل يبحث عدداً من الموضوعات المهمة ذات الصلة، كيف كان المسلمون يتفكرون للفرنجة عندهم (أنماط دينية وعرقية) ويصص الجوانب المهمة عن حياة المسلمين في تلك الفترة، وطموح الجهاد كما تظهر له المفردون للمسلمين، ثم طبيعة الأسلحة التي استخدمت في تلك الحروب، وعلى وجه الخصوص القلاع التي بنّاها الصليبيون لحماية مواليهم والأساليب التي استخدمها المسلمون لتدمير هذه القلاع باستخدام سلاح المنجنيق في صهارها، ثم ضربها بالذخائر - تار. وهو العمل الذي لفت به المسلمون - خصوصاً الفاهر بيرس ومن تلاه من سلاطين المماليك - تفوقهم الحربي على الصليبيين.

وتخصص المؤلفة فصلاً كاملاً عن كيفية إدارة الحرب وفصلها أكبراً لتأمل الحروب الصليبية والدروس المستخلصة منها في العصر الحديث.



إن أول لقاء لأوروبا مع المسلمين كان نتيجة السياسة التوسعية للدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول عام ٦٣٢م. بعد ذلك يقرب عسير المسلمون جبال البرينز واستولوا على أرض تعتمد من شمال الهند حتى جنوب فرنسا، ولقاردين اللاتين ظل ميزان القوى بين أوروبا والعالم الإسلامي في صالح المسلمين بشكل حاسم. فقد تمكنوا بنمو اقتصادي واسع كما ازدهرت ثقافتهم وعلمهم بشكل رائع. ومنذ عام ٧٥٠م جرت صياغة الدولة العباسية في ظل ثقافة إسلامية فارسية وتولي حماية هذه الدولة جيش من الأتراك العبيد.

وفي القرنين الحادي عشر والثاني عشر تعمق الثقافتان السياسيتين لهذه الإمبراطوريتين السياسيةتين وساعد هذا الوضع على ظهور الأوروبيين في شرق المتوسط وبنات عليهما

هذا الكتاب أسطوري بكل المقاييس من ناحية اعتماده على لغات من المراجع العربية والإسلامية عند إعداد، ومن ناحية مساهمة البحث وعمق التحليل وموضوعيته، وهو يقع في أكثر من ستمائة صفحة من القطع العريض، فضلاً عن أنه محلي بعشرات المصور الفوتوغرافية لمساجد وقلاع وأسلحة حربية وزخارف وآثار قديمة. ولنا فليس غريباً أن يشار إليه في المراكز العلمية الأوروبية بأنه عمل مذهب في اتساعه وبقته وموضوعيته.

مؤلفة هذا الكتاب هي الأستاذة كارول هيلبراند Carole Hillenbrand أستاذة اللغة العربية في جامعة إدمبره، وقد صدرت الطبعة الأولى في عام ٢٠٠٠.

إن الإنسان ليهش عندما يتفكّر أنه في المكتبة العربية الحديثة لا يوجد كتاب يعطي هذا الموضوع المهم التغطية اللائقة. فاستثناءه كتاب د. سعيد عاشور (الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين والمنقول في العصر المملوكي)، وكتاب الباحث السوري ناكس (الحروب الصليبية) الذي تشكده كارول بشدة لأنه يحتوي على العديد من الروايات والاقتباسات دون تحليل لها - باستثناء هذين الكتابين لا توجد مراجع علمية حديثة، مع أنه من الواضح وعلى ضوء أحداث الصراع الحالي العسكري والسياسي بين العرب وإسرائيل وموقف الغرب (خصوصاً أمريكا) الحالي لإسرائيل، أول من الواضح إن الحروب الصليبية ليست مجرد تاريخ قديم عفا عليه الزمن، بل له دلالة عظيمة في فهم طبيعة الصراع الحديث بين الشعوب العربية، وبين الغرب حول قضية الاستيطان والاستقلال.



وتحسب لاندسي أن التاريخ يعيد نفسه، أو ربما الأقرب أن تقول إن التاريخ يعيد نفسه ولكن في مستوى آخر. ذكرتي بهذا الانقسامات بين حكام العالم العربي في مصر والشام أيام الحروب الصليبية كما هي الانقسامات بين الحكام العرب في عالم اليوم.

كما ذكرتي بهذا حكاية الكاتب الأمريكي الإحقق ريتشارد لوري الذي نادى مؤرخاً في مجلة ناشيونال ريفيو الأمريكية بضرب مكة بالفتيل الذرية؛ فلز في كتيابنا الحالي (الحروب الصليبية) إشارات واسعة إلى الكاتب الصليبي رينالد أوف شاتيلون، فقد منطقت الكرك والشوبك (الأردن حاليًا) والذي كان معروفاً لدى المسلمين باسم أرنات Arnat. كان هذا الرجل الصليبي متخصصاً في قطع طريق قوافل الحجّاج والتجارين إلى مكة والمدينة، ولقد بنى قلعة الكرك شرق البحر الميت، وكان الهدف هو تهديد الطرق الرئيسية التي تعبر من سوريا إلى مصر من الجزيرة العربية، رغم وجود معاهدات بين المسلمين والفرنجة لعدم التعرض لقوافل الحجّاج بأي سوء.

ففي عام ١١٨٤-١١٨٥م ضرب القائد منطقت الكرك من الفرنجة عرض الحائط بالمعاهدة بينه وبين المسلمين وهاجم قلعة من قوافل الحجّاج، وليل إن فعل ذلك بالانقراض مع بدو محليين، وقد أساء معاملة الحجّاج ووضعه في القيد وتزّين، فلما أشاروا إلى المعاهدة بين المسلمين والفرنجة قال لهم ساخراً: «قولوا لخدم أن يك أسركم».

وعندما سمع صلاح الدين بهذه القصة انقم على أن يقتل رينالد بنفسه عندما يتحقّق الذمّ، ويحكّي الكتاب أن رينالد قام عام

The Crusades: Islamic Perspectives

(الحروب الصليبية - منظور إسلامي)  
Carole Hillenbrand  
Routledge, 2000, 648p

# الحروب الصليبية منذ أسلافها

## عبد العظيم أنيس

خلال القرنين الأولين من الحكم الإسلامي كان الحجاج المسيحيون إلى بيت المقدس قادرين على زيارة الأماكن المقدسة. وكانوا يصلون إلى تلك الأماكن عن طريق البلقان والأناضول وسوريا، أو عن الطريق البحري إلى مصر أو فلسطين. وعن هذا الطريق وصلت إلى أوروبا أنباء الحياة المتقدمة والإنجازات العظيمة للنظام الإسلامي





إحياء السلطة المسيحية في إسبانيا، ولقد انعكس التواصل التجاري في البحر الأبيض المتوسط بصورة ضد المسلمين، فقد استولى النورمان على صقلية من المسلمين واستطاع أهل شمال إسبانيا أخذ طليطلة ومدوا تقدمًا ساحقًا جنوبًا أما البيزنطيون - جيران العالم الإسلامي - فقد قاموا بغارات باجحة في شمال سوريا واحتفلوا لفترة وجيزة ببعض المدن الحدودية

حلال القرون الأولى من الحكم الإسلامي كان الحجاج المسيحيون إلى بيت المقدس قادرون على زيارة الأماكن المقدسة، وكانوا يصلون إلى تلك الأماكن عن طريق البسفان والأناضول وسوريا، أو عن الطريق البحري إلى مصر أو فلسطين. وعن هذا الطريق وصلت إلى أوروبا أثناء الحياة المتقدمة والإنجازات العظيمة للعلماء الإسلامي. ولا يوجد شك عند مؤلفة الكتاب أن المسلمين كانوا عثمند أصحاب حضارة وثقافة أراى من حضارة الأوروبيين والثقافتهم

ولكن المسلمين كانوا منقسمين سياسيًا ما بين الأتراك السلاجقة في الشرق الأدنى (سوريا وفلسطين) وبين الفاطميين في مصر وحتى في الشام كانت هناك إمارات إسلامية مختلفة بين حكماء المحليين صراعات وقتل، وعندما أدرك المسلمون أن أوروبا هذا الوضع المتصعب للعالم الإسلامي وتفتك القوى الإسلامية، وعندما بدأت تصل إلى أوروبا شائعات عن حاكم فاطمي سييء (الحاكم بأمر الله) يقوم باضطهاد المسيحيين في مملكته ثم في سوريا وفلسطين. ثم توج هذا كله بشائعة تدمير لكنيسة القيامة في القدس، أصبح الجو مهيئًا لصرخة البابا إرمان الثاني لمسيحيي أوروبا بضرورة الدفاع عن الأماكن المسيحية المقدسة في الشرق



وهكذا بدأت الحروب الصليبية الأولى. في النصف الثاني من القرن الحادي عشر كانت سوريا وفلسطين ميدان صراع حاد بين الأتراك السلاجقة الذين كانوا يحكمون الجزء الشرقي من العالم الإسلامي وبين السلطة الفاطمية ومركزها مصر إن الفاطميين يدينون بايديولوجية يعقها المسلمون السنة خصوصًا أنها كانت تهدد الخلافة في بغداد التي كان الأتراك السلاجقة يطمعون بها، وكان المسلمون في غالبيتهم يعتبرون أن الأتراك وجيوشهم شر لا يد منه تنجيبة نفوسهم العسكري وحماهم الديني. وقد عثر الغزالي عن هذه الحقيقة في كتابه، مع ذلك كان من الصعب على أهل سوريا وفلسطين تحمل الوجود التركي على أرض لشرق.

أما في الأناضول (تركيا حاليًا) فقد كان الوضع السياسي غير مستقر. لقد فقد البيزنطيون العديد من المدن للسلاجقة الأتراك، ثم تشكلت سلطنة سلجوقية في قونية، حكمت أجزاء من الأناضول وجعلت سرور الحجاج المسيحيين القادمين من أوروبا إلى بيت المقدس أمرًا محققًا بالمخاطر

وكما أوضحنا فقد تميز العقد الأخير من القرن الحادي عشر بضعف سياسي في سوريا وفلسطين وتفتك وعدم استقرار لحياة المسلمين وتوالي وفاة الوزير الأول نظام الملك وعقبه وفاة السلطان السلجوقي ملك شاه عام ١٠٩٢م، ثم وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر عام ١٠٩٤ في القاهرة، وكل هذا ترك أثرًا سياسيًا. ولم تستطع الدولة الفاطمية أن تحقق السيادة التي تحققت لها في النصف الأول من القرن الحادي عشر، بل أصحلت بالصرعات داخل الأسرة الفاطمية داها

هذه هي الظروف التي جعلت البابا إرمان الثاني في ٢٧ نوفمبر ١٠٩٧ يوجه خطابه القوي لتشجيع حرس أوروبا . لإزالة الأمان المقدسة من مصميد



## الحروب الصليبية منظور إسلامي

وهكذا بدأت المرحلة الأخيرة من وجود الصليبيين في المشرق العربي بسقوط الحكم الأيوبي في مصر واستيلاء المماليك على الحكم عام ١٢٥٠م، الأمر الذي أدى إلى تدعيم القوى المضادة للصليبيين واتخاذ الإجراءات الضرورية للقضاء عليهم. إن مجرد توحيد مصر وسوريا من جديد قد سلب من الصليبيين القدرة على النصير والسلطان المملوكي الظاهر ببربر نوا الإدارة الحديثة كان هو الشخصية الرئيسية التي قضت على الصليبيين. وخلال سنوات ١٢٦٤ - ١٢٧١ استرد بيبرس العديد من المدن التي كانت في أيدي الصليبيين. وقد استمرت هذه الانتصارات من بعده على يد قسلاوون واستولى على مرساب وطرابلس، ثم قام ابنه الأشرف في ١٢٩٣م بالقضاء النهائي على الصليبيين والإستيلاء على صعيدا ومصر وبغداد وبغداد وكانت هذه هي نهاية الحروب الصليبية



ييلي أن نشير إلى بعض النقاط المهمة في الكتاب. من كتابته لفاتحة نغرة المسلمين كما تبديت في عتباتهم آنذاك إلى الفرنجة وعادتهم الاجتماعية. وتعمدت المؤلف في هذا العمل على مرجعين عريين: كتاب أسامة بن منقذ (كتاب الاعتبار)، وكتاب ابن جبير وهو أندلسي، تعود على علاقات حميمة من المسيحيين وبالنسبة إلى كتاب قسلاوون على النفاذ نغرة أكثر موضوعية في هذا السياق.

آنذاك فيمكننا إجمال نغرة المسلمين للفرجة في صفتين: فئة النخلة والاعتدال الجبسي.

ويحكي أسامة بن منقذ أن الصليبيين عندما اكتشفوا الضمائم العامة في المشرق بدأوا ينظفون في التردد عليها، بينما ادعى أنهم في أوطانهم الأصلية لم يكونوا يستعملون إلا زينة واحدة أو مرتين في العام وببلاهة البارد. ويحكي أسامة القصة التالية تالفاً عن سليمان بن مرة النعمان الذي كان يعمل في حزام والد أسامة، يقول سليم: «أقلت حزاماً كمعصود للرق، وقد جاء إلى فارس من الفرنجة الذين لم يتعودوا على قطعية النصف الأسفل من الجسم عند دخول الحمام بينما كنت أعطي النصف الأسفل من جسمي بغطاء. ومد الفارس يده وانتزع الغطاء ورماه ووجدت أني قد قلت شعر عاني. فقال لي: «سليم، بإمانة ديانتني أفعل في نفس الشيء». فخلعت ما عليه ثم قال الفارس لخادمه، أخبر زوجتي أن تأتي لي هنا، وعندما جاءت قامت على ظهرها وضعت لها ما صنعت لزوجها، وأخبرني شركتي وأعطيني تقوى مقابل خدماتي».

الأمر الثاني هو مشكلة الجنين التي ترتبت على الحروب الصليبية قد هرب آلاف اللاجئين من مناطق القتال إلى دمشق وحلب وفي مصر

لغاية الحملة الصليبية الثالثة التي استولت على عكا عام ١١٩١. ورغم ذلك انتصارات أخرى على جيش صلاح الدين فقد انتهت الحملة الثالثة بهزيمة عام ١١٩٢، اتفق فيها على أن يحكم الصليبيون الشريط الساحلي الشام بينما تظل القدس في يد المسلمين.

وبعد ذلك بعام مات صلاح الدين، وعادت الصراعات من جديد بين السنة (دمشق) والشيعة (مصر)، وركز الصليبيون على مهاجمة مصر معتقدين أنها مفتاح استعادة القدس. وأصبحت مصر في الهدف الأول من الحملة الرابعة عام ١٢٠٢م. إن هذه الحملة لم تحارب المسلمين بل انتهت بانهزام الصليبيين عام ١٢٠٤م. وهكذا نشأت الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية خلال الفترة من ١٢٠٤م - ١٢٦١م.

أما خلفه صلاح الدين من الأيوبيين فلم يتجهوا إلى محاربة الصليبيين بل اتجهوا للمهادنة معهم. وكان سلطان مصر (الملك العادل) ألقى صلح الحين هو الحاكم في القاهرة عندما بدأت الحملات الصليبية الخامسة عام ١٢١٨م بالهجوم على مصر والاستيلاء على دمياط. ثم مات العادل في نفس العام وتولى بعده ابنه الملك (الكاظم) الذي استعاد دمياط عام ١٢٢١م.

وفي عام ١٢٢٨م وصل فريدريك الثاني (ملك صقلية) على رأس حملة على فلسطين وفشل الملك الأيوبي (الكاظم) عقد معاهدة معه بدلاً من محاربته. وبمقتضى هذه المعاهدة استرد الصليبيون القدس وبيت لحم والناصرة ومناطق أخرى، وألزم هذا الاستسلام من السلطان الكامل غنصاً واسعاً في العالم الإسلامي.

لكن قوات خوارزمية أتت من آسيا الوسطى إلى الانتصار المملوكي لها قد استغلت ضعف قوات الصليبيين التي كانت تحمي القدس فهاجمتها واستولت عليها. وهكذا بدأت القدس إلى حكم الإسلام من جديد. ومع ذلك استسلم الصليبيون لصلاح الدين غزو مصر والاستيلاء على دمياط عام ١٢٤٩م ومنها انجذبت إلى القاهرة. لكن لويس التاسع صليبي في المنصورة ووقع في الأسر وفشلت الحملة.

نحت قيادة كونراد الثالث (إمبراطور المانيا) ولويس السابع (ملك فرنسا) ولم تنجح هذه الحملة. وقشلت في الاستيلاء على دمشق، وقد استولى نور الدين على دمشق عام ١١٤٥م وأعلن نفسه الحاكم الأعلى لسوريا. ثم تحول اهتمامه إلى مصر التي كانت تشهد صراعاً عنيفاً بين الفاطميين أنفسهم. وعندما طلب بعض رجال البلاط الفاطمي المكونة من نور الدين أرسل لهم جيشاً بقيادة القائد شيركو عام ١١٦٨م فتح استيلاء الصليبيين على مصر. وموت شيركو تولى القيادة مكانه ابن أخيه صلاح الدين.

وبذلك تحققت الوحدة بين مصر وسوريا وتأكدت شرعية الخلافة العباسية السنية. وربما كان من المعلن وقوع الخلاف بين صلاح الدين ونور الدين، لكن وفاة نور الدين قضت على هذا الاحتمال.

في السنوات ١١٧٤ - ١١٩٣م اتجهت جهود صلاح الدين لإخضاع خصومه وخلق جبهة متحدة بين مصر وسوريا ضد الصليبيين. وفي النهاية هزم الصليبيين في معركة حطين ٤ يوليو ١١٨٧م. ثم ألغى هذه الاستيلاء على القدس في ٢ أكتوبر ١١٨٧م وبنيهاية ١١٨٧م لم يبق في يد الصليبيين إلا صور. وقد عين صلاح الدين العديد من قرائله في مدن الشام الرئيسة خلفاً بذلك أتحاكم كونفدالياً على رأسه واستمر هذا من بعده في حكم أسرة الأيوبيين.

عندما استولى الصليبيون على بيت المقدس وصعدوا صليبا كبراً على قمة الصخرة، وحولوا المسجد الأقصى إلى مسكن لإقامة فرسان الهيكل ويطابعون كان أول فعله صلاح الدين عندما دخل بيت المقدس انتزاع الصليب من على قمة الصخرة وإعادة الاعتبار إلى المسجد الأقصى. إن هزيمة حطين وسقوط القدس في يد المسلمين قد دفع بصلاح الدين إلى القوى الملوكة الأيوبيين: فريدريك بارباروسا من الإمبراطورية الرومانية المقدسة، فيليب ملك فرنسا، وريتشارد قلب الأسد ملك بريطانيا

الإسلامي، وفي عام ١١٩٧م تشكل جيش أوروبي مختلط تحت قيادة عسكرية متعددة من غرب أوروبا ووصل إلى القسطنطينية في اتجاهه نحو الأنصول نحو بيت المقدس. وهكذا بدأت أولى الحملات العسكرية التي عرفت في التاريخ الإسلامي باسم «حروب الفرنجة»، والتي عرفت في التاريخ الأوروبي باسم الحروب الصليبية.

خلقت الحملة الصليبية الأولى نجاحات حربية مهمة رغم نواحي قيادتها. فقد استولى الفرنجة على القدس السلجوقية إزك في يونيو ١٠٩٧. وأولوا هزيمة كبيرة بالجنش السلجوقي بقيادة السلطان أرسلان في معركة دورلدو في يوليو ١٠٩٧. وحاصروا أنطاكية في شمال سوريا. ثم خرج جزء من قوات المسلمين إلى مدينة الرها واستولوا عليها في مارس ١٠٩٨ وألقوا عليها أو إمارة صليبية سميت «إمارة الرها». وقد سيطرت أنطاكية في لوى القسطنطينية في يونيو ١٠٩٨ أما الجيزة الكبرى (بيت المقدس) فقد سيطرت في يد الفرنجة في ١٠ يوليو ١٠٩٩.

وهكذا تكونت أربع إمارات صليبية: إمارة القدس، وإمارة الرها، وإمارة أنطاكية، وإمارة طرابلس. وسوف نلاحظ أن الفرنجة لم يظهروا في الاستيلاء على مدينتي ريتستين في النخلة دمشق وحلب.

ولقد تمثل رد فعل المسلمين لنجاح الحملة الأولى في الضيق وفقدان الاتجاه أو المهادنة والانضلال بغضباناً وانخراط، وحاول مفتي دمشق الاستنجاد بالخليفة في بغداد دون جدوى، وقد شهدت تلك الفترة استيلاء الفرنجة على معظم مولى ساحل الشام ضفتها بذلك وصول الإمدادات لهم من البحر. كنهم كانوا أقل نجاحاً عندما حاولوا الاتجاه شرقاً. فالرها هي الإمارة الوحيدة في وادي دجلة والفرات التي وقعت في أيديهم. لكن مع انه دولة أن هذه أول إمارة استعادها المسلمون حربياً.

والعلامات الأولى على الضجوة الإسلامية تمثلت في جهود زكي الذي استعاد الرها من الصليبيين سنة ١١٤٤م. وسقوط الرها أدى المسلمين يمكن اعتبارها أول ضجوة للمسلمين بعد الغزو الصليبي الأول.

لكن زكي فشل على يد أحد عبيده عام ١١٤٩م. وكان هذا العمل سبباً لاشك للفرجة لكن نورالدين (ابن زكي) استطاع في المرحلة التالية أن يجمع بين السياسات القوية والحكمة البعيدة، وأدار بشاق فخره أن تحقيق النصر على الصليبيين يتطلب توحيد مصر وسوريا. وبهذا في حصار إمارة أنطاكية إن فقدان الرها وتهديم نورالدين لأنطاكية أدى إلى قيام الحملة الصليبية الثانية

## عودة إلى الحروب الصليبية!



### طساروق على

اكتسبت القدرة والخبرة على توحيد العرب في جيش موحد وإن كان ذلك قد يصعبونه بالتحفة، وعن طريق هذا الجيش استطاع في النهاية طرد المسيحيين من القدس.

لقد كان صلاح الدين حاكماً متواضعاً قبل قلب للفساد، كما أنه كان مؤمناً متواضعاً، ولكن دور أثر للفرار، وكان كثيرين من مسعشريه الغربيين في ديوان حكمه في القاهرة من اليهود، كما أن الأقباط المصريين حاربوا في صفوف جيشه. إن هذه القدرة على توحيد فئات السكان المحليين هي سر نجاحه.

وخصم صلاح الدين الرئيسي في الحملة الصليبية الثالثة كان ريتشارد قلب الأسد الذي توجه إلى الأرض المقدسة لاستعادة القدس من أيدي الغزاة المسلمين.

وربما كان ريتشارد قلب الأسد شجاعاً في الجهاد، لكنه كان على عكس الاسطورة التي اصطلحت به وهو أنه رزين هود الذي يأخذ من الأتباع لصالح الفقراء. فقد كان قاتلاً وحشيًا يقلل ضحيته بدم بارد. وفي طريقه إلى القدس لجع أعداداً كبيرة من اليهود الأوروبيين فيجب يمكن أن يكون سيناريو مريباً. لا يمكن أن يحدث منه عند دخول القدس، ولكن من رحمة الله أنه لم ينسحب إطلاقاً في استعادة القدس إلا أنه استولى على عكا وقام طريقاً من هذا مكان ولو دخل القدس لكان مصير المسلمين واليهود فيها لا يختلف عن مصير سكانها.

هذا تركت الحملات الصليبية، وهذا مفهوم، عائلة فارقة وعميقة على الضميرين العربي والأوروبي، واستعيد المؤلف ما حدث من هذا الحادث يصيب العرب حالياً بحالة لا نهاية من "الفقر"، واستمر هذا كذا وكذا سببية الذين أحجم على الدفاع عن العائلة بين العرب والعرب وفي الصفوف المستعمر العراقي، حيث تجاوز عمر الوجود العسكري الحديث هناك الوجود الأمريكي في الكويت، ويظهر كثير من العرب إلى هذا الوجود على أنه حملة صليبية جديدة وذلك بالرغم من عدائهم الشديد لصلام حسين.

إن بعض الجروح التاريخية لا يمكن أن تلتئم.

عن صحيفة هيرالدي تريبيون الأمريكية

واحد من مزايا كتاب «محاربو العرب» أنه يوضح لماذا كان هذا الاعتقاد ضرورياً. ويقول المؤلف جيسر ريتسون (البريطاني) إن الحملات الصليبية التي توالت على مدى مائتي عام انطلقت لتخزين أسرار مجنون من الرافعية والعنف غير المسبوقين في العصور التي سبقت عصر التكنولوجيا وكوارث مثل. بل وقد كتب المؤلف تاريخاً شاملاً عن هذا، ومنحت للاختراع من الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٧ - ١١٩٢) وهو كتاب يستحق مكاناً على رف مكتبة أي مهتم بالتاريخ.

يبدأ المؤلف عمله بالحدثين عن نصر عربي ودخول السلطان التكريدي صلاح الدين المظفر إلى القدس عام ١١٨٧. وقد حرم صلاح الدين سرخامة أعمال الانتقام وأصر على أن تعود المدينة إلى سابق مكانتها، وإن تكون مفتوحة للمتعلمين من أبناء الديانات السماوية الثلاث. وحصل اليهود على أموال من الدولة لخدمة بناء معبدهم.

إن الإسلام على مدى تاريخه، وباستثناءات قليلة، كان علاقات ودية مع اليهودية. وكان الانتهاك الأبرز لهذه العلاقات ما حدث في منتصف القرن العشرين مع زرع دولة استيطانية يهودية في إسرائيل على فلسطين على حساب السكان العرب المحليين. لقد عوقب الفلسطينيون على جريمة ارتكبوها الأوروبيون بحق اليهود. وفي ذلك أن اندلاع حروب عربية يهودية وسارل سكان المنطقة العربية يتكلمون إلى القدس التي أنها مدينة محتلة، وفي مساهمهم بتدليل مسلمو اليوم ويصرون من أجل أن تعود صلاح الدين ليتقدمهم.

ولكن كما يقول ريتسون، فإن طريق صلاح الدين إلى أن يكون مستعمرًا بالارو، إن مهادنته الاستعمارية هي التي مهدت الطريق للانتصارات العسكرية. لقد بدأ صلاح الدين متحفظاً وفي بعض الأحيان غير حسم، لكن استراتيجيته الهائلة والتمسكية حسمت لكاه. وقد نطق بجملة مهمة توحيد مصر وسوريا. وكسلطان لثقل المفكرين أصبح أكثر قوة من خليفة العباسي، كما أنه

على مدى ما يقارب ٣ قرون (من ٨٠٠ حتى ١١٠٠ ميلادية) ظلت الحضارة العربية وكانت أكثر الحضارات تقدماً آنذاك إذا استقينا الصين. تعتبر نفسها لا تقهر.

وقد تعهون على الأوروبيين أن يتعلموا اللغة العربية لاكتساب أفضل المعارف والمعرفة آنذاك خاصة في العلوم والفلك والجغرافيا، وكان ذلك من الأسس التي أقامت عليها أوروبا نفسها بعد ذلك.

إن اقتتال العرب العرسي حسوس في أبية وضامين الأعمال الأدبية للتكري لسرافنس ودائتي. كما أن عدد سكان دمشق والقاهرة وبيضا وبيضا كانت يتجاوز مليوني نسمة في نفس الوقت الذي لم يكن يقطن لندن أو باريس أكثر من ٥٠ ألف شخص.

وهذا ما جعل المسلمين والأرامل العرب يشعرون بالذهول والصدمة عندما جاءت الحملة الصليبية الأولى كاتاريس الهائل في العهد الأخير من القرن الحادي عشر. نهجهم في على بارهم. ومن أجل الخليفة العرسي في بغداد على حمل الجند فترات وقوة مؤذلة الأوروبيين، البرابرة، العسكرية، ولذلك كان سقوط القدس ذا تأثير كارثي على الجميع في المنطقة خاصة السكان المحليين.

وكانت العواطف الدينية هي الوقود الذي غذى رغبات المحاربين الأوروبيين في الغزو والاستيلاء. واحتل هؤلاء المحاربون بالفرنسز بأن غسلاو شوارع المدينة المقدسة بالدماء.

وتعرض يهود القدس للحرق ودمار أحياء، بينما كانت النساء والأطفال المسنون وقوداً لنافع التي ارتكبتها جنود الحملة الصليبية. إضافة إلى ذلك تعرضت كثير من المساجد وكل المراكز اليهودية للتدمير.

إن ما حدث كان بداية بديكتاتورية الصليبية التي أدت إلى أن تخضع على المنطقة بكاملها سلطة مسيحية مؤلثة من الهيمنة التي جلبها هؤلاء المتصورون.

وربما جاء اعتزال الفاتكان بعد ٩٠٠ عام عن الفطائع التي ارتكبوها الصليبيون متأخراً، لكنه مع أن أصاب هؤلاء الذين ساروا إلى بيتون وجهة التوبة العربية وهذه الحملات الصليبية بالذلل.

Warriors of God: Richard the Lionheart and Saladin in the third Crusade

(محاربو العرب: ريتشارد قلب الأسد وصلاح الدين في الحملة الصليبية الثالثة)  
James Reston Jr  
Doubleday, 2001, 364 PP., \$ 27.50

والعراق. وتقول مؤلفة الكتاب إن حركة اللاجئين كانت على أشدها في السنين الأولى من الحروب الصليبية من ١٠١٠/٩٢ هـ حتى سقوط طرابلس في ١١٢٤/١٠١٢ هـ وعلى ذلك فقد استمرت حركة اللاجئين حتى منتصف القرن الثاني عشر. وترصد المؤلفة قيام هبات شعبية ضد الصليبيين في منطقة نابلس خصوصاً إذ قام الفلاحون بالهجوم على الصليبيين الذين احتلوا في قلاعهم قبل وصول جيش صلاح الدين.

ثم تأتي النقطة الثالثة من طبيعة المعارك والأسلحة المستخدمة. لقد تعود المحاربون الآتري على الحرب وهم لائق ظهور خيولهم. ولقد لعب هؤلاء الفرسان دوراً أساسياً في جيوش نورالدين وصلاح الدين، وسعيتهم كرماسة كانت مشهورة حتى قبل وصول الصليبيين، وهم قاتلون على الظهور والاختفاء ووضع الكمان واختيار القوات الهجوم وكانه ثم الاختفاء قبل أن يجد الخصم الوقت الذي.

وعلى عكس الجيوش الإسلامية التقليدية المكونة من قلب وميمية وميسرة فإن الآتري كانوا متجمعين في مجموعة صغيرة تحاول أن تحيط بالعدو من جميع الاتجاهات. وهذه المجموعات رغم النضال كانت قادرة على أن تدعم بعضها البعض بزيادة الضغط على العدو.

وهناك جانب آخر ذو أهمية قصوى في معارك المسلمين ضد الصليبيين، وهو أسلوب حصار القلاع. وتقول المؤلفة إن دراسات أكاديمية في أوروبا قد أوضحت أن مفتاح انتصار المسلمين في نهاية الأمر إنما يعود إلى إعداد خطط دقيقة لحصار المواقع الصليبية، وتشير المؤلفة على وجه الخصوص إلى أن أسلحة الحصار التي اتبعت للهجوم على صلد (الظاهر بيبس) قد صنعت في عكا ودمشق وصحت على ظهور الجبال إلى صلد. وقد أشرف الظاهر بيبرس بنفسه على هذا العمل وكانت لديه المصادر لإصابة هذه الأسلحة بسرعة وضرب القلاع بالتحجيت. وقد اتبع على في هجومه على صلد وعرضه وقلة ضيق وأماكن أخرى.

بقي أن نشير إلى أن الآثار الأساسية التي تبقي بعد الحروب الصليبية، هو فتح أبواب التجارة بين الشرق وأوروبا. لقد تم توقيع بين المعاهدات التجارية بين سلاطين المماليك وباردان الأوروبيين بعد جنوا وأريجون. ونجده أوائل القرن الحادي عشر كان مركز نقل الحروب مع العرب هو بغداد، لكنه انقل بعد الحروب الصليبية إلى مصر.

إن المعاهدات الجديدة كانت لديهم نوايا انتقامية من أوروبا المسيحية. وفضل رد الفعل العثماني للغزو الصليبي إلى قتله في القرن الحادي عشر. لقد غزا الفلاحيون البياض من البحر والوصول إلى غرب فينيقية. والحق أن شجع التوحيد التركي مثل معاقلة في سماء أوروبا طوال القرن السادس عشر.

وهكذا فإن الانتقام الإسلامي استمر لمدة طويلة، كما تقول مؤلفة الكتاب.

# ألفاز

## الفن التجريدي

### محاولة لفهم



### جاءك فلام

التساؤل خاصة في النصف الثاني من الكتاب الذي ألفه في ذكر فنانين مثل آرست جوركى Anshie Gorky وويليم دو كونينج Willem de Kooning وروبرت ميسنر Robert Kooning وروبرت ميسنر Robert Motherwell ما ذلك لهذا لا يتنقل من أهمية الكتاب ولا قيمته. ولقد جرت العادة أن تكون كتب الفن التجريدي الموجه لغير المتخصصين، موسوعية كمحاولة لتغطية عدد كبير من الفنانين والأساليب والتقنيات، الأمر الذي يؤدي إلى سطحية العمل ككل. لكن جولدنج كتبه اختار أن يقدم عدداً محدوداً من الفنانين اهتماماً أكثر بالقيمة الفنية من اهتمامه بتوثيق الأساليب، ويركز اهتمامه على فنانين مهمين يصعب فهمه، ولفهم على طريق شيء جديد... الحقيقة التصويرية الانتهائية أو محاولة الوصول لليقين باتجاه المطلق المرئي.. في هذا الإطار يندرج فنانون مثل كوشنج وميزرول الذين تميزت أعمالهم بتقويعها وبعدها عن المتكشوف الأمامي.

وفي كتابه لم يلجأ جولدنج لأسلوب واحد في التحليل، إذ يسرج الكاتب بين الاستطراد والحدس وسيرة الفنانة والمعلومة التاريخية وتحليل ما سطروه الفنان نفسه عن أعماله والوصاحات ففسها، والجدير بالذكر أن جولدنج شخصياً فنان ومؤرخ، الأمر الذي يوضح عدم إغاله لحقيقة أن ممارسة الرسم نفسها كيفية بأن تولد أفكارها الخاصة وأنها في حد ذاتها يمكن أن تعكس تغيراً في أشكال التفكير. كذلك فهو يولي اهتماماً بالتفاصيل المرئية ويرجع بين الإعجاب الشخصي والتحليل البعيد النقائي وحصلته هذا المدخل الانتقائي التجريدي الذي اختاره الكاتب، تطعيم رؤية ذكية تأملية مفصلة بقصص لائقة للنظر لبرود الفعل المرئية التي يستلزمها ويطلبها العمل نفسه، والحقيقة أن كتاب جولدنج يعد واحداً من الكتب النادرة التي تغطي أساسيات هذا الموضوع بصورة أكثر من جيدة، وهو يعتبر مدخلاً ممتازاً للأشخاص الذين التعرف على هذا المجال. في نفس الوقت

John Golding - معيار نحو المطلق - بكل ما يلزمه من رؤية فكرية بأسلوب نقي متدفق والذي اعتمد فيه الكاتب على الست محاضرات التي ألقاها أ.د. ملون A.W. Mellon في المتحف القومي للفن في واشنطن عام ١٩٩٧، كتاب يأتي في توثيق المناس.



ورغم أن الكثيرين ممن يستمتعون بالفن التجريدي ليمتازون أو يدعون فهمه جيداً، إلا أن هناك شبه اتفاق عام أن الفن التجريدي يعد واحداً من أهم الابتكارات الفنية في القرن العشرين. والحقيقة أن الكثير من الفترات التجريبية تبدو وكأنها تحصى فترة أن تكون مفهومة، من هنا فإن إحدى القضايا التي يطرحها جولدنج في كتابه تتلخص في كيفية استقاء الحسية البصرية التي تنشأ من رؤية لوحات لا تحمل مواضيع مفهومة وتزخر بأشكال هندسية أو عشوائية أو مجرد لطشات لونية.

في البداية يوضح جولدنج رؤيته بقوله: «إن الفن التجريدي في الفن وأعمق حالاته شمل بمعان ومضمون ولكي يصيح هذا المضمون مفهوماً يجب أن نجد ابتكارات تصويرية شكلية جديدة تعبر عنه». ولتوضيح رؤيته، اختار جولدنج محققين من الفنانين، تكون لهم لمسة الأولى من ثلاثة من رواد الفن التجريدي في أوروبا من ابتكار الفن التجريدي وحدوا معاهلة قبل الحرب العالمية الأولى. هؤلاء الفنانين هم كانديسكي ومونديان وكازمير ماليفيك Kasimir Malevich. ويخصص جولدنج النصف الثاني من كتابه لأعمال أربعة من كبار الفنانين التجريبيين الأمريكيين. وهم جاكسون بولوك ومارك روثكو Mark Rothko وبارنت نيومان Barnett Newman وكليفورد ستيل Clifford Still. الذين أسهموا في بحث مفرداته وتوسع نطاق طموحاته في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية. ورغم أن اختيار جولدنج لهذه الأسماء يثير

والطبيعة، مثل الربط بين شبكة الخطوط في لوحات جاكسون بولوك Jackson Pollock وبين أغصان الشجر المتضاثقة. لكن الوضع تغير الآن بصورة واضحة. فالفن التجريدي لم يعد يعتبر فناً راديكالياً، إذ يُعتبر حالياً أحد تيارات ممارسات فن ما بعد الحداثة، مما يفارقه بين الفيديو وفن الأرض أو الفن الإبراهيمي والأنواع المختلفة من أساليب الأداء واستخدام التراكيب والأجهزة، أصبح الفن التجريدي يبدو تقليدياً للغاية الأكثر من ذلك أن الفن التجريدي ذاته قد أصبح يُنظر إليه على أنه أقل تجريبية، فلقد حلل دارسون مواضع لوحات كانديسكي بالتفصيل، ويعتقد الكثيرون الآن أنه يجب أن نضيف مرجعية العمل، كالجبال والأشجار والاشكال، وتشير الدراسات الحديثة إلى أن لوحات بولوك التي رسمها بأسلوب التطوير كانت تبدو أحياناً كسكوكين شكلية، كما أن بعض المعارض والكتالوجات أكدت تعدد مصادر الإلهام للتشكيل في الفن التجريدي، حيث تبنت هذه المعارض في الطبيعة والأشكال الخشبية والعمالية ومذاهب الاستطمان والقائم العاطفي.

والآن وبعد أن مضى وقت كاف يمكننا أن ندرس الفن التجريدي كتظاهرة تاريخية مرت بمرحلتين راديكيتين، الأولى أوروبية، والثانية أمريكية. مع ذلك فلا يزال التساؤل حول كيفية تفسير الفن التجريدي مشار جلد حاد، ففي السنوات الأخيرة تشكك البعض في عملية التفكير على الشكل، وظهر اتجاه يرى الرسم التجريدي كتشكيل لودائع مبرجة، كأنما أراد الفنانون مجرد توضيح الأفكار في إبداعاتهم من خلال شفرة سريعة أو علامات وخطوط بيانية. ومن الأفكار المبررة التي ظهرت في هذا الإطار عدم أهمية الكلمات الشكلية للوحات والتشكيل في رد الفعل الذاتي المركب الناتج عن الصحيح بدهة في اللوحات. وقد يرجع سبب شيوع هذه الأفكار إلى أن معظم اتجاهات الفن المعاصر تركز على البيولوجية والسمية والغلف الاجتماعي، بالإضافة إلى ذلك، فإن الجدية العالية للتصوير التجريدي باعتبارها يطمع لنوع من الروحية الملتفة أصبح أمراً زائلاً في هذا الإطار فمن كتاب جون جولدنج

■ كان الفن التجريدي في أواخر الخمسينيات في أوج ازدهاره واعتُبر محور الارتكاز للفن الحديث. في ذلك الحين كان الفن التجريدي، الذي نُظر إليه كممارسة راديكالية (أي هنا بدأ بعد سياسي) هو المعادل الموضوعي للفن الجاد.

ولقد اعتبره الكثيرون. في ذلك الحين الأسلوب الوحيد الجاد في الرسم. فكان الاحتفاء الكبير بالتجريبيين التشعيريين والتجريبيين الأوروبيين الأوائل، مثل بيت موندريان Piet Mondrian وفاسيلي كانديسكي Vasily Kandinsky، مصدره الأساسي القيم الشكلية التي عكستها أعمالهم. وبمفهوم ورؤية عين الناقدة الفاحصة أوضح كلمت خسرويسنجس Clement Greenberg أن الفنانين والكتاب، على السواء، قد لغوا تشجيعاً في معادلة التجريدي بالتأكيد على التنظيم واتسامة السطح وإلغاء معالم النموذج الذي استلهم منه الفنان عمله، فإذا اندلحت دالات لتأشج أو جبال أو حتى أرقام أو بنية ما، فإن ذلك كان يُعتبر خطاً في أسلوب رؤيتك لوحة كما لو كنت مثل بولونيسز Polonius<sup>(١)</sup> لتعلم أن تتصور السحابة مجرد

هذه الفكرة المبالغ فيها عن النقاء والتجرد مثلت متضراً منهجياً لقرابة في الفن التجريدي حيث تدمت تركيز الانتماء بقوة على العناصر الشكلية في العمل. من هذا فقد حرص جريديس وغيره من النقاد على منع المشاهد أو الفنان من خلق إطار ربط بين العمل الفني

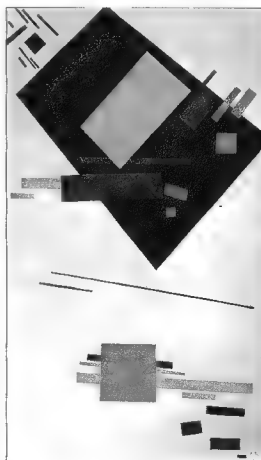
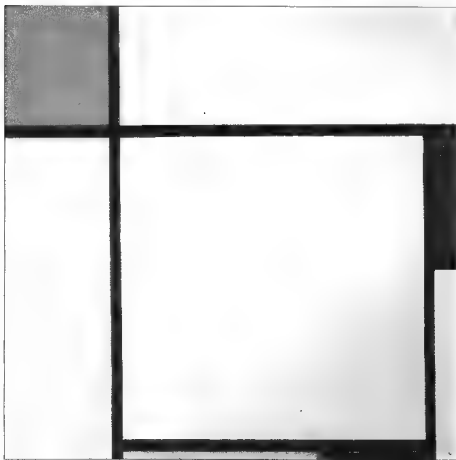
Paths to the Absolute: Mondrian-Malevich-Kandinsky Pollock-Newman-and Still (معارف إلى المطلق: مونديان وماليفيك وكاندسكي بولوك-نيومان-ستيل) By John Golding Princeton University Press, 240PP 560 00



كاندinsky

موسريسن

مافيسيت



٣٧ وجهات نظر

العدد الحادي والأربعون - يونيو ٢٠٠٢م



دغم أن الكثيرين ممن يستمتعون  
بالفن التجريدي لا يتظاهرون أو يذعنون  
فهمه جيدا، إلا أن هناك شبه اتفاق عام أن الفن  
التجريدي يعد واحداً من أهم الابتكارات الفنية  
في القرن العشرين، والحقيقة أن الكثير  
من اللوحات التجريدية تبدو وكأنها  
تتحدى فكرة أن تكون مفهومة



والفصاء الانثائي الرباعي الإبعاد الذي يقع  
فيما وراء إيراكشا.

وقد أثرت أشكال ماليفك الإبداعية التذكيرية  
المختزلة بصورة حادة في تطور الفن الصغير  
والإرائي في مرحلة لاحقة، وشكلت أيضاً  
النموذج الأول لما يصفه جولدنج بـ

«عد لا صهر له من التجريديين في مراحل  
تالية ممن حققوا أهدافهم... هؤلاء الفنانون  
وجدوا أنفسهم في وضع تراجيدي... فكان  
التساؤل كيف يصلون لنقطة أبعد وكيف  
يتفادون تكرار قمة إنتاجهم، ذلك التكرار  
الذي سيؤدي في النهاية لاستنزاف أصالة

التأثير والمعنى في أعمالهم».

ولكن هل كان بإمكان ماليفك أن يحتفظ  
بجدويته إبداعه حتى حلبة الثلاثينيات ملحماً  
الفن الكانديسكي ومودريان؟ (يقول هذا السؤال  
مطروحاً بعد أن اختصر ستاينيك مستحيلين  
ماليفك كلفان تجريدي يمنعه للفن التجريدي،  
من أدى لأن يضحي ماليفك ببقية حياته مناراً  
لن الواسع... من المدهش أن جولدنج قد  
تجاهل هذا الجانب من التاريخ الفني خالطه  
في كتابه، ومع ذلك فإن هذه المشكلة والصورة  
المختزلة كانت بداية التحدي للتجريديين  
الأمريكيين الذين خطوا بالانفكيت خطوة أبعد.



#### مرحلة الريادة الأمريكية:

بينما كان التجريديون الأوروبيون  
يتخلفون للوصول لهم كثنى موضوعي،  
كان الأمريكيون يسعون لتحقيق معنى كوني  
شامل عميق الدائنية.

ويشير جولدنج إلى أن الأوروبيين «قد  
حققوا المطلق وطهروا الفن بفضل دواتهم عن  
الصورة، بينما حاول الأمريكيون تحقيق نفس  
لوحاتهم من خلال التمتع في حقيقة أنفسهم  
ليتحولوا هم أنفسهم لجزء من الفن». لقد كان  
الفن التجريدي بالنسبة للأمريكيين معادلاً  
للتحرر على الذات.

يقول أليكسيكسور: «أنا أرمس نفسي، لا  
الطبيعة»، وعندما سالوا بولوك ماذا لا يرسم  
الطبيعة أجاب «أنا الطبيعة... ثم قال، «إن  
الرسم هو اكتشاف للذات وكل مان جيد يرسم  
نفسه».

ويحرص جولدنج في كتابه الفنية التي  
خلق بها كل فنان من الفنانين الأربعة نوعاً من  
الخيال الخاص من المختصر إلى المختصر  
يعبر عن المطلق ويتبنى للخيال

السوداء تقطع مساحة بيضاء، تؤكدهما  
مستطيلات من اللون الأول.

في هذه اللوحات، أراد مودريان أن يقدم  
شأ يعبر عن مستوى أعلى للحقيقة، من خلال  
تجربة مصاعمة، ومعها ما أطلق عليه الشكل  
التجريدي من لوحاته، ويصف هذا الفن بـ: «يصف نفسه بنفسه... يعبر عما فوق البشر»  
ولعله الأكثر إنسانية في عفة وشوالية»  
ويرى جولدنج أن لوحات مودريان  
النضجة قد عكست إحساساً جديراً جيداً  
بمساحة اللوحة ويقول: «إن شمولية سطح  
اللوحة حوله هو نفسه إلى صورة... فحين لا  
تنظر للعناصر التصويرية في اللوحة ولكن  
لسطح اللوحة نفسه ككل، مثلاً لخيال الفنان».

وإذا كانت اللوحة الجيدة المسطحة في  
لوحات مودريان... على حد قول جولدنج - قد  
وجدت التعبير بين الشكل والسطح، بين الشيء  
واللاشيء، فإن ماليفك قد حافظ دائماً على  
الاحتفاظ بين الصورة والخيالية، حتى عندما  
اختزلت لوحاته مجرد مربعات ومستطيلات  
التي أرفضه بيضاء مسطحة... لقد أراد ماليفك  
هوالاً أن يعبر ما لا يمكن تصويره أو تمثيل  
بطرح فني كبير وأسلوب تشكيلي يؤكد على  
الأفكار الخيالية... لقد انبهر ماليفك بالامر،  
خاصة عندما يتجسد في مفهوم البعد الرابع،  
الذي اعتبره المساحة التي تقع فيما وراء الملم  
والإبعاد الحسي، والحداد الضماد للأبعاد  
الفطري الواقع والفن، ولقد اعتبر ماليفك هذه  
الديمديات أصل وهم فكرة العالم الشكلي  
الإبعاد التي تعيش فيه أدنى مستويات الوعي.

لقد شغل ماليفك بالانفكاش التي تتجذر فكرة  
البعد الرابع... إن ذلك البعد يعني ضمنيًا  
اللاتلائية، ويمكن ذلك أن يتحول مجرد مسطح  
فارغ.



وتدريجاً توصل ماليفك لأشكال المستطيلات  
والربعات الطويلة على أراضين بيضاء والتي  
قال عنها جولدنج «تعميرا عن صعود الإسراع  
نحو الأعلى، نحو الضوء الغامض الذي اعتقد  
الفنماء والمؤنون بالقوى الخفية التي يبلا  
المساحة الفارغة... ويشير جولدنج إلى أن أشكال  
ماليفك الهندسية قد انتشرت كونه في طبيعتها  
والن المربعات والمستطيلات التي اعتقد أنها  
قمتها بعد عام 1913 كانت تعبر عن أفكار  
أوسينسكي فيما يتعلق «بميكانيك البعد الرابع  
التي يعبر عنها اختصاراً بالفن... من هنا فإن  
مرحلة الضمغ الفني في أعمال ماليفك يمكن أن  
تفسر كخطوة الاتصال ما بين العالم الشكلي  
الإبعاد التي تعيش فيه وجوئها الأرضي

الأوروبيين بفكرة البعد الرابع والمرفعة  
المتسامية والاستعظام رؤية العالم من خلال  
البصرية، كذلك فقد أثرت الأفكار الفاضلة  
والرؤى ونظريات رودلف شتاينير Rudolf  
Steiner - مؤسس النظرية الألمانية للجمال  
والإسمطمان - في نفس كانديسكي منذ فكرة  
الأولى التي استمع فيها لشتاينير في عام  
1909. ولقد اجتذبت هذه الأفكار مودريان  
Mondrian، ليرى أن الحياة كلها تنحدر نحو  
التطور وأن مراحل اكتشاف الحقيقة الكامل  
يمكن أن تتم من خلال التوازن والتسوية بين  
القوى المتضادة، وهو المفهوم الذي عكسته  
أعماله حتى نهاية حياته (أما ماليفك  
Malevich الذي انتبه بالإمكانات العلمية  
والخواص الهندسية الفاضلة فقد كان مفتوناً  
بأعمال أوسينسكي P.D. Uspensky، أحد  
حاربي مدام بالافسكي التي وضعت فكرة  
المجتمع القاطم على الفكر الاستيطاني.



بالرغم من ذلك فقد وظف كل من كانديسكي  
ومودريان وماليفك هذه الأفكار بطرق مختلفة.  
لقد تآثر كل واحد منهم بأعمال الفنانين الغربية  
وأصلها الأولية للفن في لوحاته وكتاباتهما كما  
يعتبط بالحقالة بين اللون والموسيقى وأراد أن  
يعطي أعماله لراه موسيقياً فأصر أن يمنحها  
سيفلة تركيب التوزيع الإيسكرالي، وعلى  
عصر كل من مودريان وماليفك كان كانديسكي  
يكون عناصر لوحاته في المساحة بأسلوب  
يحفظ الإحساس بالمتنظر، بل وكثيراً ما  
استخدم مصطلح الإسكورال لاشياء  
والمتنظر الخيالية المساحة وحلل جولدنج  
متابع إلهامه الراءة وتكوينات كانديسكي في  
عام 1913 يقول

«الحقيقة أن قد نجح من حين لآخر في أن  
ينكح نفسه عن التصوير الواسع،  
والصنادير الطويلة التي أعطت لوحاته  
مادتها والتي عابدة ما تفرض نفسها في  
العمل الفني بصورة لا تقاوم من خلال  
الذواعي، بمعنى أوضح أن هذه الأعمال  
يدلوع مستمر، تتألف من الشكل المجرد  
الذي يلزمه صورة مترادفة ومجموعة  
العناصر التي استوردت لإلهام منذ البداية،  
وعلى التناقض من ذلك فقد تأخر كل من  
مودريان وماليفك بتكميمية بيكاسو، فكانت  
تكويناتهما هندسية ومختزلة، والخيالية في  
قالب مودريان كل التوازن التبادليكي غير  
تغير عن طبيعة الواقع التي أدى به إلى قصر  
أعماله في النهاية على شبكة من الخطوط

التي يستنبر شهية أن يتصور منهم الإلام  
مالموضوع بالفعل

#### مرحلة الريادة الأوروبية:

يدرك جولدنج جيداً المتناقضات والتوترات  
الكثيرة التي شكلت مصداق الإلهام في الفن  
التجريدي منذ بدايته، خاصة التناقضات بين  
المعنى الخاص والمنطوق العام وظاهر وباطن  
العمل نفسه بالإضافة ذلك فإن جولدنج يدرك  
تماماً أن الطرق التي نغم بها الفن التجريدي  
تشكلاً أصحياً من التوازن المتخالف بين  
متناقضات المعاني والإفكار، وعلى سبيل المثال  
تتوسع بين الثلاثة فنانين الأوروبيين التجريديين  
كقوى عن إبداعهم، ومن خلال هذه الكتابات  
استطاعوا أن نغم قدرًا لا يساه به من دوافعهم  
والضمون المستتر في رواياتهم.

وبالرغم من أن أعمالهم وأهداف الفنانين  
الأوروبيين الرواد السالفة قد تمسحت، إلا أن  
جولدنج يشير إلى أنهم جميعاً قد استلهموا  
أعمالهم من العلوم والأفكار الروحية الفاضلة  
ورغم أن هذه التبركية قد تبدو لنا غريبة الآن  
بعض الشيء، إلا أن العلم والاستعظام في ذلك  
الحين قد تم طرقاً للوصول إلى ما اعتبر إيراكشا  
أعمق للحقيقة، وذلك من خلال تحديد أولوية  
العالم المادي وتأكيد أهمية القوى والعلميات  
فوق الأشياء

والفن التجريدي في هذه الصورة يمكن أن  
يعتبر نتاجاً طبيعياً للفكر الفرنسي في القرن  
التاسع عشر، وعلى سبيل المثال فقد أعطى  
التجريبون الأولية لتمثيل الطاقة أكثر من  
الاشياء الملموسة

ولفت سيزان الانتباه لخرال الرسم للدرجة  
التي تجعلها جزءاً من اللوحة نفسها.

ولقد مضى الأوروبيون نحو خطوة أبعد  
عندما انطلقوا الأولية لتمثيل القوى والعلميات  
دونما إشارة محددة للجمال المادي، وعندما  
جعلوا من تلك العمليات للوضوع الطاهر  
لصالحهم الفنية، وحيث التأثير العميق للعلوم  
المعاصرة على فنانين القاميين بصورة واضحة  
في بيان كانديسكي عام 1913 الذي أوضح  
حالة كيف دفعه انقسام الذرة للمضي نحو  
الذات التجريدية نقول

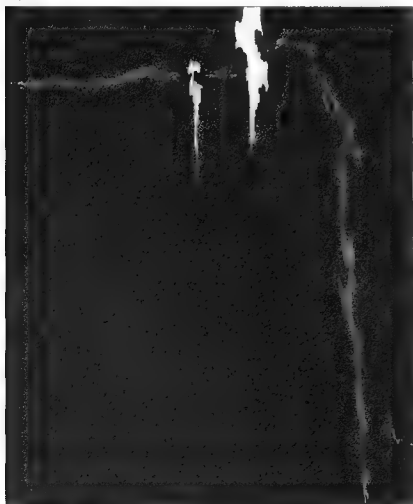
«قد تساوى التحدي الذرة، في نفس مع  
سقوط العالم ككل فجأة نهاوت الجحدران  
الصمت، كل شيء ما بعد مؤقلاً أصبح  
مشكوكاً به، حاشياً وأدراك صعباً، فل  
أدركنا إذا ما نخلل عالم عسى جحر في  
الو... ولم يعد مرئياً.  
وهكذا شغل كانديسكي وغيره من الفنانين



سولوك

سـيل

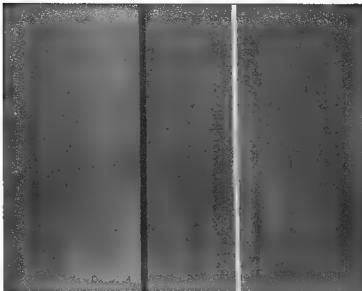
دوتكـو



٣٩ وجهات نظر



العدد الحادي والأربعون - يونيو ٢٠٠٢م



ميومان

اشكالة لا علاقة لها مباشرة بأى تجربة مرئية خاصة، فمن خلال لوحاته يدرك الفرد القواعد والاحاسيس الانفعالية للكانن الحي.

اما ميومان فقد درس علم النبات والجيولوجيا ويهر بعلم الطيور، وشعر ان الشكل التجريدي يمكن ان يكون حيداً حياً، لذلك للفرق الجذرة المركبة، نقلاً عن المشاعر العربية والى انالى في وقت لاحق.

كذلك فقد حمل ميومان اعماله بالانكار الفيلائية، واستخدم رموزاً يهودية في ايجاد ومسامحتة لوحاته، ومن الواضح انه وان كان مضمون العمل لا يتبدى على الفور امام عيني المشاهد، الا ان وضوح امام الفنان امر حيوي للغاية، فهو المرشد الذي يمد اللان بما يتفق عليه جولدنغ والاحساس بالفهماء والفرش الانفعالي.

ويمثل المضمون المستتر الذي يرتبط بالان التجريدي عنصراً مهماً في كيفية استيعاب العمل فلي بعض الاحيان يمثل الشعر، او في الصورة المرئية التي يعبر عن العمل، في نفس تولى جيمسز، ان يدرك المشاهد هذا المضمون المستتر لا يتفهمه تجارعه، ويوضح جولدنغ في تحليله لما كتبه الفنان عن اعماهم انه يبدو لنا ان تنصرون ان ردود فعلنا تجاه العمل التجريدي ما هي الا ردود فعل بصرية، لكن الحقيقة ان عددا من العوامل المتخوفة تلعب دوراً في هذا، وهذه العوامل لا توجد داخل الصورة الفنية البسيطة التي يتفهمها الفنان بشكل مباشر، بل هي عوامل خارجية، ولكننا نرى ان هذا العمل التجريدي قد غلب وتفرق في طبقات الالوان التي تجرى هنا وهناك لتدخل وتشتبه، وفي كل هذا يضيع العمل في الالوان الزاهية، رغم ان السطح شحلم بمواد غير تقليدية مثل الازرار والمناجات والانسلاط والسجائر وما شابه ذلك من الحقايق التي تقضي بوجود الانسان، حياة عاشها الفنان خلال ممارسة الفنية.

بل ان الفنانين الكلاسيكيين مثل روتكو ويومان قد استخدموا الالوان لتمثيل نقطة ارتداد، حيث ارادوا انصاهم ان تعبر عن التجربة الحياتية، فكتب روتكو ان معظم

محل محمل الفنان، بل يمكن القول انها تصعب الرمز المسري، بل ابداعاً شيء رائع ويمكن تفهيمها في إطار الشكل لتكبر وتلغق الفنان الذي وضعها.



واحد المتنافسات التي نشأت عن هذا الأسلوب في التصوير الضخم الحجم الذي تهبه الفنانين الأمريكيون انهم قد أصبحوا عمومية في نفس الوقت أكثر خصوصية من التجريديين الأوروبيين، لقد كان هدفهم من جسدوا الحس المرادجي والتشامى في نفس الوقت، وأى يسكبوا التعبير عن الكون كسمة شخصية عميقة، ولقد اعتمدت مراحل تحقيق ذلك، كما لاحظ جولدنغ، على الفروض الميتافيزيقية التي تحولت إلى رؤى خرافية عن الفن لتحوله إلى تظاهرة أو فعل مسري.

وعلى غرار أسلافهم الأوروبيين، أراد الأمريكيون أن يخلقوا صوراً تجريدية تستعيد وتسيطر الاحساس القوي بالوضوح، ولقد أوضح بولون أن «الفن التجريدي تجريدي، ولكنه قال أيضاً ويضن القناعة: «إنني لست تجريبياً تماماً على بعض الاحيان وتجريدي في ادحان كله، وعن التجريدي في لعرض الشاس 4 و 4 و الذي كان عنوانه Full Fathom يتكث جولدنغ قائل:

في يبدو الالوان في البداية كتكوين لشكلين، خاصة ونحن نعرف ان كثيراً من اعمال بولوك بدأت بخيال مفهوم، ولكن عنوان العمل يوحي ان الخيال قد غلب وتفرق في طبقات الالوان التي تجرى هنا وهناك لتدخل وتشتبه، وفي كل هذا يضيع العمل في الالوان الزاهية، رغم ان السطح شحلم بمواد غير تقليدية مثل الازرار والمناجات والانسلاط والسجائر وما شابه ذلك من الحقايق التي تقضي بوجود الانسان، حياة عاشها الفنان خلال ممارسة الفنية.

بل ان الفنانين الكلاسيكيين مثل روتكو ويومان قد استخدموا الالوان لتمثيل نقطة ارتداد، حيث ارادوا انصاهم ان تعبر عن التجربة الحياتية، فكتب روتكو ان معظم

ملسه، فشكحت بولوك من الالوان المسلاة، وحقول روتكو الناضبة بالالوان، ومسامحتة بولوك الواسعة للحددة بالخطوط الطولونه ولوحات سجيل الضخمة بأطراف الستائر المنسرة، كل واحدة منها تحبر عن الفنان نفسه، كل واحدة تعكس خيالات الفنان الذي رأى في عمله ملكته الخاصة التي لا يمكن لأحد أن يعاها، لكن هنا التسوية العظمى لم يكن بلا فمن، فيري جولدنغ ان كل عمل كان مصغراً للمطلق، لكن قد يكون احساس الفنانين بأنهم اقتربوا تماماً من الهدف أو عدم التأكد من كيفية الانفعال لمرحلة أخرى دون الأسلوب في هوة استمرار هو الذي أدى لياس بولوك وانتشار روتكو.

وإذا كان الأوروبيون قد شغفوا بالانكار العلمية والفكر الاستيعاطي، فقد شغل بولوك وروتكو واستيل منطقة اللاوعي والاستيعاط والتشامى بالإضافة لتأثرهم بما أطلقوا عليه الفن البدائي، خاصة في انهود الصخر، وكانت السبريالية تتركبها على التعبير عن اللاوعي من خلال الاستشفاذ الذاتي للنفس وأنسابه أخرى كالحرركات التقليدية لتأثيرات واسباب الرسم، بمقابلة الجسد الذي زوهم ياسس ابداعية وأدوات لتكوين الشكل، ورغم أن الفنانين الأمريكيين قد رفضوا قاموس السبريالية وتتركبها على النفس الجندسي والاحتشامى، إلا أنهم شعروا أنه يمكن تحويل تصديق السبريالية الذاتي لتشكل مستدام غامض، هكذا فقد اصمم الفن البدائي بداية أخرى لموصول للمشاعر الأولية والتشؤمية التي عبرت عنها لفترة 1910م عن الضمير الجمعي والتي استلارت اهتمام بولوك في اواخر الثلاثينيات.

الأكثر من ذلك، أنه وبما أن الفن الهندي يمثل الفن الأمريكي الأول، فقد منحهم ذلك الفرصة لتفجر من ظل التقاليد الأوروبية.

شعر التجريديون الأمريكيون أن أحد أوجه قصور المحادة الأوروبية يتمثل في فشلها في مواجهة مشكلة التكرار وفي محاولتهم لتخطي على تلك المشكلة، لعب حجم اللوحة دوراً مهماً، فبما قدم في السبرييون الأوروبيون لوحاتهم على وجه العموم بحجم حامل الرسم التقليدي، بدأ الأمريكيون في استخدام تكوينات ضخمة خلقت علاقة مادية جديدة بين الفن والمشهد، وهذا أشار ثيومان إلى أن الفيلس يحاول المشاعر، كما أوضح جولدنغ أن الفيلس الضخم في لوحات بولوك كان يمثل إحالة ليلوافاق عن الجسد البشري فيقول:

من اللافت أن نسبة كبيرة من اعمال بولوك كانت عملة التي استخدم فيها اسلوب الالوان المتسلة أو المسكوية في عام 1940 والتي تعبر عن انصاع اعماله واكثرها إثارة، عسودية التكوين وتناسب مع الخافيس البشرية، (موسط حجم اللوحة 3 اقدام و 3 و صمات 3 اقدام و 3 بوصات) في هذه لوحات كانت بقوة ان بولوك يلمس لوحاته بالنسبة لسطح اللوحة مما يؤدي لإحساس بتجوهد العميق مع اللوحة - في هذا الصدد تقول اللوحة لتجوده بوجوده الذاتي - كما تسميع له أيضاً أن عالمه كان ملياً، كما هو الحال مرة أخرى على تعلقها فيه ذات، فالإصاءات عندما تترجم إلى رقم تصويري

الاسماء تؤلف على التجربة البصرية وتحدد متطور الشوحة، ففي كثيرين من الفنانين الفنان أسماء على اسماءه بعد انتهائه منها بغرض أنها تساعد على تشكيل رد فعل للمشاهد، ويشير جولدنغ إلى أن ثيومان كان يفعل ذلك دائماً مؤكداً أن عناوين لوحاته مجرد استعارات، الهدف منها وصف مشاعره وهو يرسم اللوحة.

ويطرح جولدنغ فكرة أن يدرك العناصر البصرية المجردة في الفن التجريدي تتجده إلى درجة كبيرة التقاليد التي تحدد عملية الرؤية - ويشير إلى مصداقية هذه الفرضية عندما يرتبط الأمر بالطرق المختلفة التي تحول اللمسة الفنية لجزء مهم في مضمون اللوحة، فعندما تدرك علامات أو نماذج معينة في اللوحة فربما ذلك بدرجة كبيرة، أننا نعلمنا أن نأثر الفن بأسلوب معين، فالخطوط المسلاة في اعمال بولوك قد تفسر كتعبير عن التناقض والتشؤمية وعادة ما يتم ارتكابها كتعبير عما أطلق عليه الفنان، تجسيد للطاقة وأحرقة، كما أنه يمكن فهمها كإشارة بين الأفكار والحالة النفسية، مثل غضب الفنان الداخلي... كتجسيد لمراحل التذكر أو للتعبير عن قوى الطبيعة، وفي لوحات ميومان، تصعب خطوطه الراسية أو الاندفاعات، التي تقسم المناطق الواسعة الهائلة للالوان الباردة، أحياناً أوضح مناطق اللوحة تصويرية، فمصبح التناقض بين المسلمات الوشيية المختلفة في حد ذاته موحياً وذاً معنى، ويشير جولدنغ في فكرة موحية إلى أن الخطوط في اعمال ثيومان تدل مهمة لأخذ السطح ذي الطرين، اذعاف أو المفسم لتجزئة على جانبيه، مع ذلك فانطخوط للزاهية وتعكس إحساساً بجمع جزئي للوحة سوية، بل يشير إلى أننا لو حاولنا قراءة لوحات ثيومان ونحن نذكر لأعلى نشعر بارتباطها بالجزئين وعندما نترسل العين لأسفل فنفسم الرابطة ويتضاعف جزءاً من اللوحة.

وتدرك العناصر البصرية المجردة في الفن التجريدي تتجده إلى درجة كبيرة التقاليد التي تحدد عملية الرؤية - ويشير إلى مصداقية هذه الفرضية عندما يرتبط الأمر بالطرق المختلفة التي تحول اللمسة الفنية لجزء مهم في مضمون اللوحة، فعندما تدرك علامات أو نماذج معينة في اللوحة فربما ذلك بدرجة كبيرة، أننا نعلمنا أن نأثر الفن بأسلوب معين، فالخطوط المسلاة في اعمال بولوك قد تفسر كتعبير عن التناقض والتشؤمية وعادة ما يتم ارتكابها كتعبير عما أطلق عليه الفنان، تجسيد للطاقة وأحرقة، كما أنه يمكن فهمها كإشارة بين الأفكار والحالة النفسية، مثل غضب الفنان الداخلي... كتجسيد لمراحل التذكر أو للتعبير عن قوى الطبيعة، وفي لوحات ميومان، تصعب خطوطه الراسية أو الاندفاعات، التي تقسم المناطق الواسعة الهائلة للالوان الباردة، أحياناً أوضح مناطق اللوحة تصويرية، فمصبح التناقض بين المسلمات الوشيية المختلفة في حد ذاته موحياً وذاً معنى، ويشير جولدنغ في فكرة موحية إلى أن الخطوط في اعمال ثيومان تدل مهمة لأخذ السطح ذي الطرين، اذعاف أو المفسم لتجزئة على جانبيه، مع ذلك فانطخوط للزاهية وتعكس إحساساً بجمع جزئي للوحة سوية، بل يشير إلى أننا لو حاولنا قراءة لوحات ثيومان ونحن نذكر لأعلى نشعر بارتباطها بالجزئين وعندما نترسل العين لأسفل فنفسم الرابطة ويتضاعف جزءاً من اللوحة.

لقد أراد التجريديون الأمريكيون أن يمشوا المطلق، ومن المعروف أن المطلق لا يمكن وصفه إلا بطرق ذاتية. وكما نسمع أحياناً ولوحاتهم لا يدع المشاهد أن يرتبط بها عاطفياً وعقلياً، وهذا بالتحديد ما فعله جون جولدنغ بصورة تستحق الإعجاب، فهو يوضح أن التناقضات في الرسم التجريدي لا تخلق كرامة على نكل الحنى، بل إن كل من جزءاً منها من طبيعة هذا الفن.

لقد أراد التجريديون الأمريكيون أن يمشوا المطلق، ومن المعروف أن المطلق لا يمكن وصفه إلا بطرق ذاتية. وكما نسمع أحياناً ولوحاتهم لا يدع المشاهد أن يرتبط بها عاطفياً وعقلياً، وهذا بالتحديد ما فعله جون جولدنغ بصورة تستحق الإعجاب، فهو يوضح أن التناقضات في الرسم التجريدي لا تخلق كرامة على نكل الحنى، بل إن كل من جزءاً منها من طبيعة هذا الفن.

لقد أراد التجريديون الأمريكيون أن يمشوا المطلق، ومن المعروف أن المطلق لا يمكن وصفه إلا بطرق ذاتية. وكما نسمع أحياناً ولوحاتهم لا يدع المشاهد أن يرتبط بها عاطفياً وعقلياً، وهذا بالتحديد ما فعله جون جولدنغ بصورة تستحق الإعجاب، فهو يوضح أن التناقضات في الرسم التجريدي لا تخلق كرامة على نكل الحنى، بل إن كل من جزءاً منها من طبيعة هذا الفن.

لقد أراد التجريديون الأمريكيون أن يمشوا المطلق، ومن المعروف أن المطلق لا يمكن وصفه إلا بطرق ذاتية. وكما نسمع أحياناً ولوحاتهم لا يدع المشاهد أن يرتبط بها عاطفياً وعقلياً، وهذا بالتحديد ما فعله جون جولدنغ بصورة تستحق الإعجاب، فهو يوضح أن التناقضات في الرسم التجريدي لا تخلق كرامة على نكل الحنى، بل إن كل من جزءاً منها من طبيعة هذا الفن.

لقد أراد التجريديون الأمريكيون أن يمشوا المطلق، ومن المعروف أن المطلق لا يمكن وصفه إلا بطرق ذاتية. وكما نسمع أحياناً ولوحاتهم لا يدع المشاهد أن يرتبط بها عاطفياً وعقلياً، وهذا بالتحديد ما فعله جون جولدنغ بصورة تستحق الإعجاب، فهو يوضح أن التناقضات في الرسم التجريدي لا تخلق كرامة على نكل الحنى، بل إن كل من جزءاً منها من طبيعة هذا الفن.

لقد أراد التجريديون الأمريكيون أن يمشوا المطلق، ومن المعروف أن المطلق لا يمكن وصفه إلا بطرق ذاتية. وكما نسمع أحياناً ولوحاتهم لا يدع المشاهد أن يرتبط بها عاطفياً وعقلياً، وهذا بالتحديد ما فعله جون جولدنغ بصورة تستحق الإعجاب، فهو يوضح أن التناقضات في الرسم التجريدي لا تخلق كرامة على نكل الحنى، بل إن كل من جزءاً منها من طبيعة هذا الفن.

لقد أراد التجريديون الأمريكيون أن يمشوا المطلق، ومن المعروف أن المطلق لا يمكن وصفه إلا بطرق ذاتية. وكما نسمع أحياناً ولوحاتهم لا يدع المشاهد أن يرتبط بها عاطفياً وعقلياً، وهذا بالتحديد ما فعله جون جولدنغ بصورة تستحق الإعجاب، فهو يوضح أن التناقضات في الرسم التجريدي لا تخلق كرامة على نكل الحنى، بل إن كل من جزءاً منها من طبيعة هذا الفن.

لقد أراد التجريديون الأمريكيون أن يمشوا المطلق، ومن المعروف أن المطلق لا يمكن وصفه إلا بطرق ذاتية. وكما نسمع أحياناً ولوحاتهم لا يدع المشاهد أن يرتبط بها عاطفياً وعقلياً، وهذا بالتحديد ما فعله جون جولدنغ بصورة تستحق الإعجاب، فهو يوضح أن التناقضات في الرسم التجريدي لا تخلق كرامة على نكل الحنى، بل إن كل من جزءاً منها من طبيعة هذا الفن.

لقد أراد التجريديون الأمريكيون أن يمشوا المطلق، ومن المعروف أن المطلق لا يمكن وصفه إلا بطرق ذاتية. وكما نسمع أحياناً ولوحاتهم لا يدع المشاهد أن يرتبط بها عاطفياً وعقلياً، وهذا بالتحديد ما فعله جون جولدنغ بصورة تستحق الإعجاب، فهو يوضح أن التناقضات في الرسم التجريدي لا تخلق كرامة على نكل الحنى، بل إن كل من جزءاً منها من طبيعة هذا الفن.

لقد أراد التجريديون الأمريكيون أن يمشوا المطلق، ومن المعروف أن المطلق لا يمكن وصفه إلا بطرق ذاتية. وكما نسمع أحياناً ولوحاتهم لا يدع المشاهد أن يرتبط بها عاطفياً وعقلياً، وهذا بالتحديد ما فعله جون جولدنغ بصورة تستحق الإعجاب، فهو يوضح أن التناقضات في الرسم التجريدي لا تخلق كرامة على نكل الحنى، بل إن كل من جزءاً منها من طبيعة هذا الفن.



# تمتعوا بعطلة لا تنسى

إعتباراً من ١٣ جنيه

كراون بلازا



التركونتيننتال  
فنادق ومنتجعات



للمتج هذا العرض الرابع والمربع التالية العديدة داب  
القيمة الضافة العالية يرجى تعنة نباتات همه  
القسيمة وإمبارها لدى وصولك إلى أي من الفنادق  
المشاركة\*

أقيم ليلة واحدة على قسيمة لتتيح لك

الإقامة لمدة ليلة واحدة مجاناً في المرة المقبلة

إقامة مجانية للأطفال

حجم قدره ٢٥ ٪ على مختلف الأنشطة الرياضية

حجم قدره ١٠ / على العرض للدين جاوروا

الستين من العمر

الإقامة

تواريخ الإقامة من

الضيق

الفنادق المشاركة	السعر	وجبات الطعام
<b>شرم الشيخ</b>		
منتج هوليدى إن أمغوراس شرم الشيخ	١٣٠ جنيه	الإفطار والعشاء صباح مغار
منتج هوليدى إن شرم الشيخ	١٣٠ جنيه	الإفطار والعشاء
منتج كراون بلازا شرم الشيخ	١٤٠ جنيه	الإفطار والعشاء
<b>الغردفة / سفاجه</b>		
منتج هوليدى إن سفاجه بلازا	١٣٠ جنيه	٣ وجبات
منتج وكاريدو الغردفة إنتركونتيننتال	١٣٠ جنيه	الإفطار والعشاء
<b>القاهرة</b>		
منتج بيراميد بارك إنتركونتيننتال	١٤٥ جنيه	وجبة الإفطار
سميراميس إنتركونتيننتال القاهرة	١٩٠ جنيه	وجبة الإفطار
مناخ في نهاية الاسبوع - من الخميس إلى السبت	٢٤٠ جنيه	وجبة الإفطار
مناخ في نفس أيام الاسبوع - من الأحد إلى الأربعاء		وجبة الإفطار

ترقبوا افتتاح

هيليو بوليس إنتركونتيننتال القاهرة

منتج شرم الشيخ إنتركونتيننتال

للحجز: يرجى الإتصال بالمندوب الذى نختاره أو بوكيل سفركم الملى

\* مرفأ لإقامة محدودة في فندق سميراميس إنتركونتيننتال القاهرة

www.sixcontinents.com



الأحكام والشروط: يعطى السعر لراحة شخص واحد ليلة واحدة في غرفة مزدوجة شاملة الضرائب ورسوم الخدمة يسرى العرض حتى ٣ يونيو ٢٠٠٤ - إستثناء الإجازات الرسمية وهو سواقر  
الغرم نصف فساتين إلى الإقامة المجانية لدى مغادرة الفندق ويمكن الإستمتاع بها المرة القادمة لا تخف من أي من الفنادق المشاركة قبل ٢٠٠٤ ديسمبر ٢٠٠٤ - يحفظ فندق القارات الست بالحو  
في تعديل لهذا العرض من دون إشعار مسبق هذا العرض خاص بالمصريين والأجانب المقيمين فقط إقامة مجانية للأطفال أصغر من ١٤ سنة عند حجزهم الغرفة مع دروبهم



# ماك

سجاد ماك لكل الأغراض.. لكل الأجيال

قطع موكيت

دواسات حمام

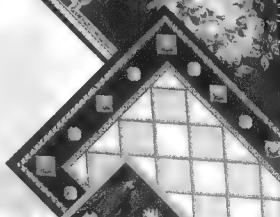
سجاد أطفال

مشايات

مطبوع

شرقى

ماك على الإنترنت [www.maccarpet.com](http://www.maccarpet.com)



## بواقى التصدير والرواكد

## مراكز البيع:

١٠/١٧١٤٩٧٢	القناطر الخيرية: ش ٢٥ ش البقى متفرع من ش ١٤
١٣٧٢٢٠٢٣	شبين القناطر: ش ٩ ش الدلتا
٢٥٣٩٧٠	بنها: ش الكوبرى
١٠/١٧١٠٤٥١	السويس: ٦٦ شارع الجيش
١٠/١٧١٠٤٦٨	المحلة الكبرى: ش شكرى القوتلى من ش الجيش
٤٠٨٢٧٤	طنطا: ش ٨٧ ش سعد الدين من ش النحاس
٣٧٢٦٤٧٤	المنصورة: ش الجمهورية أمام كلية العلوم
٢٢٢٠٨٥	كفر الشيخ: ش ٤ ش الشهيد محمد الدمرداش الشيتانى
٥٨٠٤٧٩٧	الإسكندرية: ش ٥٠ ش مصطفى كامل أمام كلية التربية الرياضية. هلمنج ت
٥٥٧٩٧٤٨	رمادا: برج رمادا بالإسكندرية
١٠١٠٠٤٧٩٧	المنصورة: ش عثمان ابن عفان بجوار المعهد الدينى
٥٤٦٠٩٩٩	الزقازيق: ش ١٠٢ ش الزناتيرى - سيدى جابر
١٢/١٧٥٨٥٠	العامرية: ش مجمع سيدى سمود الإستهلاكى عمارة خميس الوارى
٣٢٢٢٢٩	الزقازيق: ش المدينة عمارة العقدين الكبيرة المنتزة ت
٦٦٠٠٧٣	مطوف: ش ٨ ش ترعة العشاشة - طريق التأمين الصحى
٥٦٥١٣	مطوف: ش الجيش. أمام عمرا فندى
٣٥٥٧٦٥	الإسماعيلية: شارع محطة - المنكة للسفند سابقا
٣٥٥٧٦٥	شبين الكوم: ش ٣ شارع صلاح الدين أبو الخير من شارع الجلاء البحري
١٠٠٥١٢١١٤	بورسعيد: ميدان المصلة - برج المصلة
٣٢٨٠١٢	دمياط: ش جبهة سرور أمام القرن الألى
١٢/٣٢٦٠٧	كفر الدوار: ش ١ ش أحمد عراسى
٣١٠٩٥٤٤	أبو حماد: ش ٢٠ ش التحرير برج المعراى
٥٠/٦٩٨٥٧٧	المنيا: ش ٦ الجيش المصرى
١٠/١٩٣٢٤٨	كوم حمادة: ش مستشفى المواساة خلف مجلس المدينة
١٠/١٩٧٥٣٢	فالقوس: ش الساحة عمارة المتيم. خلف المحكمة
١٠/١٢١٨٣٥٧	كفر الزيات: ش الجيش أمام نادى المعلمين
٣٦٥١٥٦	المرسى: ش ٢٢ بولية أمام بنك القاهرة

## عناوين وأرقام تليفونات المعارض عن الوجه القبلى

٠٩٣/٣٢٢٨٩٠	سوهاج: ش النهضة بجوار عمر أفندى
٠١٢/٢٨٢٧٢٨	بنى سويف الجديدة: ش ٣ شارع أحمد عرابى
٣١٥٤١٦	بنى سويف: ش ٥ ش أرض المخلج
٣٢٣٦٤٨	قنا: ش كوبرى نذرنة عمارة أحمد عامر
١٠/١٦٦٦٨٩٥	قنا الجديدة: ش جوى متفرع من ش الأقصر سوق ليبيا
٣٢٢٠٨٢	الأقصر: ش مدرسة الصنائع - السوق التجارى
١٠/١٦٦٦٨٩٩	أسوان: ش ميمى الجبلاوى متفرع من شارع قاضى الجداوى
٣٠٦٠٣١	أسوط: ش ١٢ ش المدينة المنورة الزهراء
٨٦/٣٥٣٦١٦	المنيا: ش ١٠ ش الجمهورية
٨٤/٣٤٤٢٢٢	الفيوم: ش ٢٦ بولوى على يكن سابقا

٤١٤٧١١٢	مصر الجديدة: ش ١٢ ش محمد المهدي. نبيل الواد أرض الجولف ت
٤٠١٦٢٠	مدينة نصر: أرض المعارض بوابة (٩) شارع الفنجرى ت
٢٤١١٣٤٧	الزيتون: ش ١٣ ش عين شمس. ميدان حلمية الزيتون
٢٤١١٣٤٧	عين شمس: ش أحمد عرابى من أحمد عصمت أمام مزرعة الزهراء للخيول
٢٩٦٦٥٤	الشرابية: ش ٤٠ شارع الألابى
٣٢١٤٣٤٦	المرج: ش ترعة السلطوية عمارة سميد شاهين
١٠/٥٢٠٠٩٠	العرفين: ميدان الحرفيين عمارة الربيع
٢٨١٧٨٨٠	شبرا: ش ٦٤ ش روض الفرج - دوران شبرا
٤٣٣٨١٠	ناهما: ش ١٠٧ ش ناها بولاق الدكرور
١٠/١٧١٠٢٨٩	الزاوية الحمراء: ش ٦ شارع منشية الجمل عمارة الممدة
١٠/١٥٥١٠٦	المرمرانية: ش ٣ عبدالرحمن مطر
٥٤٦٠٨٢٢	إمبابة: ش ٦٣ ش الوحدة
٣٢٠٧٧٦٦	الهرم: ش ٤٥٦ أول ش الملك فيصل
٧٧٥٧١٨٨	مصر القديمة: ش ٦ ش أثر النسي
٥٢٤٠٩٨٧	العامدى: ش ٢ طريق مصر حلوان الزراعى محطة المطمعة
٥٢٤١٦٦٥	حداائق القبة: ش ١٤٥ ش مصر والسودان. محطة الجراج
١٠/١٤٥٥٠٧	القلمة: ش ١ ش سوق الصلاح
١٢/٣٢٦١٠٥	بهيتم: ش ٣٢٩ ش ١٥ مايو أمام حى شبرا الخيمة
٣٢٢٧٠٨	صفط اللبن: سنتر الصاوى. شارع التحرير
٧٢٠٧٦٩٢	مكرم عبيد: ش ٢٥ شارع أبو داود الطاهرى - مكرم عبيد
٢٨٧٦٦٢١	فيصل النماون: ش ٣٥٧ شارع الملك فيصل. محطة النماون. الهرم: ش ٤٩ - ١٧١/١٧١
٣٠٩٤١٢	الصحفيين: ش ٢ ش النيل الأبيض متفرع من شارع أحمد عرابى
١٠/١٧١٨٩٤٥	السيدة زينب: ش ٣٨ شارع مرساينا
٥٥٥٩٨٨٧	حلاوان: ش ٢٧ ش أحمد بدوى من رابى
٣٩١٤٩٩٩	الأوبرا: ش ١٠ ميدان الأوبرا محلات إسما عيل علي
٥٨٩٢٨٥٠	المنزلة: شارع عبدالمصم رياض عمارة الدكتور الخريشى
	دار السلام: شارع الفيوم أمام مجمع المدارس
	المناسية: ش ١٥ ش المناسية - ميدان الجيش

## أرقام تليفونات معارض مدن القناة والوجه البحرى

٣٦١٢٢٤	العاشر من رمضان: الحى الأول
٣٦٦٧٧٨	العاشر من رمضان: المجاورة ٩
١٠/١٧١٠٣٢٢	العاشر من رمضان: دواى العاشر. طريق الإسماعيلية
١٠/٦٦٩٨٥٧٧	دكرنس: ش مجلس المدينة عمارة المنعمى
٣٠٢٩١٨١٧	بلماس: ش طريق الحرية. خلف المحكمة
١٢/٢٢٢٦٠٦	مصرم بك: ش الإسكندرية ش ٦ ش أبديوس من شارع مسجد الحضرة ت
١٠/١٧١٠٤٧٠	دمهور: ش ١٢ ش الشيخ عبدالكريم
	ميت عمر: ش ٥٢ ش الحرية متفرع من ش بور سعيد



## ثورة يوليو: خمسون عاما



## محمد حسنين هيكل

يمكن وصفها بأنها «حرب كل الناس»، بمعنى أنها لم تكن حرب فراعنة والقبصرة وإباطرة - ولا حرب أديان - سماوية وكتب مقدسة ورسل مكلفين - ولا حروب إمبراطرات وممالك وإمبراطوريات - ولا حرب ماريشالات وجنرالات وجيوش، وإنما كانت - بالفعل -

«حرب كل الناس» - والأسباب:

- أن الموارد المطلوبة لشمول تلك الحرب أوسع من خزينة أي دولة بما تحصله من ضرائب، وعليه فإن تلك المطلوب لابد أن يتوافر - بالتقريب والرضى ليؤخذ من خزائن ومخدرات

«كل الناس».

- الجنود الذين تحتاج إليهم المعارك - تجبر من أي جيوش حاربت من قبل، ولذلك

تحتاج إلى الحشد إلى تلوع «كل الناس» - والحرب لم تعد وجهات قتال وإنما هي

سبب ظهور الطيران والصواريخ، جعلت المدن والقرى والمصانع والقول وحتى دور العلم والبحث - أهدافا عسكرية مرصودة، وبالتالي

وجهات قتال بفق عليها «كل الناس».

- قلوب وغول الشعوب تحولت بظهور

الجيال أفلتت وانقضت على السفوح والوديان، ندمها كانها مفادير نازلة.



ومع نهايات الحرب العالمية الثانية كانت التفاهة الطبيعية - الإنسانية، نشيطة وقاعة على نحو لم يسبق له مثيل في تاريخ الحروب، لأن نوبان الحليد بعد هذه الحرب بالذات - فك وأطلق قوى وعناصر مهولة، منها ما كان في موضعه من الأصل، ومنها ما استجد بفضل ما كان يتقال في العقب تحت الجليد المتراكم!

● وعلى سبيل المثال - بداية - فإن الحرب العالمية الثانية كانت أول حرب في التاريخ

قبله - يذوب الجليد، وتومي البشائر إلى ربيع أت.

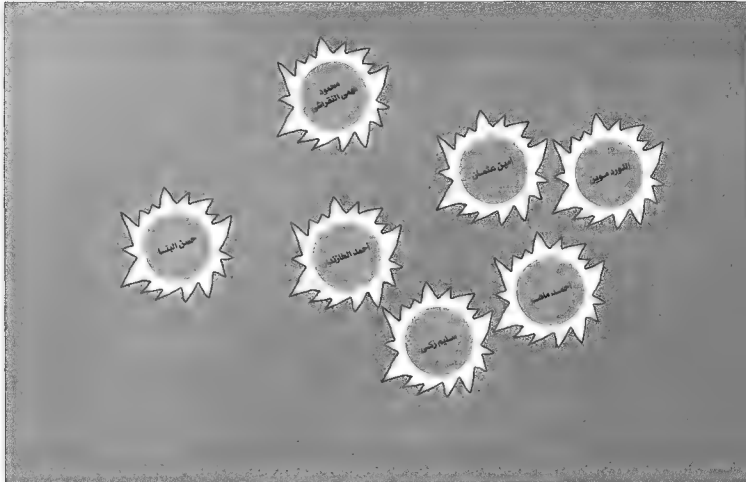
والخاص أن أهم الأرض وشعوبها التي رات (سنة ١٩٤٥) بواس تغيير القصور، راحت تفتح بالملوح ما أوقفته الحرب بالجميد، وغندا تحركت التصورات والرؤى، والأفكار والأمال، والمشروعات والخطط، تسابق بعضها بعضا، وتتدافع رغبة في تأكيد مواقفها ومطالبها على خريطة دنيا جديدة تراها عند الأفق القريب!

ولأن الحرب العالمية الثانية بالذات كانت الأسي وأعنف صراع سجله التاريخ الإنساني - فإن شتاءه ما حل طويلا وموحشا، وجليده جاء كثيفا وعميقا، وكان نوبان الصقيع باهرا وفي بعض اللحظات مخيفاً، لأن كرات تلج في ذلك

عندما اقتربت الحرب العالمية من نهايتها سنة ١٩٤٥، كانت الدنيا تعيش حالة شبيهة بظواهر الطبيعة حين يؤذن الشتاء على الرحيل ويبدأ موسم ذوبان الجليد، وتتحول القتل والمساحات البيضاء المتراكمة على القمم والسفوح إلى سيول تنحدر من مساقطها ويشد دهرها وتكتسح أمامها ما يعترض طريقها، لم يزيد الفيضان - فإذا هو الطوفان

وكذلك حدث لأهم الأرض وشعوبها ما يحدث على تضاريس الطبيعة ومعالمها، فالعرب بالضرورة تجميع للحياة الدنية، وفيد على الأمل، وتعطيل لحق الاختيار، والناس يقلبون - بإدراك أن مطالب البقاء والنصر، لابد أن تكون لها أولوية تسبق ما عداها، لأن أهم الأرض وشعوبها عندما تجد نفسها في مواجهة تحديات البقاء والنصر - تقبل تلوعا في زمن الحرب ما لا تقبله فحسباً في ظروف عادية، ورحاؤها أنه حين تحقق الشهيدة غايتها وطاقتها بالبشر والموارد، وتقدم للتضحية ما عندها دون مساهمة، وتحقيق الزيادة ما عزمت عليه وصممت - إن قرانه في ذلك الوقت وليس

# مصاحبات



## السؤال الأول: هل كانت الثورة لازمة؟

الراديو وبعبارة بعيدا عن جبهات القتال، إلى مواقع حرب نفسية تخدب عليها الإزادات الوطنية، والمعنى أن الحرب في المبتدأ والتمهي داخل ثوب وعقول «كل الناس».

● وعلى سبيل المثال - ثانيا - فإن اشتراك الاتحاد السوفيتي - وهو دولة الطبقة العاملة المؤمنة بانها غاية التسارع (وإن لم تكن نهايته) - ودخول الولايات المتحدة الأمريكية (وهي المستبصرة أمل التاريخ لأنها - موطن الحرية والفرصة المتكافئة) - جعل المقاتلين ضد النازية على التناحيين - على اختلاف ما بينهم - جدا يختلف عما عرفته ميادين القتال سابقا، والداعي أن الرجل العامل (السوفيتي)، والرجل العادي (الأمريكي)، كلاهما جاء إلى الميادين حاملا عقيدة اجتماعية، أحدهما يرفع في يده علم «العدل والمساواة»، والأخر يقدم «حلم الطموح والديمقراطية».

ومعنى ذلك أن الحرب نموذجان في تنظيم وإدارة المجتمعات - كلاهما يجارب دفاعا عن وجوده ضد النازية - وفي نفس اللحظة يحارب لتأكيد وإعلان ثوقه بعد النصر.

● وثالثا - على سبيل المثال أيضا - فإن الحرب لم تظهر حاجة ماسة إلى الموارد وقوة الثيران فقط، لكنها استدعت عنصرين جديدين: أولهما العلم والتكنولوجيا (قوة رئيسية وليس قوة مضافة - كما كان الحال من قبل)، وثانيهما الثقافة والفكر (ثالثا - فاعلا وليس ثالثا مساندا - كما جرى في مرحلة سابقة)، وعندما توصل العلم في ظروف الحرب إلى اختراقات هائلة في مجالات غير مسبوقة مثل الفضاء والزرة، فإن الثقافة والأفكار - بالتوازي - حكمت فنانا مذهلا في عرضها أوعده المجتمعات المتنافسة بعد نهاية الحرب المشتركة ضد هتلر، وحين توقفت الحرب لم يكن الطوفان سا ذاب من الجليد فقط - وإنما جرف الطوفان معه عناصر مستعينة الحرب في حد ذاتها، وتخلق كيانها الحي في رحم ظروفها الصعبة المشوبة بالنار والمصوبة بالدم.

وهكذا فإنها عندما انتهت الحرب، كان للشهد الجديد مجتمعات وغفائر متنافسة، وفيما وتعلمت تعرض نفسها، وعلوم وثقافات وطموحات، تحرك «جموع الرجل العامل»

«والرجل العادي»، «وكتل الناس» في كل مكان. وبالحديد لجيلا من الشباب، هي التي حملت عبء الحرب، وهي المشغولة بالمستقبل بعدما.



وكان تدفق الطوفان قادرا على بلوغ كل القارات - مع اختلافات في الكثافة والسرعة - وما حدث هو أن الطوفان وصل إلى أمريكا الشمالية هائلا طبعيا لأسباب، منها أن الولايات المتحدة الأمريكية بعيدة عن ميادين النار، وبالتالي فإن ضرورات تجميع الحياة المعنية أثناء الحرب لم تكن قاسية - ومن ناحية ثانية إن وفرة الموارد لم تجعل المتضررات المستحقة حمولات ثقيلة بضغط وتتجهل - ومن ناحية ثالثة إن الولايات المتحدة جاءت إلى الحرب متأخرة، وجاءت واثقة من النصر، فهي عندما شاركت فيها كانت الجيوش الألمانية غارقة في الشتاء الطبيعي على طول المسافة

من وارسو إلى موسكو، والمعنى أن وشمل لم تشع بالنور أو الخوف في أي وقت والحاصل أنه كان سهلا على الولايات المتحدة استقبال الطوفان، لأنه وصل إلى شواطئها البعيدة موجات استندت عمقها أثناء عبور المحيط والأهم أن الولايات المتحدة بكل ما توافر لها من طرود - كانت جاهزة، خصوصا وقد لجأت إليها خيرة عقول العالم واحتمت بها أعلى كنوز، وقصدت إليها النعم فيما توصل إليه العلم وتطبيقاته، كما توظف لديها شدة في التجربة التاريخية وفي العجز وفي الإنكسار المتحد، مع طموح إمبراطوري قادر على تحقيق مشروعه إذا ملك حكمه (وكانت تلك هي المشكلة).

● وفي أوروبا (وهي ميدان القتال الرئيسي) وقع - عندما بدأ ذوبان الثلوج - أن مؤخرة جيش الاحتلال الذي أصبحت هدفا مكشوف، لمقاومة شعبية (فرنسية - نرويجية - هولندية) في «الغروب» (وبولندية - تشيكوسلوفاكية - يوغوسلافية) في الشرق، وقد وجدت هذه المقاومة أن بعض ما حصلت

# .. وحرب!



لطسوحه، بمعنى أن فكرة العدل الاجتماعي تبحث عن الحرية السياسية - كما أن الحرية السياسية بورها تبحث عن العدل الاجتماعي، وعلى وجه التحديد فقد كان ذلك مجال الحرب المبرارة: الملاجيح تتوزع على القصة - والربان ترخضن من الصلح!

وفي آسيا كان الطوفان هائلا، ومع أن منشورات من ورقة واحدة في الغالب، تدعم إطلاق النار بإطلاق الأفكار، والتشهير أن الفكر الذي توالق مع سلاح المقاومة على مؤصرة أصبحت أول مستعمرة ترفض العودة إلى ما كانت عليه قبلها. بل إن شعبها وقف وأمسك أقداره بيديه مطالبا بالحري والاستقلال وأباحتها عن حياة جديدة ولو بالضرورة المسحة.

وبالمسحة لإندونيسيا بالذات كانت الظروف مناسبة:

عنه من الأسلحة الصغيرة التي تركتها الجيوش الهروسة وأدها كالمخاطع الرشايش والقذائف البودية والمخاطع المرويع في الأرض. يسمح موع جديد من انتقال المؤثر والفاعل وسقمت الملاحقة فحدث لها أن دخلت في أوروبا. - إن الأسلحة الصغيرة ظهرت مع المفاوضين في يد بيد الصلح الأخرى تحمل منشورات من ورقة واحدة في الغالب، تدعم إطلاق النار بإطلاق الأفكار، والتشهير أن الفكر الذي توالق مع سلاح المقاومة على مؤصرة أصبحت أول مستعمرة ترفض العودة إلى ما كانت عليه قبلها. بل إن شعبها وقف وأمسك أقداره بيديه مطالبا بالحري والاستقلال وأباحتها عن حياة جديدة ولو بالضرورة المسحة.

وبالمسحة لإندونيسيا بالذات كانت الظروف مناسبة:

● لأن إندونيسيا بلد كبير يشترك وينفذ حول بعضه في أرخبيل مائتي يتكون من ثلاثة آلاف جزيرة.

● ولأن القوة الإمبراطورية التي كانت تستعمر إندونيسيا قبل الحرب، بلد أوربي صغير هو مولندا. فأنها أصطدمت بالحقائق عندما أربوها وهم العودة إلى مستعمرتها القديمة، وعندما انكشفت أن الزمان اختصر.

● وكان الشعب الإندونيسي مهيا لترهيبه خرابسة تقوي الرجل الأبيض، لأن شعب إندونيسيا من ذلك المواقع في أقصى الشرق رأى الرجل الأسمر الياباني (معلما في ذلك بحري على الأميرال «ياما موتو» فهد الأساطيل اليابانية في «بيرل هاربور»، والجزرال «ياما شيباتا» للجيش اليابانية في غزو «مالايو» - كلاهما يطاره الرجل الأبيض ويطاره، ثم إن الرجل الأبيض لم يتصرف مطلقا

## مصغرائب

الجمعة حتى لبعه وزير الداخلية «فؤاد سراج الدين» - «ش» رئيس الوزراء، هائج بسبب إحقاقه لائحة تحمل اسمه - وهو يرى أن ذلك التصرف - دعوان على الشعب، لأن الذي كتبها واحد من الصغربين له حق التغيير عن نفسه - وقد طلب «رفعة الباشا» إجراء تحقيق فيما جرى، وإلى حين إتمام التحقيق فإن «مدير الأيس العام» يعطي التزاما بأنه موقوف عن العمل - وتحولت الحادثة إلى أزمة لأن الديوان الملكي اتهم «الخصاس» (باشا) بولف مؤلف كبير في الدولة عن العمل لأنه نفذ أمرا ملكيا لم يكن في مقدوره - وأقدور غيره - أن يعصاه، ثم إن الملك مصمم على إلغاء قرار إيفاء مدير الأمن العام - كما أنه يرفض التحقيق معه.

ومع تحول الحادثة إلى أزمة فإن البشاره البريطانية اعتمدت، ولأن السفير نفسه كان عليا إحتارة في جنوب أفريقيا، فقد تولى القيام بالأعمال مكانه وهو الوزير الفوض وبالقلم «شون» - إختصار وزارة الخارجية في لندن، ويعتد الوزارة تلعب معلومات مفصلة، - وكثف «تيرنس شون» - قائد بوليس القاهرة (الإنجليزية) «راسل» (باشا) - باعتباره شاهد عيان - أن يكتب تقريراً عن الواقعة، وبالقلم كتب «راسل» (باشا) - لاختتم بما قرأه «أن إيفاء» «غزالي» (إد) - وحينما علم، أن الرجل كوطف في الدولة، كان مازا بتقليد أمر مديار صدر إليه من رئيس الدولة (حتى وإن لم يعجب رئيس الدولة).

ومن الواضح أن لندن ضد صهرها وسعت إحقاقها المنكر في الشأن المصري، وكذلك وصلت تقرير «راسل» (باشا) إلى وزارة الخارجية

■ في لحظة من اللحظات والطوفان يتكسح ويغم - بدا وكأن مصر في كوكب آخر معزول عما يجري، أو على وشك أن يجري، في هذا العالم - في هذه اللحظة.

ويوم ١٤ أكتوبر ١٩٤٤ «ظلي» «مصطفى الباشا» (باشا) خطاب الإذاعة الذي كان قيد الإعدام منذ اليوم الأول لوزارته التي جاءت بانقلاب عسكري (بريطاني) مساء ١ فبراير ١٩٤٤. ومع أن «الخصاس» (باشا) كان يتوقع الإختطاف، فإن لهجة الإذاعة التي حملتها لسور زادت وفاضت، وكاد الرجل أن يلفد أعصابه مع الرسول الذي حمل إليه الخطاب وسماه له باليد «حسن يوسف» (باشا) القلام بأعمال وكيل الديوان.

وعبرين أن الأزمة التي أودت بوزاره الوفد - كانت دافعة لظاهرة بالى عجبار (خصوصا في منح طوفان غزالي) - فقد حدث أن الملك لخص في ١٤ سبتمبر ١٩٤٤ «في صلاة الجمعة الأخيرة من رمضان (الجمعة التيمية)» في مسجد عمرو بن العاص، وتجمع حشد من الناس يهملون، ولعل ملكيوكية يقرق من المسجد لائحة تعرض لطريق تحمل عبارة «حسبا للملك مع الخصاس» - وعندما نزل من سيارته أشار إلى مدير الأمن العام - «محمود غزالي» (إد)، وكان واقفا في انتظاره يشرف على تأييد موكبه قائلا: «أيه أليكتور ما يجد اسمه شلوا باسم أحد، وهو لا يريد - عندما يفرغ من الصلاة ويخرج من الجامع - أن يرى ذلك اللبابة - ابتاعه غزالي» (إد) ما سمعه امرا، ودخل الملك بواقة مسجد عمرو بن العاص، وبعد مدير الأمن العام إلى حيث كان جكسار (والقصة) - بوليس القاهرة اللواء «راسل» (باشا) - يقف مشرفا على مابين الموكب الملكي - نقالا لأبنائه وطالبيا لنمديده أن مدير الأمن العام (محمود يد غزالي) لم يكن يحد إلى حيث يد صلا

البرطانية في جو مهيا لقبوله، وكتب القسم المصري إلى وزير الخارجية البريطاني «التوني إيدن» مذكرة مختصرة تعرض لقطا رئيسية لها معانيها:

● «لا يصح لطرف في مصر أن يستوردنا إلى الدخول في منازعات على ما في السطور، خصوصا إذا كان الاسترجاع من حزب الوفد الذي استمرأه هذه الحادثة مع ملاحقة في الحزب اعطى ما عنده ولم يعد في مقدوره أن يزيد شيئا، وبالتالي وفي عيه علينا».

● وأربا أن الوقت كان لكي تترك الأمور تأخذ مجراها الطبيعي، مع العلم أن الملك عندما يحس بذلك سوف يبداء إلى اللالة الوزارة دون إقتناع.

● وباعتقار أن تكون تعليماتنا للسفارة في القاهرة بعدم الدخول طرفا في هذه الأزمة، وترك الفرصة لعارقو يتحمل مسئوليتهم ما يفعل.

● ونوصيتنا أن نلعب بعيدا وتذاع تأثير ما يجري على الرأي العام، ويعدها تصحيح الإختارات مفتوحة أمامنا وفق ما نرى في حينه، وقرأ «التوني إيدن» هذه المختصرة وكتب الصديق «I think that this is right».

توقيع.

التوني إيدن - ١٩ سبتمبر



ويحقاق الأحوال فإن الفصر كان على علم بإتجاه الرياح، وربما أن نص رسالة من رئيس القسم المصري في وزارة الخارجية البريطانية «بيتر سكروغن» موجهة إلى القلمت بعمل السفير البريطاني في القاهرة «تيرنس شون» - يكشفها للغير، والنص كالتالي:

تتصرف الأبهة (كسما كان الإبحاء الإسرائيلي)، ولما تصرف هذا «الجبان» المتهوم - مثل كل البشر في أحوال إحتياطه وفي أحوال الوهم:

■ مضاعفا إلى سقوط هذا الضرب من الوهم، فإن الرجل الأسوي (الإندونيسي) وجد حوله وفرة من الأسلحة الصغيرة تركتها الجيوش اليابانية وأدها (حتى لقد قيل وقتها أن الإندونيسيين في أيديهم من قطع أسلحة ما هو أكثر من أربعة الخبز).

وكان الطوفان قد سبق الوهم الإمبراطوري - وهما أن الجسر المواصل ما بين سنة ١٩٤٤ - إلى «١٩٤٤» - فإن لورة إندونيسيا (تحت قيادة لافر وطني مسلم هو «أحمد سوكارنو») أعطت النموذج والمثل، وحرضت ولقت نظر شعوب آسيا وأفريقيا، إلى أنه زمان جديد!

لندن وزارة الخارجية ٢٣ سبتمبر ١٩٤٤

عمري «تيرنس»

■ أشكره على تقديره الواضح للمصالح السياسية المصرية كما ورد في بريقتك رقم ١٨٤٤، ومن القاهر لنا أن نعلقنا بين ذلك والحكومة وصلت إلى حيث يصعب إصلاحها، وأن التفتير أصبح حتميا. وفي الحقيقة فإن أي وزارة يختارها الفصر سوف تكون ألق ضررا مما تسببه الأوضاع الراهنة، وربما يكون في مقدور وزارة جديدة أن تترك شئون البلاد على نحو أكفأ، وفي كل الأحوال فإن الملك يتحمل مسئولية نصرته»

وفي هذه السياق توجه «أحمد حسين» (باشا) مساء يوم ١٤ أكتوبر ١٩٤٤، وقابل «تيرنس شون»، بحضور المستشار الشرقي للسفارة البريطانية. «و بين الثلاثة حديث صريح (ولو أنه مزيج) - تعرضه برقية

السفارة البريطانية إلى وزارة الخارجية في لندن (رقم ٢٤ - ١١٣٣٣ / ٣٧١).

■ «جاء «حسين» في هذا المساء حضر مقنا المستشار الشرقي للسفارة تحدث «حسين» عن ظروف حسادة «محمود غزالي» - وشرح أن «الخصاس» يعرف أن الملك لم يعد مستحسا للصبر عليه، وأن الإنجليز لم يعودوا مصريين على أيديده، ولذلك فهو يريد للخروج بديعة موقف وطني يليق فيه بمطلب مصرية تدفع أحوال الناس بعيدا، وتكون كالأبنياء الأصماع، به لأنه إخراج إلى وزارة جني بعد الوفد. أشار «حسين» - إلى القضية أن يخرج «الخصاس» - فورا ويؤيد بطلوة مذبذبة (التي قد تعرضت لخصف تصرف تهور فيه ما لا يليق في حق الملك (حادثة محمود غزالي) - ويتكون كد مسالة لا للإنجليز بها، ولا يستطعن أن تستألفها لعدم إخصاف «حسين» - أن هناك لتفسير في

# يوم أكتوبر ١٩٤٤، تلقى، مصطفى النحاس، (باشا) خطاب الإقالة الذي كان قيد الإعداد منذ اليوم الأول لوزارته التي جاءت بإتقلاب عسكري (بريطاني) يوم ٤ هـ راير ١٩٤٧ ومع أن النحاس، (باشا) كان يتوقع الخطأ، فإن لهجة الإهانة التي حملتها سطور زادت وضافت



كانت لعلم «أمين عثمان» (باشا)، ولم تكن للنشر العام، وفي مسرح الهجوم على النحاس، (باشا) وطالب عثمان، وقامت السفارة البريطانية بإبلاغ سمن وتلفت أمرا «فلت نظر الملك إلى أن الحكومة البريطانية لا تسمح باستخدام أوقافها على هذا النحو، ولا تسمح بمحاكمة النحاس» (باشا) أو أي من وزرائه، فكل هؤلاء شاركوا في وزارة تعاونت «معها» إلى أقصى درجة في أصعب فترات الحرب، خصوصا لحظة معركة العلمين الخطرة والمرعبة..

وتلقى السفير البريطاني السير «مايلز لامبسون» (لورد كيلرن)، الذي عاد من إجازته إلى القاهرة- رسالة تقول له «أنت مفوض من وزارة الحرب بإبلاغ الملك «فاروق» ما يلي: -إن محاكمة النحاس» (باشا) تجعل معنى الإسماء، إلى هيئة حكومة صاحب الجلالة

البريطانية، -إن حكومة صاحب الجلالة لا تسمح بذلك، لأن الرجال تعاون معنا بإخلاص في الظروف الصعبة، -إن حكومة صاحب الجلالة البريطانية تفعل ما لا يحاكمه أحد من وزراء النحاس»، ومع أنه سوف يصعب علينا حماية بعضهم، إلا أن المحاولة ضرورية.. إن مثل هذه المحاكمة قد تضر رؤس الوزراء

لنفسه. وتوقف الحديث عن «محاكمة النحاس» (باشا)، وتراجع الملك «فاروق»، إلى طرح علم وسط، يعاين به رئيس الدولة، بسحب لادة «القسوة»، الأول، وبذلك تستطيع لقب «صاحب لسان الشريف» -والذي السفير -عند ذلك- كان يتفاديه، وكذلك لم تراع محاكمة، كل تلك قذارة مؤثر الأول في مكانها حول علق «النحاس» -ومعها هؤلاء!



لكن العلاقات عادت إلى نوع من التهدئة والجدب بين السير «مايلز لامبسون» (لورد كيلرن) وبين «فاروق»، ومن ذلك منذ أن السفير مضايق عندما وقع الإقرار عن بعض موظفي القصر من الإيطاليين، وبينهم «أنطون بولني» (الذي أصبح فيما بعد مديرا لشؤون الخاصة للحديقة الملكية «فاروق»، مع محبة رغبة البقية)، ولم يكن ضيق السفير البريطاني من قرار الإقرار في حد ذاته، فقد كان يسمن أن استمرار اعتقال «بولني» وغيره -لمجرد الاحتياط زمن الحرب- لم يعد له ما يبرره باختلاف الظروف وإيمانا بأن سيقته سيمس عودته «بولني» وغيره من الإيطاليين إلى خدمة القصر، وفي إحدى مقابلات السفير البريطاني مع «عبد الفتاح عمو» (باشا)، -أبدي اللورد «كيلرن» -صحبته بن هؤلاء «الإيطاليين» -لايد أن يخرجوا من القصر- وكان رد الملك (وهو) الغالب فإنه لم يتعمده، بل أي ذلك أمام مخاطبة قائد الطيران البريطاني في مصر الجنرال «شولسو دوجلاس»، دون أن يحظر بيانه أن «دوجلاس» قد تلقاها عنه وتصل إلى السفير البريطاني.. إن حدث أن «دوجلاس» كبر الملاحظة مفسوة إلى صاحبها (وهو) وفيها قول الملك «أن لورد «ملكن»

الملك، وقال للعلم بأعمال السفارة البريطانية، إن حربه على استقبال دخول الانتخابات إذا جرى إيقاف العمل بقانون الأحكام العرفية فترة إحترافيه، وإقاله له مضيقه على الغذاء في السفارة البريطانية «إن وزارته (وزارة النحاس) -بعد ٤ فبراير ١٩٤٦ أجبرت الانتخابات في ظل الأحكام العرفية، ورد «النحاس» على الفور -أن تلك الانتخابات جرت وروم على أبواب»، وخطر على مال السفير استشارة لندن في هذه النقطة، وترد لندن عن طريق وزير الحرب برض الفتح وقف العمل بالأحكام العرفية فترة الانتخابات.

«إن الحرب في أوروبا لم تنته بعد»، وقرر حزب المحافظين الانتخابات رغم أن بعض رجاله مدحوا على مسئوليتهم الشخصية، وجاء مجلس نواب جديد وعلت الصيحة بين أعضائه بضرورة محاكمة «مصطفى النحاس» (باشا). وكان ذلك حدث أن «مكرم عبيد» (باشا)

«أسرعه من المعتقل، ودخل وزارة «أحمد طاهر» (باشا) بوصفه وزيرا للمالية (مرتة أخرى) ودخل معه أربعة من وزراء حزبه (الكفلة) -قد أعد عريضة اتهام أكثر سوانا من القاب الأسود، وألق توقيعا لأنه استعان بعد دخوله إلى وزارة المالية بغير استئذان لم يستطع لصاحبها إخفاها عن الوقت المناسب، وبينما مكرمة من السفارة البريطانية ترسله للعلم الشخصي لوزير المالية وقتها «أمين عثمان» (باشا) وفي تحوي معلومات عن مسلمات دخل فيها السيد «أحمد الوكيل» سليل قريته «النحاس» (باشا)، ومسلمات أخرى لغير «أحمد الوكيل» من الأقارب والأصهار، والمذكرة توجه نظر «أمين عثمان» (باشا) إلى ضرورة إلقاء رئيسه «النحاس» (باشا) أن ذلك كله يسي إلى أجد حد له واستبعته ولاسوته والسفارة البريطانية ليسما (بوصفها المستولة في النهاية).

وبعد «مكرم عبيد» إلى نشر هذه المذكرة البريطانية في جريدة أنشأها تحمل اسم حزبه (الكفلة)، واعتبرت «مذكرة تصرف» -إهداء سر وخيانة أماته- «لأن «مذكرة توبيخ النحاس» (باشا) -كما كتب المير «والتر سمارت»



في إحدى مقابلات السفير البريطاني مع «عبد الفتاح عمو» (باشا) -أبدي نصيحته بأن «الإيطاليين» لايد أن يخرجوا من القصر- وكان رد الملك «موافق، سوف أطلب الإيطاليين عندى، إذا طرد السفير البريطاني الإيطاليين عنده، وكانت الإشارة واضحة إلى «جاكين كاسلاتاني» «قريته اللورد «كيلرن»



(باشا) وكيل وزارة الداخلية- يعرض عليه مشكلة حساسة تواجه «أحمد ماهر»، وهو يعرف أنه سوف يصبح رئيسا للوزراء بعد ساعات، ويعرف أن السفارة لم تعرض على ترشيحه، لكنه يذهب لقمه في مارتق إلى السفير فيصطحبه لصدر وجوده في هذا المنصب بينما شقيقه الأكبر (أي ماهر) موجود في السجن، وهو يسأل «هل يمكن أن يطمئن عائلته أن في وسعه «عمل شيء» يستعذر «ميريس شون» -«قلت «حسن رفعت» بإخطار «أحمد ماهر» أن موضوع الإقرار عن شقيقه مسألة عويصة لا ينبغي إثارتها الآن»

سمع من اللواء «رامسل» (باشا) حكمدار بوليس السفارة أن رئيس البجوان الملكي «حسنين» اتصل به وأبلغه أن تغيريا وزاريا سيعلن عنه في ساعات، وأن عليه أن يكون مستعدا بما يراه من إجراءات للمحافظة على الأمن في العاصمة.

وصباح اليوم التالي (٨ أكتوبر) اتصل «حسنين» (باشا) بالسفارة يقول للسفير «السلامة» والتمسحات -إن «السلامة» سوف تتم اليوم»، وأن كل شيء عتد، وأن ساعده «حسن يوسف» في القطار الآن إلى الإسكندرية ومعه خطاب الإقالة يسلمه للنحاس (باشا) بيده «ث يضيف «حسنين»:

«إن النحاس» (باشا) سوف يفر من الخيط بعد ما يسرا خطاب الإقالة «لأنه مستعق» ويستعذر «حسنين» قائلا «إن خطاب تكليف «أحمد ماهر» تم إعداده، وفيه إشارة صريحة إلى أهمية التعاون الوثيق مع الحليف البريطاني الكبير الذي يضحى بالدم في سبيل حرية الأمم والدفاع عن حبلوئها المشروعة»!



كانت مسمر مستغلبة بوزارة جديدة وماتخايات تجربتها هذه الوزارة، وحضر «النحاس» (باشا) مائدة غداء في السفارة البريطانية تكريما له -وتحويضا عن الإهانة

حكومة موالية للإنجليز ترعى مصالحهم وتلكى طائف الخلفاء مع استمرار الحرب دون أن تتسبب في مشاكل أحد.

يقط «ميريس شون» في نهاية برقيته: «أنا أنهم يريدون إلثنا للفساد، وإذا كان هناك ما نؤودون بإبلاي به، لنفكر في أن نعلق تعلمناكم سريعا.

وكان سكوت لندن عن الرد، علامة رضا:



يوم ٦ أكتوبر استقر «فاروق» على تأليف وزارة جديدة -لا تكون وزارة قصر (برئاسة حسنين)، وإنما وزارة حزبية (ملكية في نفس الوقت)، ووقع اختياره على «أحمد ماهر» (باشا) وسفير حزب السعيدين، واتصل «حسنين» بإبلاغه بأعمال السفارة يستطلع رأيه في رئاسة «أحمد ماهر» للوزارة، مضيفا إلى ذلك رغبة مصر في التصرف سريعا لأن الأبخار «صنعتهم» بأن «النحاس» (باشا) يحاول اختلاق ملف ظني يخرج بطلته.

وأبدي «ميريس شون» -أن الفصهر له أن يتصرف كما يشاءه، على أنه لم نفس غير «فاروق» حتى عاد «حسنين» ويصل بالعلم بالأعمال البريطاني يلكل إليه رغبة «فاروق» في لقائه على الفور، ويصطف «شون» «مفتلة» أن استعادة القابة الملك في هذا الظرف يوحى من السفارة بتدخل في شخيرة الوزارات المصرية». ويرد «حسنين» (باشا) بـقولته: «الملك» أن الملك لا يعادني ليمسا على تجارب سابقة وهو يشقى إلى أبسط الأمور أمامه، فإذا جاء وقت التصرف والتقدير، اكتشف انكم غير موافق، ولذلك يريد أن يسمع منك -وليس مني ويوصوح -أنه ليس لديكم اعتراض على تغيير الوزارة.

ويستعذر «ميريس شون» في رسالته إلى لندن (البرقية) رقم ١٩٩١ / ٣٥٠٠، «أبلغت «حسنين» أنه يستطيع أن يؤكده لملك حريته في التصرف كاملة، مع إعلاننا من الظهور علنا في مقابلة الصحوة».

ويستعذر «ميريس شون» في برقيته. فلي إلى «حسنين» «إن «أحمد ماهر» تعهد أن يقوم بتفقد أمين لمفوض روح معاهدة سنة ١٩٣٦ -وربده عليه «بأننا نتوقع ذلك من أي رئيس وزراء في مصر».

فهمت أن علية طرد «النحاس» سوف تتم غدا.



يوم ٦ أكتوبر قام الوزير البريطاني «ميريس شون» بعدة إجراءات -بعت برقية إلى السير «مايلز لامبسون» (لورد كيلرن) أن يخطره ما يجري في مصر، ينمنا هو يقضي الإجازة في جنوب إفريقيا له «استعني «أمين عثمان» (باشا) وأبلغ له أن الأمور تحسرت بسرعة، واستأنده «أمين عثمان» إذا كان يسمح له أن يقول «شيئا» للمحاس» (باشا).

تلقى رسالة من رئيس الوزراء الملك «أحمد ماهر» (باشا) عن طريق «حسن رفعت»



أن بريطانيا في هذه الحرب لم تعرض مصر لخسارتها بما في ذلك ما تعرضت له بريطانيا نفسها. ومن ذلك أن الحكومة البريطانية لم تصمم على ضرورة قيام مصر بإعلان الحرب من ناحية لأنها كانت تعرف أن الجيش المصري غير مستعد للمشاركة في قتال. ومن ناحية أخرى - لأن إعلان مصر للحرب كان يضرها دون نفع - لضرب الكباري والجسور والموانئ والطرق بطريقة مدمرة. أشخاص «إيدن» «إينا» استخدموا أيضا من هذا الوضع. فقد كانت كل إمكانيات مصر تحت تصرفنا دون مخاطر كثيرة، ونحن نأخذ ذلك في الاعتبار».

أشار وزير الخارجية إلى أن التقارير التي قرأها، لفتت نظره إلى عمليات فصل وطرد وتعيين وترقيات استثنائية - شملت مئات من موظفي الدولة المصرية. ورد «ماهر» (باباشا) بقوله: «إن هؤلاء كانوا من الذين عينتهم حكومة الوفد، ومن أنصارها وانتهاظين معها، وكلهم لا تستطيع الحكومة الجديدة للمعادية للوفد أن تلقى بهم». وقال وزير الخارجية البريطاني صوبها النصح لرئيس الوزراء المصري: «إنه يريد أن يقدم للحكومة المصرية نصيحة صديق، مؤدبا: أن هذا العنف في التعامل مع موظفي «الخدمة المدنية» بمعايير الثقة الحزبية، يفسد هذه «الخدمة المدنية» عتليا. لأنه سوف يفقد موظفي الدولة ثقتهم بأنفسهم، والتزامهم بالصالح العام، وتلك المسؤولية ينبغي أن يظلوا بعيدا عن التقلبات الحزبية، وأن لا يراق نظام «الخدمة المدنية» في مصر سوف يهلك بمعايير الكفاءة ومعايير الأخلاق.

ورد «أحمد ماهر»: «إن الحكومة لم تدر من طردهم لأنهم موظفون في الدولة، ولكن لأنهم انصاعوا للوفد». ورد وزير الخارجية «أنه لا يريد «الفحاس» وقرينته، وسراج الدين» أيضا في المجلس. ■

وقيل لي أن هيكال «الدكتور محمد حسين هيكل» رئيس الأحرار الدستوريين» يريد هذا المنصب وأنهم وعدوه، أنه إرضاء غروره. ومع ذلك فإننا كان «أحمد ماهر» يريد «القراشي» في الخارجية، فأتا شخصيا لامتاعه.

وكانت للخارجية أن الوسيط الذي حمل رسالة «أحمد ماهر» - هو عبد الفتاح عزمرو - تحت حزب الأغلبية الذي غاب مرتين. مرة بالإنابة، ومرة إضافية بضياب كثير من التهم والسميات طالت الوفد ووضعهم في موقع الدفاع عن رجاله (وحتى عن نسائه!).



ومع ذلك فإن «أحمد ماهر» راح يحاول أيضا عن غير طريق هاتين القصر وبوابه، وحشد بعد تشكيل وزارته بأسبوعين اثنين بالضبط (٢٣ أكتوبر ١٩٤٤) - أن وصل إلى القاهرة وزير الخارجية البريطاني «آنتوني إيدن»، وطالب رئيس الوزراء المصري الجديد لقاءه براه أن يكون اللقاء «شخصيا» أكثر منه «رسميا»، وقام الوزير المفوض البريطاني «تيرنس شون» بترتيب دعوة غدا في بيته، يجلس حول بلفاندا رئيس وفد مصر مع وزير خارجية بريطانيا وعدهما - لكن الوزير البريطاني المفوض غدا بعيدا لرئيس الوزراء أنه نظرا لشعب الوقت وريفة كثيرين في لقاء «آنتوني إيدن»، فإنه سوف يضطر إلى دعوة «أحمد حسين» (باباشا) أيضا، ومعنى ذلك أن الرجلين لا يكونا وحدهما. ولم يكن في وسع «أحمد ماهر» أن يعترض على حضور رئيس الديوان الملكي، وكتب «تيرنس شون» تقريبا عن اللقاء (٢٧/٨ / ١٩٤٦) عارضا أهم واقعه - قتلًا.

«بدا وزير الإيدن» (إيدن) فزع رئيس الوزراء «أحمد ماهر» أنه راض عما سمعه من تأكيدات عن التزام وزارته بتنفيذ لمعاهدة الصداقة والتحالف بين مصر وبريطانيا (معاهدة ١٩٣٦)، وهو مائل أن تذكر الجميع

ماهر» - «إسماعيل صدقي» (باباشا) مستقلا - محمود فهمي القرشاشي» (باباشا) مرة ثانية - ثم «إبراهيم عبد الهادي» (باباشا) خليفة للقرشاشي.

وطوال هذه السنوات الأربع - كان الملك «فاروق» يحكم مصر، فهو مصدر شرعية وزارات الأقلية، والقادر على سحب اليمينات من تحت حزب الأغلبية الذي غاب مرتين. مرة بالإنابة، ومرة إضافية بضياب كثير من التهم والسميات طالت الوفد ووضعهم في موقع الدفاع عن رجاله (وحتى عن نسائه!). ومن المفارقات أن حكومة الأقلية التي جاءت بعد الوفد لم تكن راعية في الاستسلام إلى اعتبارها حكومة قصر، ومن لم تحاول تحقيق نوع من الاستقلالية، لكنها في ذلك ولوسه الحظ ذهبت إلى السفارة البريطانية تطلب قدرا من التفاهم «المستقر» الخياش، يوازن أو يقلل اعتمادها على القصر وحده.

لكن محاولة الاستقلال أتت إلى مزالق تسجلها الوثائق البريطانية وبينها رسالة رقم (٣٠١ / ١٢) - يظهر فيها أن «أحمد ماهر» (باباشا) يعث إلى السفير البريطاني رسالة «إننا كان يضايقهم أن يتولى ثانية «محمود فهمي القرشاشي» (باباشا) وزارة الخارجية بدلًا من وزارة الداخلية. ووضع «أحمد ماهر» داعمه إلى الطلب بأن وجود «القرشاشي» (باباشا) في وزارة الداخلية يسبب كثيرا من المشاكل، فهو «عديم» و«متردد» ويعمل الكثير من «الأموه» - لكنه في الخارجية لا يستطيع أن يعمل شيئا. وكان تعليق السفير البريطاني (كما وفي برقيته إلى لندن) «شرحنا أنني لا أريد أن أقارب هذه الشؤون الداخلية، لكنه إننا طلب مني إبداء رأي، فأخبرتني أفلعل ذلك شريطة أن لا يتسرب إلى العلن شيء» - «أضللت» في مستعجلة «القرشاشي» أنه رجل «ضيق الأفق» وذلك بسبب عتاده وتزمته ورأى بعد ذلك أنني لا أعترض على «تقيته» في وزارة الخارجية. إن قلتي أنه هناك يستطيع أيضا أن يكون مشكلة. واقتربت عليهم إذا أرادوا حلا لشكله «القرشاشي» فإنهم يستطيعون اختياره رئيسا لمجلس الشيوخ -

مطلب على إخراج الإيطاليين من بيشي، موفائق. سببوا طرد الإيطاليين عمدًا. إننا هو طرد الإيطاليين عمدًا. وكانت الإشارة واضحة إلى قربت السفير البريطاني «جاكين كاستلاني» وضرب السبب، واتصل بحسن يوسف (باباشا) في الديوان يطلب منه أن يقول للملك «فاروق» «إنكم لم تعجبني، I am not amused» - وسأله «حسن يوسف» عن مقصده، ورد السفير بأن «فاروق سوف يفهم». وعندما لكت الرسالة إلى الملك، أدرك أن ملاحظته أمام «شولوا وبولاس» وصلت. وأن علاقته بالوفد كثيرين عادت إلى التوتر من جديد، وأن شهر العسل بينهما انتهى، ثم إن الخلاف لم يعد في السياسة، وإنما أصبح شخصيا. وترأى إلى علم الملك أن «كيلين» يحكي في مجلسه الخاصة جوانب من تفاصيل المصالحة بين «فاروق» وزوجته «فريدة»، وكان الزوج الملكي بين الاثنين قد تحول إلى فضيحة تتوالى فصولها لحداث، ووجدناه السفير البريطاني فرصة له لحد الجمل:



ووسط هذه المشاهد العتلية، كان الطوفان يقترب بمصر مستخفاً بمواجز، متجهاً إلى القاهرة: وكان بعض الطوفان دما، وهو طبيعي لأن القدم الشجيرة التي ذابت لتفوجها عبرت على صياحين القتال ممحلة بمحاولات من لقاء محلي قاتنية. وبطبيعة الحال فإن معظم الدراج يجري تحت أقدام الملك «فاروق» ومن حوله، باعتبار الوزارة التي خلفت الوفد كانت في واقع الأمر «وزارة قصر»، أي وزارة «ملك». وإحسان أن الحكومة استمرت ملكية أربع سنوات كاملة. توالى على رئاسة الوزارة خلالها أربعة رجال - «محمود واحد كل سنة» وكانوا يعبر استخدام بإرادة القصر وقراره: فهمي القرشاشي» (باباشا) خليفة لسلفه «أحمد



## الرصاصة الأولى:

### الورد «وين»

نوفمبر ١٩٤٤

الشرق الأوسط اللورد «مورين» - ولم يكن احتياله قتلا عتيا، وأخذنا أعتيا سياسيا وراء مشروع معجد تحول من موسم ذبول الفلوج إلى مجرى سيل على طريق طوفان (مصيدو) بلون الدم.

■ في طرف أسبوعين اثنين من اللقاء بين «آنتوني إيدن» و«أحمد ماهر» على الخفاء في اسفهر البريطانية - أي يوم ٧ نوفمبر ١٩٤٤ - دوت في مصر طقوس رصاص ورسل دم، وكان المصيدة هو وزير الدولة البريطاني القديم في

أبواب فلسطين بغير قيود للهجرة اليهودية، تمهيدا لإنشاء دولة يهودية في فلسطين على أساس وعد بلفور - وكانت تلك بالفشل كرة جليدة اعلنت وانفضت على الشرق الأوسط:







## الرصاصة الثانية

### أحمد ماهر

١٩٤٥ فبراير

■ عندما بدأت طلائع الطوفان - من دويان جليد الحرب المصعوب بالدم - تصل إلى مصر، كانت القاهرة مأخوذة بهاجس وظني يلوح نفسه ويوشك أن يتحول إلى سؤال ملح يطلب جواباً. وقد لدغ في خواطر جمع من المفكرين المصريين أن قرب نهاية الحرب تطرح على مصر سؤالاً مستقبلياً.

وكان سؤال المستقبل قد ظهر ضمناً في سياق بيانات أصدرتها لحزب الأقلية (السعديين برئاسة أحمد ماهر - والدستوريين برئاسة محمد حسين هيكل باشا - والوطنيين برئاسة حافظ رمضان باشا) - أيام حكم الوفد - والفاهرين أن هذه البيانات صدرت بتأثير عامين.

■ عامل حزبي يقصد إلى إخراج حكومة «النحاس» (باشا) ويضبط لتشكل عمق علاقتها مع الإنجليز والصهاغيا لهم ويتقدموا له بتخفيض هذه الأرباح - أوامر من السفير البريطاني (الخضوب السامي - كما أسمته هذه المناداة).

■ وعامل وطني مؤداه أن هذه الأرباح، ومعها طائفة من أبرز الشخصيات المهمة بالعلم والالتزام الوطني راحت تتصالح بإخلاص أن تستكشف اللازم والممكن لحق مصر في الاستقلال والحرية.

■ والشاهد أن هذه البيانات التي صدرت عن أحزاب المعارضة ومعها عدد من الساسة المستقلين - وتؤيد طائفة من نجوم الأوردة المصرية في تلك الأوقات - تأثرت ماجواء ميلاق الأطلطي التي أعلنه تشرشل وروفلت (رؤس الأطلطي سنة ١٩٤٢) - وشتمعل على مجموعة مصادري التتبعيم «العالم الحر».

■ وتمكين شعوب الأرض من صنع مستقبلها متحررة من الخوف والظلم والاستعلاء، وكان ذلك الإعلان ذاته إسهاماً عالياً الصوت رفيع المقدار يفيض بحاله، يذكر ما يشر به الرئيس الأمريكي «دوررو ويلسون» في النطق الأربعة عشر التي أعلنها بعد الحرب العالمية الأولى، والتي ألهمت أحزاباً وفتية عديدة (منها) المؤقتين في الصين - والمؤثرين في الهند - والوفد في مصر - ثم سقط الحكم.

■ أيامها - عاجزاً عن تحقيق بشراء - لأن الولايات المتحدة أصبحت بعد مؤتمر فرساي - ولم تدخل عصبة الأمم مؤثره عربتها وراء الحيط. ومن أسمياها - هكذا قيل - أن الإمبراطوريات القديمة تستمد مدع جديد يجتدي يحقق لشعوب الأرض أمالها (و بعضها منها).

■ على أن أعلن ميلاق الأطلطي هذه المرة قدم عهداً دولياً من نوع مختلف. فهو ليس أمانياً رئيس أمريكى، وإنما الحكم هو القوة الأمريكية التي جاءت من وراء الحيط مرة أخرى ترفق أنوباً لتهالكه، وتعرض في «الحرية» شراكة بين كل شعوب الأرض.

■ وكان ميلاق الأطلطي مقدمة لاجتماع في «سان فرانسيسكو» مطوب منه صياغة لمبادئ وطام «الأمم المتحدة» المتصورة في الحرب ضد الازمة العالمية والعسكرية اليابانية (و معنا أيضاً كانت الإشارة الأهم في المرحم على أمريكا، وذلك بأن يوضع ميلاق الأمم المتحدة في سان فرانسيسكو غرب الولايات

المتحدة، ولي يكون مظهر الأمم المتحدة مدينة نيويورك شرق الولايات المتحدة). لكن الحظفة أن مصر لم تكن تستطيع الانضمام مع «الأمم المتحدة» المتصورة في مؤتمر «سان فرانسيسكو» لأنها ليست دولة مشاركة في الحرب. ولذلك فطريقها الوحيد أن «تعلن الحرب الآن على ألمانيا» - ويكون ذلك مجرد إجراء شكلي يضمن مقعداً لها في مؤتمر «سان فرانسيسكو».

■ كان «أحمد ماهر» (باشا) رئيس الوزراء متحمساً لإعلان الحرب من ناحية المبدأ (وكان ذلك رايه من قديم حثني عندما كان إعلان الحرب مخاطرة، واعتقاده أن الحرب تجربة ومدرسة لتحلتها مصر) - وآلان وإعلان الحرب مجرد استعارة يطلب الدخول إلى القاعة التي تجتمع فيها الأمم المتحدة في الحرب لكي تضع مخططاً متفقاً للدول بعد الحرب - أم أن قراراً في هذا الشأن يجب اتخاذه.

■ واللاخط أن الحكومة البريطانية لم تكن تعارض هذا التوجه، وحسابها أن الكلام زاد في مصر عن ضرورة تعديل معاهدة سنة ١٩٣٦. بسبب اقتراب الموعد المقرر لإعادة النظر في بعض مصولها، وهو عشر سنوات بعد توقيعها (في سنة ١٩١٦) - ولأجل لم يبق منه غير سنة واحدة، وهي مدة تكفي بالكاد لعملية التفاوض من أجل نصوص قايله.

■ والمجلس أن الحكومة البريطانية لم تكن تعارض هذا التوجه، وحسابها أن الكلام زاد في مصر عن ضرورة تعديل معاهدة سنة ١٩٣٦. بسبب اقتراب الموعد المقرر لإعادة النظر في بعض مصولها، وهو عشر سنوات بعد توقيعها (في سنة ١٩١٦) - ولأجل لم يبق منه غير سنة واحدة، وهي مدة تكفي بالكاد لعملية التفاوض من أجل نصوص قايله.

■ كان «أحمد ماهر» (باشا) رئيس الوزراء متحمساً لإعلان الحرب من ناحية المبدأ (وكان ذلك رايه من قديم حتى عندما كان إعلان الحرب مخاطرة، واعتقاده أن الحرب تجربة ومدرسة لتتاجها مصر).

■ والمجلس أن الحكومة البريطانية لم تكن تعارض هذا التوجه، وحسابها أن الكلام زاد في مصر عن ضرورة تعديل معاهدة سنة ١٩٣٦. بسبب اقتراب الموعد المقرر لإعادة النظر في بعض مصولها، وهو عشر سنوات بعد توقيعها (في سنة ١٩١٦) - ولأجل لم يبق منه غير سنة واحدة، وهي مدة تكفي بالكاد لعملية التفاوض من أجل نصوص قايله.

«روزفلت» وتشرشل - كان بادياً أن الشرق الأوسط أصبح ساحة من أهم ساحات المستقبل.

■ ما بين الساعة الخامسة والنصف وحتى الساعة من مساء يوم ١٧ فبراير، التقى رئيس الوزراء البريطاني الأشهر «ونستون تشرشل» - مع ملك مصر الشاب، وكان اجتماعهما في بيت الوزير البريطاني المقيم للشرق الأوسط (ايستلون الذي خلف اللورد موين بعد اغتياله قبل شهرين).

■ وهناك سجل لحضر اللقاء في محفوظات مجلس الوزراء البريطاني (يحمل رقم ٨٠١)، والمحضر يجرى على النحو التالي: تسجل مناقشة مع ملك مصر ورئيس الوزراء في بيت الوزير البريطاني المقيم.

■ القاهرة، الساعة ٥:٣٠ مساءً. ١٧ فبراير ١٩٤٥. الحضور من الجانب البريطاني: رئيس الوزراء «ونستون تشرشل» وزير الخارجية «التوني ايدن» سفير صاحب الجلالة البريطانية «الورد كيرن».

■ الحضور من الجانب المصري: (ملك مصر «فاروق» (الملك وجده بنون رئيس وزرائه أو رئيس ديوانه أو أي مراقق لتسجيل محضر القابلة).

■ بدأ رئيس الوزراء «(تشرشل)» اللقاء بملاحظة عن التغيير الوزاري الذي جرى أخيراً في مصر، وخرج به «مديبلنا» «النحاس» (باشا) ورد الملك «فاروق» قائلاً: «إن الوقت كان قد حان للتغيير» - وأنه لا حاجة لحكومة صاحب الجلالة البريطانية لكان التغيير ثم ميكراً. وأضاف ملك مصر: «إنه شخصياً كان يطمح لتغيير وزارة الوفد من أول يوم. ومن حسن الحظ أنه أعطى لك الحكومة حبل الصبر طويلاً» - وأنه كما توقع فإن تلك الحكومة شقت نفسها بهذا الحبل. أضاف الملك من باب التأكيد «تلك الحكومة انقشرت».

■ وتساءل رئيس الوزراء «(تشرشل)»: «هناك كلام من صاحب «النحاس» ويخص رملاته وهذا غير مقبول».

■ ورد الملك «فاروق» «إنهم متهمون بالاختانة، ولكنه ليس رايي في محاكمتهم بهذه التهمة. أضاف الملك أن لجان تحقيق برلمانية وقضائية وجدت أنه إجراماً ضدهم، وهو يرى أن متابعه ذلك إلى نهايته الطبيعية ليس عمله هو، ولكنه مسئولية الوزارة الجديدة».

■ ورد رئيس الوزراء محذراً «أن الحكومة البريطانية لا تقبل محاكمة «النحاس» - مهما كانت التهم - لأنه خدم بريطانيا العظمى في زمن أزمة».

■ أضاف رئيس الوزراء «إن هذا على أي حال ليس الموضوع الذي يريد تصحيح الواقع فيه، فقد مشكلة يمكن متابعتها بوسائل أخرى. انتقل رئيس الوزراء إلى المسألة المهمة

## وقال الملك «فاروق» إنه سيخشي

أن إعلان مصر الحرب يعد صاعداً

انتهت تقريبا وانقصر الحلفاء

وانهزم أعداؤهم، يمكن أن

يعطى انطباعاً سيئاً

أحمد ماهر



أحمد ماهر

تلقية بقلبه القارية وتتمه بتفصيل الفتاوى على هوى الطامنين، ولم يكن ذلك دقيقاً بلباس ما هو باقي من أعمال الرجل) - كان «عبد الحميد بن بوشى» (باشا) كما يبدو من عدة مذكراته وتوصياته إلى رؤساء الوزراء المصرية قدامه قانونية لائسفة في لفرتها على تفاصيل الموضوعات وعرضها، وإساءة المنطق وترتيبه، واقتراح المجلس وبياناته، وكشف معلومات رئاسة مجلس الوزراء عن مذكرات بتاريخ ١٨ فبراير ١٩٤٥، قدمها «عبد الحميد بن بوشى» (باشا) إلى رئيس الوزراء أحمد ماهر (باشا)، وفي هذه المذكرة يحدد «عبد الحميد بن بوشى» مصاراً واضحاً، قانونياً وسياسياً يتولى خطى مصلته.

(أولها ضرورة أن تكون مصر طرفاً فاعلاً في تأسيس النظام الدولي الجديد الذى تنشئه الأمم المتحدة، وإذا كان ذلك يقضى أن تقوم مصر بإعلان الحرب على ألمانيا، فإن «بن بوشى» (باشا) يرى أن مصر حاربت فعلاً، وإن «أوربها وإمكاناتها شاركت في الحركة رغم غياب قوات مسلحة لها على الأرض، والمنطق أن خلداء أى حرب منظمة لأهداف التحالف دون إعطاء كل جدهم لخمسة أهداف التحالف دون التفكير عنصر بالذات من عناصر السياسة كالمساح أو غير، ولهذا فإن مصر حتى رغم تشهرها في إعلان الحرب - فإنها استوفت تشهرها، وعلى هذا الأساس كانت فتوى «عبد الحميد بن بوشى»

المتعلقة بانضمام مصر إلى الأمم المتحدة، وأدى إلى الحكومة البريطانية لتمانع في قبول مصر عضواً مشتركاً في الأمم المتحدة، وعضواً مؤسسا في هذه الهيئة التي تضم الأساس لمسلم عالمي.

قال رئيس الوزراء «أن مصر في الواقع تستحق ذلك المخالفة لجهودها في الحرب، مع أنها لم تدخلها رسمياً، وأن لا يعد هناك خطر في استكمال الشكل وإعلان الحرب رسمياً حتى تتسكن الحكومة المصرية من استسياء المواصفات المطلوبة للأمم المتحدة.

وقال الملك «فاروق»، إنه يخشى أن إعلان مصر الحرب بعدما انتهت تقريبا وانقصر الحلفاء وانهمز أعداؤهم، يمكن أن يعطى انطباعاً سيئاً، وافق الملك ذلك عداً على أن يتركها سوف تفلح نفس الشيء، وهي كحال مصر لم تدخل الحرب من قبل، أضاف الملك «أن مصر يمكن أن تنصرف بين تركيبتها، وكذلك مثل السعودية التي أبلغه ملكها «عبد العزيز» أنهم سوف يفلتوا الحرب ليكون لهم حق دخول الأمم المتحدة.

قال رئيس الوزراء ملك مصر «إنه سوف يقرر وزير الخارجية «انتوني إدين» يترقب التفاصيل مع رئيس الوزراء المصري «أحمد ماهر».

قال رئيس الوزراء «ونستون تشرشل» ملك مصر:

«أريد أن أذكر - بما لفته لك مرات من قبل - أبلغ عليه خبره لخمسة اليوم وهو أن لديك فرصة لأخذ الأخيرة شديدة، وذلك في كل الأحوال وأحياناً، إن أحوال الشعب المصري تتأدى من يستطيع تحسينها، يعني هناك في العالم كله مثير لهذا التناقض الواقع في مصر بين غنى ذات وظرف مدقع.

كرر رئيس الوزراء هذه المخالفة مؤكداً أن الشعب المصري في حاجة ماسة إلى من يخدمه، قال الملك «فاروق» إنه يحمل هذا الهدف في قلبه، لكنه مضطر أن يعمل من خلال الوزارة.

لاحظ رئيس الوزراء أن «كلاً من مصر والنهذ لديها عدد بريطانيا أرصفة إستراتيجية مقابل خدمات قدمت للمجهود الحربي، ومع أن المجهود الحربي البريطاني انقلد كلاً من مصر والنهذ، فإن رئيس الوزراء يرى جواز مناقشة هذه المسألة.

لم يعط الملك «فاروق» على ذلك، ثم قال ملك مصر إنه يأسف أن رئيس الوزراء (بريطاني) ليس لديه وقت كاف في مصر، حتى يرى كيف يرحب به الشعب المصري، وأنه (كان يرغب في إقامة حفل رسمي كبير في القصر الملكي بمناسبة مقام «تشرشل» ورد رئيس الوزراء في الفرة القادمة - ريماء.



وراء الستار في تلك الفترة المفعمة بالشكوك وأسباب التردد كان هناك رجل يتحدر، رغم أن دوره يكاد يندثر وسط ركاب الماضي، وهذا الرجل هو القبطي القاتوني «عبد الحميد بن بوشى» (باشا) رئيس قلم قضايا الحكومة، (وكانت اختصاصه الشيعية في مصر

تحقيق هدف مستقبلي شديد الأهمية، وهنا كان مستقبلياً أن تحيى المعارضة له من جانب حزب الوفد.

وكانت حجج الوفد كما جاءت في مذكرة رسمية أعدها وقدمها (للسفارة البريطانية أيضاً) «أن إعلان مصر الحرب على بريطانيا لتضحيات جسيمة في الرجال والأموال وإلى مدى لا يعلم إلا الله مداه»، وأن بريطانيا وعدت مصر بمصهور مؤتمر الصلح بعد الحرب مقابل خدمات جليلة أدتها أثناء الحرب للجحيف البريطاني والحلفاء الديمقراطيين، وتأسيساً على هذا الوعد فإن مصر لها الحق أن تنحصر مؤتمر دسار فرانسكو، دون إعلان للحرب يكلفها غالياً، ومع أن «الوفد» يعرف أن الجزء الأصعب من الحرب قد انقضى، فإن المرحلة الباقية خطيرة على مصر من حيث إنها سوف تؤدي إلى دمج جيشها في جيش الحلفاء ووضعه تحت إمرته قادته، كما أن أسطولها البحري في البحر يمكن إغراقه بالفتاوى، كما أنها قد تصبح مطالبية بولي عاملة ومساعدة للمحليات، وإذا لم يتم هذا فإنها لن تبيث بقوات وأسلحة وعتاد وتدخل تشارت في حروب هجومية، وأضلاً عن ذلك لن قيام جماعة الإخوان المسلمين، واضطربت الخواطر في مصر بين فريق يرى الأمر قاطراً بحيث لا يتساحل إلى غناء، وبين فريق آخر يشكك ويتفوق، وبالتالي يخاف من وحدها.

ويوم ٢٤ فبراير ١٩٤٥ كان مجلس النواب مدعوا لإجتماع استثنائي يرضى فيه رئيس الوزراء «أحمد ماهر» قرار إعلان الحرب حتى يتفق معه فقهو موقفه البرلماني عليه واتحدت، «أحمد ماهر» (باشا) شارح وجهة نظره أمام قاعة مشحونة بالأعضاء، وباشاع: ثم خرج بعد الجلسة يلتقي بواب حزبه، وفيما هو يمر باليهو الفرعوني، تقدم منه شاب بعد يده إليه مصباحاً، وفن رئيس الوزراء أن انشأب نائب لا يعرفه، أو موظف في المجلس بجيبه، أو ضيف من شرفات الزوار جاء إلى اليسهو الفرعوني وكذلك قدم يده، مع تلك اللحظة كان الشاب وهو «عمود الفتوى» يسحب (من جيبه سمكساً ويحمله «أحمد ماهر» باشا) ببطاقات رصاص تريبية قتلاً على الفور

وكان «عمود الفتوى» شاباً متحمساً تنورع والعضد ما بين الحزب الوطني وجماعة الإخوان المسلمين.

وكانت تلك هي الرصاصية الثانية بعد رصاصية الأولى التي قُتل «السور» «موين» -

وبين الرصاصتين ثلاثة مشهور لا يدرى

وكانت تلك هي الرصاصية الثانية بعد رصاصية الأولى التي قُتل «السور» «موين» - وبين الرصاصتين ثلاثة مشهور لا يدرى

وكانت تلك هي الرصاصية الثانية بعد رصاصية الأولى التي قُتل «السور» «موين» - وبين الرصاصتين ثلاثة مشهور لا يدرى



## الرصاصات الثلاثة

### أميرين عثمانيين

يناير ١٩٢٦

مصريا يطمح للمشاركة في تنظيم عالم بعد الحرب، ثم وفاء لزعيم السعديين الذي اتخذ الإجراء اللازم حتى تكون مصر ضمن الأمم المتحدة، وهو (إبراهيم إيلان الحرب) ثم تلقى الرصاص في صدره!

● ثم هذه هي المهمة الثانية، الإعداد لمفاوضات مع الحكومة البريطانية في شأن إعادة النظر في معاهدة سنة ١٩٣٦ (وهو موعد سنة ١٩١٦) - وهذا فإن «عبد الحميد بدوي» (باشا) راح يؤسس لواقع ثلاث فئمة للسياسة المصرية سنوات طويلة، فقد كان رايه أن أي تعديل لمعاهدة سنة ١٩٣٦ لابد أن يأخذ في اعتباره عنصرين:

● عام جديد تنشأه الأمم المتحدة ويحكمه مبدأها - ومصر عضو مؤسس في الائتلاف والنظام والائتلاف

● - ولإبراهيم إيلان من ترتيب شونه على أساس روابط مشتركة تجمع بين أطرافه - وجامعة الدول العربية هي الشكل الراهن لطبقات الإقليم وضمنها أمته المشتركة

وفي أسابيع قليلة استطاع «عبد الحميد بدوي» (باشا) تشكيل مجموعة من أفضل قوات مصر القانونية، وفننه أن المخاض الحصري يحتاج إلى قاعدة عملية يتكئ عليها في وقت نقض فيه معاصريه، ولعل المشتبه الوحيدة كانت لـ «بدوي» (باشا) بتأليب

وها نحن رأينا نتائجها في المجتال - أحمد ماهر».

وفي تقرير لاحق في نفس اليوم كتب اللورد «كيلرن»، «وجدت لزما أن أحضر «التقراشي» من أي تفكير في محاكمة «النحاس»، فلست أريد أن يتخذ خطوة في الانجذاب الخطأ لم معتذر عن الخطأ بأنه لم يعرف بما كان بيننا وبين سلطه من اتفاقات، وقمت بإقفل طلب مقاتلته وإخفائه، أن موضوع محاكمة «النحاس» (باشا) - ليس مطروحا على الملأ، وهذا تعهد أخذه من «أحمد ماهر» (باشا) وألف «فاروق» على علم به، وكعدنا رئيس وزراء المملكة المتحدة «وستون تشرشل».



ويمقدار ما كان اختيار «التقراشي» لحلافة «أحمد ماهر» ضرورة ظروف - فإن مهام «التقراشي» كانت بنقش ضرورية الظروف استنادا لشواغل «أحمد ماهر» وأولها ما محده «عبد الحميد بدوي» (باشا)

● الإعداد لمؤتمر سان فرانسيسكو حيث يوضع مبدأ الأمم المتحدة، ولأن كانت تلك المهمة التي أعطي «أحمد ماهر» (باشا) حياتها لتخفيفها، الدراما مضاعفا باعتداده مطلبيا

٢٥ فور اغتيال «أحمد ماهر» كان احباط خذل له نقشة محسومة، فلم يكن على الساحة عدلا وعاطفة، حيايا آخر غير تكليف نائبه «محمود فهمي النقراشي» (باشا) وفي الواقع - ماها كانت نفس وراة «أحمد ماهر» - و«التقراشي» (باشا) على رأسها بدلا منه ووجد رئيس الوزراء الجديد نفسه في وضع شديد الصعوبة، فالملك «فاروق» لا يفهمه، ثم إن السفير البريطاني صديق الصدر به وقد وصفه في تقاريره وأكثر من مرة، إنه «عقيد إلى حد العمياء وضيق الأفق إلى حد التعصب، بل إن السير «رونالد كامبل» (وهو وقتها وكيل الوزارة المسئول عن الشرق الأوسط) - كتب إلى وزير الخارجية الحداد يقول، «إن إرمدا إلى نفهم «التقراشي» - مألدا من مؤسرا دائما سميته، فقد كان في الأصل مستعصبا ولا يزال حتى الآن يتصرف مع مجلس وزرائه ومع موظفي الدولة كما يفعل مدرسة».

يضيف «رونالد كامبل» «أن «التقراشي» بعد الانسحاب للاندراج انصر إلى الحركة الثورية المصرية، وشرك في العمليات السرية لمقاومة «وجودنا» في مصر وبينها عملية اغتيال السفير في سنكاف، مغشش الجيش المصري لكن «التقراشي» الآن وفي رغبته لتناهم معنا شيئا أنه شارك في اغتيال السفير على رأسه، ونحن لا نلقن أنه أصعد إلى مصر وسوريه، لكنه كان ضامعا في التحضير والتخطيط حوادث الشغب التي جرت في تلك الفترة والسمعة الشخصية للرجل غبية، فهو لا يباين ولا يدب في أي سياق الحيل مثل سلطه وهو رجل مستقيم في علاقاته العائلية ولم يحدث أن أثير شبح حول ذمته المالية، وإن كان «أمين عثمان» قد مره «إن الرجل أمين لأه» لا يعرف كيف تكون الوسائل إلى شيء آخر».

وعندما ذهب السفير البريطاني إلى بيت «أحمد ماهر» ليعزي إسرته بعد ساعات من اغتياله، كان الملك «فاروق» هناك أيضا يعزي الأسرة، وكذلك كان «التقراشي» الذي استوثق إليه المقادير الزرد، كما كان هناك «مكرم عبيد» (باشا) الذي لم يكن راضيا من أول لحظة عن اختيار «التقراشي» (باشا) لرئاسة الوزارة فتأثير رؤاسته قديمة عندما كان كاهها في حرب اللوكة قبل خروج السعديين برئاسة «أحمد ماهر» - وقبل اشتقاق «مكرم عبيد» (باشا) والكلمة المحذفة.

وروي السفير البريطاني في تقرير له إلى لندن، «أن «مكرم عبيد» (باشا) كان ثائر الاعصاب، وقد قيل للسفير البريطاني «أن «محمود الميمسوي» - «قاتل «أحمد ماهر» (باشا)» - «عرف من مذابة التحقيق أن هناك عشرين ضامعا تمتعوا بمؤسساتهم، وسوف يرفعون مظالمها في غضون أسابيع سويسا مسعسريا إذا هم تردوا في هذه اللحظة أو لمعاغوا».

ويذكر اللورد «كيلرن» في نفس التقرير «أن «مكرم» (باشا) أثار ألامه - وهي ذلك الموقف صرورة محاكمة «النحاس» (باشا) - هاللا - هناك لجنة تحقيق فرغت من جمع الوثائق والوثائق وأراد من تحويل تقريرها إلى مجلس الشوا للتصرف فيه، إن الملك لا يقبل المبيعة.

تجربته، جعل الحقوق مجال المعركة، والقانون الدولي سلاحها، وشجعته أن رئيس الوزراء الجديد مدرس سابق، يريد أن يفسط الأمور بحزم في فصل من التلامذة المشافين، وكذلك راح يأخذ الأمور جدا.

وفي ظرف شهرين يتولى أمر الاتصالات بين نفسه يسال «عبد الفتاح عمرو» (باشا) الذي جاءه إلى القاهرة يتولى أمر الاتصالات بين القصر والسفارة بسبب مرض رئيس الديون «أحمد حسنين» (باشا) - هاللا - يظهر أننا غلطا باختيار «التقراشي» لكنه لم يكن أممنا غير».

ثم ذكر الملك «فاروق» لعمره (باشا) واقعة مهمة (ترد إشارة غامضة لها في الوثائق البريطانية)، ومضى هذه الواقعة «أنه عندما كان «تشيرشل» في مصر قبل شهرين (وفي اغتيال مؤتمرا بإيطاليا، وقبل اغتيال «أحمد ماهر»)، أخذ (الملك فاروق) «تشيرشل» على جنب وقال له ما مؤداه «أنه ليس هناك داع وذلك كله (من وجهة نظر الملك) مسلسل إخطاء لابد أن يتوقف، وهو الآن يطلب فرصة يراها أمام مصر على مسئولياته عدة أشهر سنوات، ثم حاسبونه بعدها، وقال الملك لعمره (باشا) ما مؤداه «أن «تشيرشل» وافق على إعطائه يدا طليقة لخمس سنوات» - وطليقا لرواية «عمرو» (باشا) (مسجلة بصوته) يستطرد الملك ما مؤداه «أنه أخذ الأمور على مسئولياته» - ولأن وبعد اغتيال «أحمد ماهر» لم يكن أمامه غير «التقراشي» - وقد عينه رئيسا للوزراء، لكن الرجل جليل حتى دون أن يلصق على وضعه في «خباله» مع «الإنجليز» - ويستطرد الملك «فاروق» طبيا لرواية «أنني أول من يريد أن يتخاضع مع الإنجليز، ولكن الختاف معهم يجب أن يكون -! مشطرا! «ضيف» (باشا) الذي لم يضي من السنوات الخمس التي طليتها عدة شهور قليلة، لكني الآن «فقت» من إمكان عمل شيء».

في ذلك الوقت كتب القسم المصري في وزارة الخارجية البريطانية مذكرة كلوزيمر جاء فيها بالنص، «يصرف النظر عن كل محاولات القومية التي يقوم بها المصريون لأن طريقتهم تبدو واضحة من خلال الندوات التي تليها في محال القاهرة، فهم يريدون ما يلي:

- حلا كل جندي أجنبي من مصر.
- سيطرة مصرية كاملة على قناة السويس.
- وحدة أو اتحاد مع السودان.

والذي يزعمه بعض القانونيين المصريين (إشارة إلى بدوي باشا) أن ذلك كله يتسق مع إعلان الائتلاف مع مجموعة المبادئ التي توجه مؤتمر سان فرانسيسكو المكلف بوضع ميثاق الأمم المتحدة - وفي ذلك فإن المصريين لا يردون محقق الحداية الأوروبية، وعلى سبيل

في لحظة من خريف سنة ١٩٤٥ بدأ أن اللويد «كيلين»  
يقترح صودة النحاس (باشا) و«الوفد»  
إلى الحكم، ولو أدى الأمر إلى تدخل  
أخبر بالديابات، ولم تكن  
لنندين مسعدة

«التقراشي» (باشا) «ليس رجل اسباعه..  
بعض الوقت بدا أن الملك «فاروق» يراجع  
لقلته إلى انه على استعداد لتغيير «التقراشي»  
كسنة لا يريد أن يذهب «التقراشي» لكي يجيء  
«الحساس». وفي نفس الوقت فإن نشاط «أفيم»  
«نماني» يزيد. ولماحت وزارة الخارجية في  
مبنى (مومغارفي في استانبول) «التقراشي» إلى  
الورد «بولس» ويشتك على تضييع التوازن الضروري  
سفير صاحب الجلالة البريطانية في مصر،  
إذ انه عاد إلى تكرار عدم صلاحية «فاروق» لدور  
«نماني».

من إخفاقة من حريف سنة ١٩٤٥ م  
للورد «كيلين» وزير الخارجية، والجنرال (بامبا)  
«الرومي»، الذي يلقب بـ «الملك» ولدى الأمر إلى تدخل  
القوات البريطانية، ولكن لم تنجح مستند.

وباستجابة لحفظه أن هذه المسألة جرى  
سؤال وزير الخارجية العملي العمل عليها  
بما دعا متعلقة بالتحرك المصري، وطلعت إلى  
تقرير من القاهرة عن الاستعدادات الجارية  
للتحالف مع مصر بعد ذلك كان بريطانيا،  
إلى التأكيد أن هذه الاحتفالات كان بين  
أهمها عنصر عسكري خرج إلى العلن  
والبريطانية من تكتلات بين الجيش والبحور  
تتقدمه العمل البريطاني أما السفير البريطاني  
في القاهرة «جيمس» في صفتة بعد إعلان أسطول  
مصري البحري (الآن) ليقتني عدة القوات  
ملازم (صاحب الأبنية) وفي هذه القوات  
البحرية الجديدة بالبحر ومراكب وأر  
الجارية «البريطانية» (تدخل العمل التكتلي  
«جيمس» (في) من خلال هذا الاستعراض  
استمرز شعار الشعب المصري، وبالتالي  
أصبح شعار الخطر البريطاني، في القاهرة  
بذلك، والتشويق مع رئاسة إركان البحري  
البريطانية بإفلاحة الاستعراض البريطاني  
في ساحة ميدان عام في قلب القاهرة، وكان  
في استعراض، فاضل بإجراء هذا  
الاحتفالات وليس كالحال، وإن لم تكن  
منااسبة لإفلاحة يمكن نقل الاحتفال إلى نادي

١٥

وكانت تلك إشارة مشجعة، وفسرها الملك على أنها بداية عهد جديد، تقبّع فيه القوة البريطانية داخل حدودها. وعاودت الملك تشارت القديمة وظفنه أن الوقت مناسب الآن للرد عليها،

ويوم ٥ يناير ١٩٤٦ وفي شارع عدلي، كان الحرس الحديدى لملك «فاروق» يرتب لأغتيال «أمين عثمان» (ناشأ) بواسطة مجموعة قتل يقودها الدكتور «ياسر» «أنور السادات».

وحيث عرف وزير الخارجية البريطاني «روست بيغن» بحملات اعتقال «أمين غماني» (باشا)، كل تعليم في اجتماع أمام لجنة الأمن الإمبراطوري العليا يوم ١٠ يناير، كان قوله «إنني عاجز عن تصور أحد رجل هو الرئيس الأعلى للدولة في بلاده يقتل أبه وهو أبولته مع عاز، سياسي، يقتل أبه ك شخص»

وكانت موازغ الانتقام القوي - وكان صوت  
الرصاص في القاهرة - مرة



من عثمان

للعسكري بين مصر وبريطانيا (وهو على عكس  
لثبوت السياسة في المعاهدة ليس قابلاً  
للتعديل) - وفوق ذلك ما يتربد حول قاعدة قناة  
للسويس، ومستقبل القناة داتها!

ويجىء اللورد «أين بروك» وليس أركسان  
حرب الإمبراطورية إلى مصر - بمقابل الملك  
فاروق» - ويشرح له «حقوق القوة في هذا  
العالم، بصرف النظر عن المواقف السياسية  
أعلانات الملك» وعلمية تأسيس الأمم المتحدة  
لحماية الآن في «بيان باريس» .

ويقابل النور المارshall «آلان بروك» أيضا  
رئيس الوزراء «محمود فهمي النقراشي»  
(أشبا) ومشرح له.

لكن المفاجأة أن «أمين عثمان» (باشا) بايع  
السلطان البيروماني أنه يريد لقاء مع رئيس أركان  
السياسة الإيطالية ويعرض عليه وجهة نظر  
«الحساس» في الوقت، لأن المارشال بايع على  
بستنجين أن يقابل رئيس الوفد. لكن «الآن  
بورك» يعتقد أن الأمر لا يزيد التطوير في  
تشنون الداخلية الفصية (رغم أنه من الملك  
فاروق) أشار إلى ضرورة استبعاد فكرة  
محكمة «الحساس» (باشا). إن ذلك يؤدي إلى  
فشل في الداخل تؤثر على التوازن العسكري  
مع مصر كلها.

ولم تكن مهمة المارشال «آلان بروك» تنتهي،  
حتى غرّبت بعهمة قام بها ماريشال آخر هو  
المارشال «سيفتس» وهو السياسي الأقوى

نموذجاً في جنوب أفريقيا، وكان يعتبر في تلك الأيام من دعامات الإمبراطورية. وجاء المارشال «سمطس» إلى القاهرة وقابل الملك وقابل «الفراسي» ليقول لثلاثين: «إن تحقيق الوحدة المصرية يحتاج إلى إدخال إصلاحات اجتماعية على أوضاع الناس في مصر أكثر مما يحتاج إلى إخراج القوات البريطانية منها».

كان أمين عثمان، مازال مختبر وفلحة أن الحكومة البريطانية قد سمحوا ببعضها من بعض في العراق، وأنها الآن جاهزة للرد على نوع ما حتى لا تفلت الأمور إلى أيدي ما يمكن السيطرة عليه، وسيسجل اللورد، كيرلن، في تقريره إلى وزارة الخارجية البريطانية (رقم ١٦٦٦) ما حصله: قول أمين عثمان: «الخصائص» الإسكندنافية، فيقال إن الـ «الخصائص» (باشا) مسلم بالقل، للأوروبي في مصر تتحرك بنما أو غير بعيد، وقد يخشى الآن الخطة سوف يتفاد أن لا يتفادها، ولأن العراق في الوقت الأخير أصبح له تدويل معاهدة سنة ١٩٣٢، وتقدير «الخصائص» المطلوبة على الحكومة العراقية كإسوة لها بغيره بغيره، وهو يعرف قلنا أنه كان رئيس الحكومة الوطنية العراقية، فيضاف سنة ١٩٣٥، وهو الذي وقع على المعاهدة، وأن فإن المسائل المطروحة للبحث هي: هو: بعد انعكاس العسكرية وما حصل بها (هو: بعد انعكاس الانعكاس لضعافهم)، ثم مشكلة السودان، ويوضح أمين عثمان، وتسجيل التقارير: أن «الخصائص» (باشا) لا يهمل مشكلة، والحقبة إن السودان لا يهمل أن لا يهمل بل إن السودان الآن المصلحة جديدة، ينبغي عدم ذلك مشكلة الحلاقة الإسرائيلية، هي: مشكلة يمكن الاتفاق عليها مع السانكون التي قد تدر عليه بعد، والخصائص، وأما (لورد كيرلن)، وديان اللورد التي ناقشا بها هذا الأمر سنة ١٩٣٦.

وبدا اللورد «كيلرن» يجمع في تصوراتهِ،  
خصوصاً وقد علت أصوات تقول أن

حسين عرف وزير الخارجية البريطاني

آذینست و بیفتد، و خافیات اغتیا، آمن عثمان، (باشا)،

كان تعليقه في اجتماع أمام لجنة الأمن الإمبراطوري

العليا، إنتى عاجز عن تصور قيام رجل هو الرئيس  
الأول للدولة فى بلادنا وقتنا، أحمل مواطنة، دولته

مذہب اور ادب کے بارے میں آج کے دور کی ایک شخصیت

لنل الفهم لا يعرفون أن مصر لا تستطيع أن تدافع عن نفسها لأنك يحتاج إلى موارد لا تدافع على احتمالاتها. والحقيقة أن طرنا عصريا  
ستحتاج تحويل القاهرة إلى ركام، بالإضافة  
في ذلك فإن العالم لن يسمح لمصر بأن تكون  
مسئولة عن قناة السويس بسبب واضح، وهو  
أن إدارة القناة موضوع لا يخطر في حلم أحد أن  
تدافع عن موطئ قدمها».

ويتوجه السفير البريطاني اللورد «كيلرن» يقابل رئيس الوزراء «محمود فهمي منقرشي» (ياشا) ثم يكتب تقريراً إلى لندن رقم ٧٢/١١٦ - ١٧ مارس ١٩٤٥). يعرض فيه وثائق اللقاء لمقول:

«تكررت رئيس الوزراء الذي اتحدت إليه»  
 «أنا بغير غمعات من لندن، لكني قررت  
 عدم التفكير بعد بصوت لـ merely  
 aloud thinking قلت له «لنا نسمع كثيرا»  
 «بصوتهم» «الأممية الوطنية المصرية»  
 «أعرف بالضبط ماذا تقولون» «وأما تعرفون  
 من قبل في الدنيا بما في ذلك خاتمي الحرب  
 «إن دخل صوم القوي إن هو في حدود  
 8 مليون جنيه» «إن من هذا الشخص  
 الكمال للدفاع عن مصر ما كفي» «المستوطنون  
 صيرون لا يحسن لهم إن ينساقوا وراء كلمات  
 «مؤنة» «الحقيقة»

ولم يخلق «المقراشي» علي ما قلت مباشرة لا يبدو لي أنه يعرف ما فيه الكفاية لكي يخوض في مناقشة مفيدة، وحاولت أن ألفت ظنهم إلي أن «الشعارات» لا يمكن أن تكون في حد ذاتها «سياسة»، لكنني أشك أن في مقدور أحد حل أن يفهم أكثر مما تسمح به ملكاته!

لم تكن دور إمام علي هذا الحديث حثي  
سجل الحديث البيهقي (ج ١ / ١٢٨) لقاء  
«الحسين السري» (أبو) رئيس الوزراء  
سابق (حتى يوم ٤ فبراير ١٩٤٦) في  
السياسة البيهقاني للورد «كينز» وفي تقريره  
في اللقاء يوم الثلاثاء «كينز» بالحرف:  
«إن «سري» (باشا) مستخدم من الأوضاع  
الحضائية، وإليه أن يلتفتوا» - رجل جليل القدر  
- يصلح أن يصبح رئيساً للوزراء» - وبني  
يقصد بعد الحديث بنوي (باشا) - يلقى وراه  
في خطوته في يوم أسوة من - ومكرم عبده  
يومه في الم - والشرع في القول.

وفي رأي «سري» (باشا) أن الوزارة الحالية غير قادرة على البقاء أكثر من ثلاثة أشهر. «يضيف «سري» (باشا) أنه على تمام الاقتناع بأن البلد في شفاهاة الحكومة لبرلمانية، وليس هناك بد من تأجيل البرلمان إلى كامله على الأقل حتى إذا كان ذلك تعطيلا لدستور، لكن المشكلة أن الملك ليس مقررنا، فهو في شهر يتعامل معه (مع سري باشا) بمصديق، وفي الشهر التالي يتعامل معه

ومشير وثائق رئاسة الوزارة في بريطانيا  
من رئاسة أركان الحرب الإمبراطورية أصبحت  
مشغولة بكل هذه «النشوء» التي تدور في



## الرصاصات الرابعة:

### سليم زكي

ديسمبر ١٩٤٧

جديدة كان مرشحها له هو «إسماعيل صدقي» (باشا).



وفي الوقت الذي كلف به «صدقي» (باشا) بتشكيل الوزارة، وشكلها فعلا يوم ١٧ فبراير ١٩٤٩ - ذهب «القرناشي» إلى بيته مسهوبا مروراً، ولم يرض بومان - حتى كان ذلك الكاردينال المكي (أحمد محمد حسين) (باشا) يلقي مسمرة (١٩ فبراير ١٩٤٩) عندما اصطلحت مسيارته مع ناقلة جنود بريطانيين فوق كوبري قصر عابدين وكان نائبير عياد «أحمد حسين» (باشا) هلالا على الملك «فاروق»، وعلى نحو ما فإن هذا البلاط حور ملك مصر من عقد غارة في الأملاك، ومن قيود تحد انتفاضة، فهو بعد «حسين» بغير «رأه» يرى له الناس قائداً عليه - وبخبر «زوج أم» خان وأده واحتسب باللقبة «منازلي» - وبغير رئيس ديوان يقرر موعداً في البلاط يشير إلى حاله أو سمعها من الخديفة (البرقي) وكان رئيس الوزراء الجديد شخصية غير عادية، والبرج (وهو) من مؤسسي حزب الوفد القادسي والخارجين عليه (مكر) - شديد النكاه،

تعود إلى يعاقب تلاميذه في الفصل كان يضرهم بمسطرة، لكنه لا يضرهم بمسدس. وكان «القرناشي» حائراً فيما ينبغي أن يكون عليه موقفه، فهو يتصور أمامه مهاد وطيدة - فيها أن مؤتمر «سان فرانسيسكو» يواصل أعماله لوضع ميثاق الأمم المتحدة، والوفد المصري هناك تحت الرئاسة الفعلية لعبد الحميد بدوي (باشا) يشارك بجهد مؤثر في صياغة الميثاق، خصوصاً فيما يتعلق بالشؤون التي يمكن كسالتها للدول الصغرى.

- وفيها أن هناك استعداداً للتمهيد لخافضات مع الإنجليز تستهدف تعديل معاهدة سنة ١٩٣٦ - على نحو القوي في تحقيق ما أصبح يطلق عليه «الرابطة العونية» - على أن الملك «فاروق» أعلى رئيس وزرائه من التردد، لأن الكاردينال المكي النفع بانه لا يستطيع أن يتحمل مشكلتين في نفس الوقت مع الإنجليز.

● مشكلة «أمين عثمان» (باشا) - كما سماها (دون أن يصحح بها هو لكثير) ● ثم تشدد «القرناشي» الذي يوشك على غضاب الإنجليز (بما يجعل أزمة اغتيال «أمين عثمان» مضاعفة)، ● وبالل في رايه: أن يشرح «القرناشي» لتغطية اغتيال «أمين عثمان» وأن تجيء وزارة

■ كان اغتيال «أمين عثمان» (باشا) بداية داعيات لمعها لم تحضر مبال الملك «فاروق»، وهو يعطي للدكتور «يوسف رشاد» (طبيبه الخاص وممثل الحرس الحديدي في شكله الهجومي المستجدة) - إشارة اليد في تنفيذ عمليات الانتقام المسلح من خصومه، وأن تكون التجربة الأولى ضد «أمين عثمان» (باشا) بالذات - فهو فضلا عن الكاردينال القديم (٤ فبراير ١٩٤٢) يريد إزاحته عن المساحة الآن، لأنه يتحرك بنشاط وإن عرصة إعادة «الحساس» (باشا) إلى الحكم مع وزارة وافية، حتى وإن وفد رأى الملك «فاروق» أن يسبق المواعيد ويهرب ولو إنه انتقل قبلاً لعرف أن محاولات اللورد «كيلرن» لا تجد في لندن الآن - خصوصاً في عهد حكومة عمال جاءت بها الانتخابات العامة في بريطانيا - مسوقاً مؤيداً أو مستعداً لتأييد، والحليفان أن وزير الخارجية العمالي الجديد «ارنست بيغن» كان قد تمتدح قراراً بالفعل بأن اللورد «كيلرن» استهلك عدة صلاحيته في مصر، لأنه تفرق في عدوانته الخاصة ومدافاته الخاصة، وتلك أفة الاسراء دائما عندما تظل خدمتهم في موقع، وتكون دولهم صاحبة نفوذ عملياً حيث يخدمون، وتلك تقابل نقل اللورد «كيلرن» من القاهرة إلى منصب آخر في جنوب إفريقيا).

على أنه حين ضرب الملك «فاروق» بسلاح الحرس الحديدي «أمين عثمان» (باشا) مصر جاء بهم (والأمر فاروق) في بشارع وسط القاهرة - فإن السير لم يعد خافياً على رجلين من الرب الأبيض.

● أولهما: رئيس ديوانه (ووالده أيام الصبا وزوج أمه وقت الشباب)، أحمد محمد حسين» (باشا) - وكان «حسين» على علم بوجود الحرس الحديدي بالاطمئنان لأنه كان في إطار خفائه (الاساسية للتفاد من ٤ فبراير ١٩٤٢ على طريقه) - «الملك دق» صوتت كريستو، حسب تعبير الملك فاروق، ومع أن «حسين» - شحرن أن ينزل الدكتور «يوسف رشاد» إلى الدائرة القريبة من الملك، تظنة محول لابد من متابعتها بأهتام - إلا أن رئيس الديوان لم يتوقع أن «تتدرج» المسائل بهذه السرعة - وقد أدرك «حسين» (باشا) حتى قبل أن يتحقق من الوقائع - ويحرجه علمه «أمين عثمان» أن اصابع الملك «فاروق» كانت في أيدي ضففت على الرماة، ونوقع أن يعرف الإنجليز، ونوقع أنه سوف تترقب على ما جرى مضاعفات، على أن «حسين» (باشا) لم يشعر ليرى هذه المضاعفات.

● وما الرجل الثاني الذي عرف هو رئيس الوزراء «محمود فهمي القرناشي» (باشا)، وقد تآمرت مفرقه أماماً حتى أحسن أن تصرفات الدوايس والنيابة العامة في قضية مقتل «أمين عثمان» (باشا) - تتعرض لضغوط محسوسة، كما أن الإعلام الحربي للفرص (وفي طبيعته صفح أخبار اليوم) راج يحول القضية إلى نوع من «الاند رعاها العلية» (حسب تعبير اسمه «حسن يوسف» (باشا) إلى «القرناشي» (باشا)) ولم يكن رئيس وزراء الملك «عبد أمين عثمان» بل إنه يكرهه، فقد ذلك «مجرس القديم» الذي

واسع الطموح، قوى الأعصاب، قادر على المناورة وعلى الغسوة، وغير مفيد بشعبيته تحكم تصرفاته، خصوصاً إذا رأى العام الذي اعتبره «صدي صوت رعا»؛

ومع ذلك فقد كانت لصدقي (باشا) نقاط ضعف خطيرة، فمعرفة الرجل بشئون الاقتصاد، شأها اهتماماً زائد بشؤون المال، ثم إن الرجل كانت له عين تلح الجمل وتنقلبه، والمثقلة أن معقته كان جمالياً يهودياً، وذلك وضعه في دائرة علاقات اجتماعية تغطيها الفلال (وإن كان لابد من ملاحظة أن الوثائق البريطانية والفرنسية والإسرائيلية أن يرد فيها ما يدعى أحد إلى انقطاع نان عائلة «صدقي» (باشا) مع اليهود امتدت إلى علاقة مع إسرائيل، وتلك مسألة تارت حولها شكوك عندما ولف الرجل في مجلس الشيوخ معارضاً لدخول مصر حرب فلسطين فيما بعد).

● وقد اثبتت له الفرصة للقاء «صدقي» (باشا) عدة مرات، فضعها مرة في يناير ١٩٤٦، حين أجريت معهن حديثاً صحفياً لجلة آخر ساعة، فضعها بقا شديدة لوزنة «القرناشي»، وحدت أن كانت الجلة في الطعنة إعلان اتصل به «صدقي» (باشا)، فأخاها تاجيل نشر حديثه، رغم أنه علم أن الوقت تأخر لهذا القبط، ولم تكن أعرف وقتها أن رايه إلى هذا الإجراء الشديد عدمه (تلك الطعنة، تلك - كما افصح لي بعد - على أن رئاسة الوزارة احتمال قريب، ولم يلمش أن بريطانيا ناسبت حديث صحفي أجراه مسبقاً، وأصطلت برئيس تحرير الجلة وهو الأستاذ «محمد النابضي» - ويبدو أنه كان أكثر اطلاعا على مجريات الأمور، لأنه أعطى ملاحظته على تاجيل الحديث، رغم أن تلك علة توتر على عمل اطربة وتدخل معها تكاليف إضافية)، وأصطلت برئيس (باشا) القول إن الحديث سوف يؤجل بعد في المصعوبة، وبدأ «صدقي» (باشا) شديد العرقان، وأخا «أنه صعب» ما ضاع على آخر ساعة اضعاها مضاعفة، وفي الرجل يؤده علم لم يصح رئيساً للوزراء بعد أيام، حتى الفصل مكتبه بدعوى للقاء معه، وكان اللقاء في وزارة الداخلية، وكان «صدقي» (باشا) قد احتفظ بها إلى جانب رئيسه للوزارة - أكتفى في يوم ذلك اللقاء من الرجل رئيساً للوزراء، أحسست بحاجز يقوم بينه وبينه، فقد جلست أمامه وجاءه تليفون، فهمت أنه من «سليم زكي» (باشا) (محمود نوليس القاهرة الجديد بعد اعتزال «راسل» باشا) - وأن هناك مظفرات في شوارع القاهرة تتجمع في ميدان الخديوي إسماعيل (التحرير الآن)، ولم تستمع بانثي «صدقي» (باشا) ياسر بالمسيرة على المظفرات وحتى أن اقتضى الأمر أن «تضربوا» في الليل، وكانت جلستا أمامه، وقد التفتي بستان حديثه معني من حيث تركه قبل أن يلقاه تليفون كمدار بوليس القاهرة [



كان الشارع المصري في حالة فوران طوال مدة رئاسة «إسماعيل صدقي» للوزارة، لطقات العدد الحادي والأربعون - يونيو ٢٠٠٧

كانت لحسن البنا صلات بالقصير الملكي، الذي حاول في أكثر

من مناسبه أن يستخدم الإخوان لمقاومة الوفد

في الشارع. وأن يجعل الجماعة احتياطيا

شعبيا للمؤسسة الدينية الرسمية

التي يمثلها الأزهر

شواهد على أن الملك «فاروق» نفسه كان يساعد الإخوان المسلمين، كما أن ملفات وزارة الداخلية في زمن «صدقي» (باشا) تشير إلى مثله العف جنبه سلميا، صدقي» (باشا) نفسه إلى أحد أقطاب الجماعة (وذلك لدعوة واحدة وقمع رصدها)

وصرف النظر عن أي التباس، فقد كان من الواضح أن الفراغ الكبير الذي أحدثته غياب الوفد، أعطى للإخوان ميديا فسيحا خائبا، كما أنه سمح بتواجد عناصر أخرى غيرهم تستطيع أن تثير وتعرض مثل (مصر الفتاة) وكان «صدقي» (باشا) قد توصل إلى مشروع معاهدة مع الإنجليز، سببت باتفاقية «صدقي» - بيشن»، وتم التوصل إليهما في مصادقات جرت في لندن (أكتوبر ١٩١٦) - وعاد «صدقي» (باشا) يعرضها على مجلس النواب، لكن المحارضة صعدا تصاعدت وشهدت القاهرة والإسكندرية وغوامس الدنيا والذلة والصعيد مصادقات عنيفة بين المتظاهرين والبوليس،

ومرة واحدة على في القاهرة صوت الانفجار. ولم يكن بالضبط طلقة رصاص وإنما كان قبيلة بدوية قذف بها شارب مجهول من سطح كتلة الطين في القاهرة، ووقعت الفتنة تحت الاسم «سليم ركي» (باشا) حكام بوليس القاهرة التي نزل من حيث ساط، ولكنه فارق الحياة

إعداد وتدريب ليوم حاحة نشأله. وكان ذلك حقيقيا لأن «العلماء الخاص» للإخوان تحرك إلى أنواع من الضباط حري رصدها وتسميها. وذلك آثار شكوكا تعددت ومعيها من «محب» هذه النظم الخاص» إلى علاقته بالمرشد العام الذي كان مكررا لوجوده على الدوام - إلى نوع سلاحه - إلى شروط عملياته - إلى غير ذلك مما يفرض على العادة وهو تنطعم سرى مسلح

● ولقد التفت بيشدة في تلك الأوقات أن الإخوان المسلمين كانوا يصفرون بسعة، حتى أنهم بدأوا في إصدار جريدة يومية (أشرف) على إصدارها الأستاذ «عبد الحليم الخرماء» وهو وقتها رئيس قسم الأخبار في (الأمرام)، ولم تكن جريده الإخوان المسلمين (عندك اسمها) قادرة على تغطية تطلعاتها، على أن خسارها - فيما بدا - لم تكن تسبب إرقا لأحد

● ومن الواضح أن كانت هناك مصادر تمويل سنية بعضها لا يظهر على البالي، ومن ذلك ما تسجله وثيقة بريطانية في تقرير من السير «والتر سماتر» استشار الشرفي وتاريخه من ذلك الفترة، وفيها يظهر الأمير «محمد علي» ولي العهد وهو يقول للمستشار الشرفي أنه قدم مساهمات مالية للإخوان المسلمين، لأنهم في رأيه التنظيم الشعبي الذي حل محل الوفد في الشارع، وهم بذلك يبدون على وضع بعض القيود على جموع الملك «فاروق» الذي فقد صوابه تماما، لكنه من التشير أن هناك



سليم ركي

الملك، الذي حاول في أكثر من مناسبه أن يستخدم الإخوان لمقاومة الوفد في الشارع. وأن يحل الجماعة احتياطيا شعبيا للمؤسسة الدينية الرسمية التي يمثلها الأزهر (وكانت تلك نظرية «علي ماهر» ويعض رجاله وأهمهم في هذه المسألة «صالح حرب (باشا) الذي رأس بعد خروجه من الوزارة جمعية الشبان المسلمين، وكانت هذه الجمعية تنظمها إسلاميا قائما على عكس الإخوان الذين كان بعض نشاطهم يجري تحت الأرض في غموض). ● ولعل الإحساس بالغموض كان يؤكد البقيع بأن الإخوان لديهم جناح مسلح يجري

الرصاص وسط العاصمة (فقلت أربعة شباب في ميدان الخديو إسماعيل) وذهب كل الناس، خصوصا من البلقنة التي أحدثها الصدام بين مشرعين أطلقهما ذوبان ثلوج الحرب المشروع القومي العربي صعبا عن نفسه في جامعة الدول العربية (والشروع الصهيوني ضابطا بشدة لإقامة دولة يهودية في فلسطين). وبدا الشارع المصري تلك الفترة مشهدا محتفلا، ذلك أن العدة حرت ل انتشار المصري ودفى، لكنه بعد ما من ١٢ فبراير ١٩٢٢ في ١٩ أكتوبر ١٩٢٤ فإن الوفد بدأ محاصرا وبسوته في الشارع خافتا، وسرى إحساس بأن هناك تعبيرا طرا على روح الحزب وفكره والشاهد أن الحزب تلك الأيام لم يعد يخاطب المماسول والمفرغ في فيه، وإنما أصبح خطابه موجه إلى ضرورات الأمر الواقع. وهذه الغياب الوفدي عن الشارع المصري، فإن الفراغ أصبح حقيقيا - وبغوايب الطبيعة شافع كل ما كان على هامش الحياة السياسية المصرية يشق طريقه إلى القلب.

● هكذا بدأ يمتد نشاط الإخوان المسلمين رغم أن مؤسسه في ذلك الوقت كان شديد التباس، بسبب خيارات متعارضة داخل الجماعة، دفع كل منها إلى اتجاه ورغم وجود مركز سيطرة في ذلك الوقت، وهو المرشد الأعلى (رحمن البنا) بنفسه قلنا على (النتيجه). ● وكانت لحسن البنا صلات بالقصير



## الرصاصة الخامسة،

## أحمد الخازندار

مارس ١٩٢٨

(إسماعيل صدقي) بجمع انتخابات المهيبة والعفالية، وهيئات التدريس واتحادات الطلاب، والمندجة إلى برزخ لثاء «صدقي» (باشا)، وبرغم قدر كبير من المعرفة والخبرة، فإن القبول العشرة التي رأس فيها الوزارة كانت فترة قصير متجان، وعندما أحس أنه بفقد معركته في تمرير مشروع المعاهدة (الذي توصل إليه مع «أرنست بيشن»، «بان «صدقي» (باشا) مشى بدوس على الخط الأخلاقي الذي يفصل العام عن الخاص في المعاصرة السياسية

وقبل أن يخرج «صدقي» (باشا) من الوزارة بشهر واحد، اتصل صباح يوم (من الأسبوع الأخير من شهر الحز

بالتوصل إلى اتفاق مع الإنجليز يربط علاقة المستقبل معهم على أساس قبول، يعنى الملك من تدخلهم في الشأن المصري بين وقت وآخر، وتربحه من إلحاح لقتاس على ما يتيسر من «الإنسان الوطنية»، وذلك حتى يكون لديه الوقت لتحصين أحوال المصريين ومكتلهما ما كان يسمى ثلاثي «العقر والجبل والمرض»، تكن «صدقي» (باشا) سرسفت في استعمال العنف، وكانت أشد سمرا عنيف لثافت سياس معقدة معقدة الشيوعية، وكان ذلك «فاروق» يؤيد هذه المسألة، لكن مفهوما ذلك للشيوعية والشيوعيين اتسع فاصح «النفاس» (باشا) «بالفضيحة» كذلك رأى الملك وجاهر برتبته - حتى أنه نشر للمشير البريطاني السير «روندال كامبل» عن الأيام سوف تذهب في «النفاس» من زعيم البلاشفة في مصر، وأخرون كلهم مله، وضمن هؤلاء الآخرون كان رئيس وزرته

المالية الكبرى معظمهم من اليهود، والأجانب، كما أن نظرتهم إلى الشبان العام كانت متناثرة، يفكر «أوتو قراطي» يعتقد أن الحكم القوي أعرف بالصلحة العامة من الشعب الضعيف، ولعل خروج «صدقي» (باشا) القديم من الوفد وإحساسه بالاستحقاق الكامل أمام قوه «سعد زغلول» الطاغية ترك لديه نوعا من الكراهية لفكرة «الشعب»، حتى أنه كان يعتقد أن مجرد التوجه العام بخطاب للناس ضعف لا يصح لحاكم - ولا يزيد من كونه ثقفا لغزائا قطع لا يعرف نفسه اتجاهه ولا يعي حاله

وعلى أي حال فإنه في تلك الوزارة التي رأسها «صدقي» لعشرة أشهر لم يكن له سعة غير رغبة الملك أن يرى «وإجل جده» لاصح تجميعه أكثر من أمر أمام عبد الفتاح عمرو» (باشا)، وعلى أي حال فإن العلة التي عهد بها الملك إلى «صدقي» (باشا) كانت محدده:

● ولقدت وزارة «إسماعيل صدقي» (باشا) في الحكم عشرة شهور بالضبط (٩ فبراير إلى ٨ ديسمبر ١٩٢٧) - لكنها عشرة شهور باهظة التكاليف على لحوال السياسة العامة في مصر ومعارساتها، فقيس الوزراء القائم على الحكم لم تكن له قاعدة شعبية لها نواة صلبة تتقدم من حولها أو حتى تنقل - وفق مجريبات الصوتات وتوجهات المزاج الشعبي (مثل الوفد) - ولا كان ذلك الرئيس للوزارة يمثل جماعات الصفوة الاجتماعية من أبناء كبار الملاك الزراعيين مع جمهور محدود يؤيدها احتياطي في سوق (مسئلات الأبرار الدستوريين أو السديين) - ولا كان يمثل قوه مقابلة تدافع عن مبدى (حتى وإن أوقعها الظروف في الدائرة للفرغ لطلب الانتقام مثل (الكتلة)، وإنما كان الرجل في أحسن الأحوال يمثل مجموعة تقدم عدد من المصالح المصالح



موهمن ١٩٤٦). «حسن يوسف (باشا) وهو وقتها القائم بأعمال رئيس الديوان، يطلب موعدا عاجلا مع «حالة الملك» لأمر مهم. ويحدد له الموعد نفس اليوم في الساعة الواحدة ظهرا. وعلى في مكتب الملك ما يقارب ثلاثة أرباع الساعة، ثم فوجئ «حسن يوسف» (باشا) بأن الملك يطلبه لاتضمام إليه وإلى رئيس الوزراء، وتوجه «حسن يوسف» (باشا) إلى حيث نعى، وأشار إليه الملك فجلس، وعلى الفور قال «فاروق» موجهًا كلامه إلى «صديقي» (باشا) قائلا له: «أحكى له».

ويبدأ «صديقي» (باشا) بحكي «أن في حوزته الآن ما يكفي للقضاء على الوفد...». وكان «حسن يوسف» (باشا) كعادته يصفي في صمت، واستطرد «صديقي» (باشا) بروي «أن المباحث الخفية» التي تسلمت أجهزة الرابطة على التليفونات وهي المحطات التي جاء بها ووضعها في مصلحة التليفونات واستعملها الجنرال «هوليس» رئيس M.I. البريطانية زسى الحرب، والتي ألت إلى السلطات المصرية بعد ذلك، والتي تقوم الآن على تسجيل بعض المكالمات بطول من القلم السياسي» - تمكنت من تسجيل حديثي، وصلة تقرير كامل عنهما قدمه الآن إلى «مولانا».

وكان «حسن يوسف» مازال يصفي في صمت، و«صديقي» (باشا) يحكي له بتوجيه من «فاروق» هناك مسجلان حديثي تليفوني» أولهما: مدته دقيقة ونصف ملققة من السيدة «ريث» (هانم) الوكيل «قرينة «التحاسب» (باشا) وبين «قؤاد سراج الدين» (باشا)، والثاني: مدته ست وخمسون دقيقة بين السيدة «زكية (هانم) البدراوي» وبين شقيقها «عبد العزيز البدراوي» (بك).

وواصل «صديقي» (باشا) الحكاية، فعرض «أنه يمكن ترتيب نشر بعض التفاصيل ويغض الخصوص ما ورد في هذين الشريطين. وتدخل الملك «فاروق» مقاطعا بأنه «يمكن لكريم (يوسف) كريم ثابت مستشاره الصحفي أن يتصرف في الموضوع مع «الجامعة بنوعه» (يوسف الصحفيين) على أساس أن نفل نحن بعينين، حتى الوزارة نفسها يغني بعيد».

وكان إحسان «حسن يوسف» (باشا) بما يسمعه قليل الوعاة على أعصابه، وقد أمسك نفسه عن أي تعليق مباشر ومستعجل، خصوصا ما يعرف ما فيه الكفاية عن شخصية «فاروق» (صائد إذا عورض)، وتدخلت الظروف لإعطائه لحظة يستعد فيها،

لأن الملك تلقى تليفونا جاءه على الجهاز الخاص الوحيد إلى مكتبه. وقد رد عليه باقتضاب مكررا ثلاث مرات «نعم» باللغة الفرنسية. ثم ألت إلى «حسن يوسف» الذي راح يثابت وهو يحسب حسابا لكل لفظ فيقول «إيه بظن أن الأمر يستحق التفكير على مهل، وتستطيع أن تنام عليه يوحا أو يمين، وبعد ما يكون «مولانا» قد حسمها بحكمته ورأي فيها رأي».

والثقت الملك إلى «صديقي» (باشا) وتعليقه أن «حسن يوسف» «خواف» وعلى أي حال فانا سوف أفكر حتى «بكرد»، ويمكن أن نكمل «كريم» (يوسف) كريم ثابت) - وأبدى «حسن يوسف» ملاحظة مؤدبا أنه يتعنى على جلالة الملك أن يسأل احدا آخر غير «كريم»، فأعاده الملك: «وماله «كريم» - ورد «حسن يوسف» - «كريم (بك) رجل كله» لكن الخشية أنه يهاجمه كصحفي قد يغيب جانب النشر على ما عداه، والموضوع سياسي أكثر منه صحفي» - وسأله الملك - «نسأل من يفتي» - «وطرح «حسن يوسف» (باشا) اسما بسرعة هو اسم «طلعي السيد» (باشا) وكان غصوا في هيئة الغموضات مع «صديقي» (باشا) (وكان قد ابتعد عن مسار المفاوضات ولم يشأ إحداث أزمة، رغم أنه كان وزيراً للخارجية). ولم يظهر أن الملك أفتت، وإن عير



## الرصاصية السادسة:

### محمود فهمي النقراشي

ديسمبر ١٩٤٨

❏ في الأجواء المكهربة التي صاحبت خروج وزارة «صديقي» (باشا)، لم يكن أمام الملك «فاروق» سوى خيارين إما الاستمرار في «طابور» الوزارات الملكية، مع تفصيل أن تكون لها أمام الرأي العام صفة سياسية حزبية - وإما التفكير في حكومة وحدة وطنية. تواجبه الفئران الذي حركه موضوع «الاماني» ابوطيبة» (في ظروف طوفان يرفح على القارات مثقلا بدمولات متنافسة) - وكان معنى التفكير في وزارة وحدة وطنية أن «مشاركة الوفد» وأردة (في لحظة ضريبة الحساسية يقف فيها الملك أنه يستطيع الخلاص ههنا من الوفد فيما يخص إصائه يدعوته إلى إصان التوقيت وعمل البروية).

وتعاقب التفكير الأول وعاد «محمود فهمي النقراشي» (باشا) إلى رئاسة الوزارة في ظروف

التليفونية الذي عرضه عليه «صديقي» (باشا) قبل أسبوعين، ثم أبلغه أنه قرر النشر، وأن «كريم ثابت» تصرف (مع أخصاب اليوم)، والشروط بالفعل هناك «أن عذمت» وكان «النقراشي» مقاطعا وهو يقول لسن يوسف «أنه أبلغ جلالة الملك أنه لا يستطيع تحت أي ظرف من الظروف أن يقبل هذه المسألة»، وأن من أشار عليه بها «لا يعرف مصلحة العرش»، وأنه ليس في وسعه غير وضع استقائه تحت تصرف «مولانا»، وأن الملك طلب منه أن يفكر في الأمر بمقتضى «السياسة» وليس بمقتضى «التزمت»! ومضى «النقراشي» يقول: «إنه وعد أن يفكر، وهو لا يقن أن سوف يفكر أبدا، لأن هناك من وجهته نظر «محمود» في السياسة» و«الملك» وهو يرى ضيق أمام المانع، ولا يستطيع هنا أن يسامر مهما كان، ويسأل إن

عن رأيه بالتصريح وجهه، ثم قال بعد قليل «نشوف»



ومضت أيام وإبشار السياسي يغلي والمظاهرات لا تنقطع، والعنف يزيد، وأصوات الانفجار تسمع في القاهرة، واستقلت وزارة «صديقي» (باشا) - بينما المحاولات لاحتواء العنف تفشل رغم مخاوف لم تساور السلطة فقط، لكنها سلوات لا طاعت في المجتمع أيضا، لأن الجميحات تصاب بالقلق عندما يغلو صخب العنف كلاما وقاعلا. ثم يغيب صوت الحوار الهادئ في أزمة تنفجر فيها معاش.

وكان القضاء المصري في تلك الظروف ملاحا، وأجاعة صياح ذات يوم (من مارس ١٩٤٨)، بوى الرصاص في القاهرة مرة أخرى، وسطا المستشار «أحمد الشاذلي» رئيس محكمة الاستئناف - قتيلا. وذهبه أنه أصدر أحكاما بسجن شبان من الإخوان المسلمين تورطوا في إلقاء متفجرات على مشات وسط القاهرة مولوكة مصريين ولأجانب، وراي «النظام الخاص» في الجماعة أن يصائب القضاء، وكبحا بوات فعلا على واحد من أهم رجائه في ذلك الوقت.

وكان الرصاص هذه المرة متجاوزا لجال السياسة، فاقلا في قلب فكرة القانون. ❏

كانت استقالته في مثل هذه الظروف تخرج الملك، ولكنه في الحقيقة لا يستطيع. وكمر «النقراشي» عدة مرات قوله «لا يمكن... لا يمكن» وانقطع الحديث عندما جاء أحد الأسماء يدعو رئيس الديوان بالنيابة لاقابلة «حسن يوسف» واستئذان رئيس الوزراء، وتوجه «حسن يوسف» (باشا) مهولاً إلى مكتب الملك ليخبره غصبا ييساره «عنت القول لكم فانا أن «النقراشي» قتل ولم تصدقوني، والأني يعلم لكم أنني كنت على حق». ثم سمع «حسن يوسف» (باشا) رجاءه إلى «مولانا» أن يعطلي مع الوزراء العائد فرصة لآل يربط فواضات من الإحتياط. وهو كسا عرض على «مولانا» على



## خطر الملك، فاروق، وربما بسبب تأثير بعض العسكريين البريطانيين من أسدقائه، أنه يستطيع أن يتولى بنيته عملية التفاوض مع الإنجليز، لأن التقاضي، تقصصه الكافية للوصول إلى اتفاق معقول

مصلحة إذا لم تكن هناك إرادة لها كرامة  
الشرعية.

وأبعد، محمود فهمي النقراني، (بهاش)  
ومعه مجموعة من الفصل العقول القانونية  
المصرية في مهمة ترتيب أوراق المدعى المصري  
أمام مجلس الأمن، وكان القانوني المتميز «على  
أندراوس» هو المكلف بصياغة عريضة ادعوى  
الإنصاف، لكنه وراء الأوراق والمفاتيح  
والدراسات، كانت الصورة الحقيقية موحية.

● في البداية فإن الملك «فاروق» راح يبحث  
الرسائل واحدة بعد الأخرى إلى السفارة بأن  
ذهب رئيس وزرائه بالقضية المصرية لعرضها  
على مجلس الأمن «دريس عملا عدائيا» وطبقا  
لبرقية من السفارة (١٩٦٣/١٩٦٣) «قام  
«حسن يوسف» (بهاش) بإبلاغ الوزير الجوهري  
بالسفارة «جويس مكرم» بأن صاحب الجلالة  
يريد أن تذهب مصر وبريطانيا إلى مجلس الأمن  
وأنه قد تمكن من هناك صديقي، وأنه  
بمناشئة الصداقة، فقد يكون ممكنا عندما يذهب  
المصري إلى نيويورك لعرض القضية  
المصرية على مجلس الأمن أن يظهر للحزبين  
صديق ثالث يتوسط بينهما.

● وكان الأمن لمصلحة جامعة الدول العربية  
«عبد الرحمن عزام» (بهاش) وهو مفكر من  
القصر الملكي المصري، وفي نفس الوقت من  
القصر الملكي السعودي «موجودا» وانشاء في  
نيويورك، يحضر بقية الدورة العربية للصعيد  
العامه لادام المحدث بل يدع بعلمتها المصرية،  
وعندما بدأ ان القضية المصرية في طريقها إلى  
نيويورك، فإن «عزام» (بهاش) عدم إلمامه، وفي  
لقاء إجراء «عزام» (بهاش) مع المندوب البريطاني  
الصديق الذي أضافه للسفير «ماركوب بيلي»  
(وكان صديقا جيدا مع سفيرا بريطانيا في مصر  
مريت)، طرح «عزام» (بهاش) وقتل عنه السفير  
«ماركول» (١٩٦٨/١٩٦٧) قوله:  
«إنه لابد من وقف التدعوى في أعمالنا في مصر  
وبريطانيا»

● إنه قد لا يكون هناك مفر من طرح قضية  
مصر أمام الأمم المتحدة لكونه هناك مشاهير  
مصرية مستشارين، مع انه يعلم ان هناك محاولات  
للتأثير على «النقراشي»

● بعد العرض على مجلس الأمن في الإمكان  
صنوبر بيان عن المجلس كتكليف صديقين لمصر  
وبريطانيا (للجنة العربية السعودية عن مصر  
«ولو لايات المتحدة الأمريكية عن بريطانيا» -  
وذلك للعمل على إيجاد طرق لوقف في الطريق  
إليه إذا لم ينسحب إصدار قرار بالضغط على  
وساطة، فالمدعى للمعنى ان يصدر عن المجلس  
قرار يدعو مصر وبريطانيا للعودة إلى التفاوض  
وإخضاع المجلس الأمن من يتوصل إليه

● إنه طابعا أن يتردد من الشيخ «يوسف  
ياسين» مستشار الملك «عبد العزيز آل سعود»  
فإن الأمر «فيصل» وزير الخارجية السعودية  
بقوم إذا محمد لاجد نبض الحكومة السعودية  
لعرفة ما إذا كانت مستعدة بالتنازع مع اللجنة  
(العربية السعودية للقيام بوساطة في مصر  
وبريطانيا تحول دون وقوع صدام بين الطرفين  
في مجلس الأمن يعقد القضايا  
العربية ولا يبقدها.

«فاروق» يمكنه من الأمر بتوقيع اتفاق معهم  
وبطريقة حساسة وقاطعة»

● وفيما السؤال  
«أن الملك يعتقد أنه إذا استطاعت الحكومة  
البريطانية أن تنصر على أي يتم جلاء القوات  
البريطانية عن مصر في طرف سنة واحدة -  
فإنه قادر على ضمان الباقي كله، وضمنه أي  
ترتيبات في شأن قاعدة قناة السويس، وظن  
الملك أن فكرة «الجلاء» في ظرف سنة - بعد  
احتلال سبعين سنة صيغة سرية خفيفة بأن  
تجمل الرأي العام بوافق الملك على أي اتفاق  
بشأن قاعدة قناة السويس».

● بالإضافة بعد ذلك  
«إذا كانت الحكومة البريطانية على  
استعداد للموافقة، فإن الملك يستطيع أن  
يتصرف وأن يعفي «النقراشي» من الوزارة،  
ويجيء بوزارة تخصص مهمتها في مجرد  
التوقيع».

● على أن الملك اشترط أن يظل تلك العرض  
سرا، سواء واقت الحكومة البريطانية عليه أو  
اعترضت!

● ولم تقتنع الحكومة البريطانية، وربما أن  
مدة السنة التي يطالبها «فاروق» «كصيفة  
سحرية» ليست كافية، كما أنه من المشكوك في  
أن الملك قادر على توفير مطالب بريطانيا وتكفي  
الضمانات المطلوبة للعامة في قناة السويس.  
● وفي ظل هذا فإن الملك لم يستطع أن يضمن  
موافقة شعبية على مشروع اتفاق مع بريطانيا،  
والنتيجة مشاكل جديدة تصاف إلى مشاكل  
سابقة.

● ومع تحضر المفاوضات مع «النقراشي» -  
(بهاش) وحكومته، والتقدم في التفاوض مع  
القصر الملكي وسعيد - بدأ ظاهرا أن الخلاف بين  
مصر وبريطانيا في طريقه إلى الامم المتحدة  
والى مجلس الأمن، وأن «النقراشي» (بهاش) لا  
يتمثل في نوع من الجبهة الوطنية يضم كل  
قوى الشعب المصري، لكن المثل في الخواطف  
الماجستير - من أن الامم المتحدة ليست محكمة  
قانون، وحتى إذا كانت كذلك فإن القانون عاجز  
إذا لم تكن هناك قوة تكفل احترامه، ثم إن القوة

للسفارة البريطانية يكتب في تقرير إلى لندن  
(١٩٦٤/١٩٦٤).

● من قبل بداية المفاوضات فإن عملية  
التهديج «الشراعي» ضد بريطانيا كانت ولا  
تزال حملات متواصلة تلقى تأييد جماعات  
وطنية عديدة، وقد زاد ضد التهجيج وتكثف في  
الفترة الأخيرة، لأن المصريين يظنون أنهم  
عمدا يدفعون بعضهم صمدا إلى الامم  
المتحدة وإلى مجلس الأمن - إن الانحدار  
السوفيتي هناك سوف ينصر قضيتهم، وذلك  
بإخضاعهم إلى انحراف عام نحو اليسار يظهر  
حليا حتى في صفوف حزب الوفد.

● لكن الذهاب بالقضية المصرية إلى الامم  
المتحدة وإلى مجلس الأمن استولى على  
أعصاب الجميع وإن كان قد أخذ صورة  
إلى المحكمة (تنتظر بالمسجون وتكتم بالحدود  
وكان ذلك اجتياها «عبد الحميد بدوي» (بهاش)  
وقد ظل إلى سر واد يحمي تحركات مصر -  
وربما كل الدول العربية - في شأن قضايها  
الوطنية».

● في هذا كله كان الملك «فاروق» يشعر أن  
التنجر الجارف يمر البلاد إلى حالة خطيرة، ولم  
يكن متأكدا من قدرة الحكومة (بهاش) على  
منع الانحدار. وفي نفس الوقت لم يكن قادرا  
على التفكير في بديل، فأبى بديل قد يصيح الآن  
حلوة تمهد لعودة الوفاء.

● وخطر الملك «فاروق» وربما بسبب تأثير  
بعض العسكريين البريطانيين من أصدقائه، أن  
يستطيع أن يتولى بنفسه عملية التفاوض مع  
الإنجليز، لأن «النقراشي» تقصصه المرونة  
التالية للوصول إلى اتفاق معقول

● ويسهل السفير البريطاني السير «روثاند  
كاسمبل» في برقيته إلى أن لندن  
(١٩٦٧/٦١)، من مصرا مقربا من القصر  
«كريم ثابت» (بهاش) وهو المستشار الصحفي  
(فاروق) - «سأ أسمى «والتر ساروت» - (وهو  
في نفس الوقت زوج أبنه خاله أيمن فارس  
نمر) - سوالات محددة - أنه الحكومة البريطانية  
على استعداد لإعطاء تنازلات واضحة للملك

استعداد لأن يذهب بقضية مصر إلى الامم  
المتحدة، «وكن بالقوله «تشفوف».

● وبعد خمس سنوات وفي ظروف مختلفة  
عاد الشريط إلى الظهور - وفي ظروف ملتصقة  
يجيء «يوزيف بيا بعد»

● «يوزيف بيا بعد»

● ومضى «البشرشي» (بهاش) يفاوض  
الإنجليز على الجلاء مع ضمانات لأن تضمن  
لهم وجودا ماعلا في قاعدة قناة السويس،  
ضمن نظام مالي - للخدمة - لكن الأمور تعقدت  
إلى مدة الجلاء ظلت موضوع خلاف، وكذلك  
كانت مسألة نقل وحجم الوجود البريطاني  
الذي يقضي في القاعدة لتدافع عن قناة  
السويس، وزادت حدة المشاعر الوطنية إلى  
درجة الخمي، لأن «القضية الوطنية» أصبحت  
الوعاء الذي احتسروا كل مطالب الشعب  
المصري، السياسي منها والاجتماعي، وبدأ أن  
الحركة الشعبية تأخذ متفحنا ظاهرا إلى  
البحر، وكانت تلك هي الفترة التي ظهر فيها  
جناح تقدمي من الوفد نفسه يناهض استبداد  
الدين على فكر وقاب الحزب، وكانت نتائج هذا  
اليسار الولدي شيئا من أمثال «مختور» عزيز  
«فهمي» (تجمل قلب الوفد الكبير «عبد السلام  
فهمي جمعه» (بهاش) - «والدكتور «محمد  
مختور» - (استأذ الجاسمة والنقاد إلى  
البرموق)، والتفت حول الاثنين جمع من الشباب  
الوطني في قلب الوفد وفكره في حاجة إلى  
مخلص، يتخذ الاثنين ويصوب بالبرمي إلى  
ممارسة دوره التاريخي في قيادة الحركة  
الوطنية في أحوال غاية في صعوبة بضمروا  
التغيير.

● وفي تلك الأوجه المتقلبة كانت الحركة  
الشيعية المصرية تحاول الحفاظ للأفكار  
والعودة إلى إسماعيل بعد أن خلف عنها النفاس  
الضربات الموجهة التي وجهها لإسماعيل  
صدي، (بهاش) طاول التضور الضربة التي  
راس عليها الوزارة، وكانت الحركة الشعبية  
تلك الأيام تعيش مخاضا عسيراً، لأن قضية  
فلسطين - التي طرحت نفسها بشدة - أوحثت  
حالة من الانقسام الحاد بين القيادات الثلاث  
للك الحركة. وكان مصدر التناقض أن هذه  
التنظيمات الثلاثة كان على رأسها قيادات من  
اليهود، بينما كان نصف الثلثي من الوطنيين  
المصريين المنتمين إلى الطبقة المتوسطة والطبقة  
العامة، والثلثي من القيادات اليهودية  
على رأس احركات الشيعية المصرية لم تر  
في قضية فلسطين إلا إسماعيلية عربية متعاونة  
في الرأسمالية اعابية التي هي في حالة عداء  
مع الطبقة العاملة العربية واليهودية معا،  
وبالتالي فإن فلسطين صراع بين الرأسمالية  
والطبقة العاملة، عربية ويهودية، أي أن هذا  
النزاع المتخفي في فلسطين جزء من صراع أعمى  
وليس مقدمة لصراع قومي، وبذلك الأفكار  
مختلفة ورتنة.

● على أن الاتجاه العام إلى اليسار جعل  
السفير «والتر ساروت» مستشارا للشرطي



البريطانية أنها سوف تسمح قواتها من فلسطين  
من انتقام، دعا انتقامها على مساء ١٤ مايو  
١٩٤٨. متعاضدا من قرار ترانسفيلسطين  
الصالح من الجمعية العامة للأمم المتحدة  
بتاريخ ٢ نوفمبر ١٩٤٧.

واتلعت في العالم العربي أصوات نذاري  
فلسطين والول العيلة عسكريا بل العراق في  
بذل، وللاستقلال العيلة العربية الفرصة  
واحتلت بوضوح أجزاء كبيرة فلسطين الغربية  
اليهود بوضوح قرار التقسيم، لم توثق تلك  
الفرصة، الخصاص العيلة العربية في الحار  
وكان الحار من التمدد (رضية  
السياسية - مع المقاومة العربية الواضحة - وضيق  
خفية - رمعا في الحرب إلى الامم من مشاغل  
معنا، الداخلية، رئيس الوزراء المصري  
«محمود فهمي النقراشي» (ياشاش) كان معارضا  
للتدخل، وبنطه، أن الجيش سيجتهد وانه  
لا يريد أن يبرهن ضعفه ولا استقلت حرمته  
الاعين، فاعل امام مجلس الأمن أن الجيش  
العربي - قنار على يد الفراع على قيادة  
السويس إذا استجبت القوات البريطانية من  
الاستنفال، وإذا ظهر الجيش المصري في فدان  
في مواجهة «العصابات اليهودية في فلسطين»  
تفكير أن تواجبه بامانة أمام قنازل  
عليه العاد، السوس ضد قوى عالمية  
تطمع العاد»

لقضاء شهر أغسطس في «سوت كاتينيه» (شمال إيطاليا) للوحدة والاستقامة؛  
 (الخطير) أن «سوت ريفعت» (باشا)  
 السفارة البريطانية يفضي المعلومات مع إضافة  
 في يرقية السفارة (١٩١٠ / ١٩١١)  
 يكتب السفير البريطاني السير روثارد  
 كاتيل ما عاصه، ملحقاً، سوت ريفعت، (باشا)  
 للوحدة بإعانه من القصر - من «الحجاس»  
 (باشا) مسافر إلى أوروبا وأن هناك علماء  
 سوفيات يخطط أن تمولهوا، من هناك، وإن هناك  
 قوتبا شوعية يؤخذوا بأخذ هؤلاء، ويضيف  
 روثارد كاتيل، أنت است ميا لا تصديق  
 ذلك، لكنه ظنرا إلى ثمانية ألاف الججاج اليساري  
 في حزب الوحد، فسد يكون من اللازم

وبالفعل فإن «النجاس» (ياشأ) وقرينته  
وعمهأ «قؤأ سراج الدين» (عأشأ) سألوه إلى  
«مونت كاتيني»، وكان العذر الذي قدم لتفسير  
«عأشأ» «قؤأ سراج الدين» (ياشأ) إلى «مونت  
كاتيني» بدلاً من نيويورك هو أن «الفرعأشأ»  
(ياشأ) رفض السماح لعلمتي الوفد بالسفر إلى  
نيويورك.

وذهب «النقراشي» (باشا) إلى نيويورك وعاد منها إلى القاهرة مرة أخرى يتعثر في زمامات اشتد رحامها وزاد عنفها.

فقد واجهت وزارته إضراباً (قل أن تشهده  
دولة في العصر الحديث) قام به البوليس  
لمصري، وكان غريباً على المواطنين أن يروا  
قسام البوليس مغلقة، والصباط المسئولين عن  
الامر ممنوعين عن العمل.

وأصبح الحروب مصاعفا حين اندفعت جماعة الإحوال المسلمي في قلب هذه القوضى لتقوم بعمليات تقجير ونسف لبعض المنشآت الأجنبية في مصر (بما فيها دور للسينما ونواد). كانت هناك أزمة داخلية لاشك فيها، والأخطر من قصصية فلسطين في تلك اللحظة بالتحديد راحت مطرح نفسها بشدة على كل شعوب الأمة العربية، خصوصا ما إعلان الحكومة

● **ابن الملك فاروق**، استدعى **واصف** علي (بشاشا) وهو وزير حارثية، وهدى سابق. علي رغم كتمان دولته لم يقبضه لئلاسه عر احتمالات عرض القضية المصرية علي مجلسه. وكان علي **واصف** علي، ان عطية الانديا بالاماني المصرية الي مجلس الامن سوف تكون فشلا محققا **" flop "**.

واصنع الملك فاروق، ما سمعه من **واصف** غالي (بشاشا) اني رجة انه اخبره في **اندرشني** (بشاشا) ولم يفتح رئيس الوزراء. ان غاصبياته، لانه احس بضعة فلج الملك في عاصيته.

وكان موقف حزب الوفد في تلك الظروف  
لائقاً للنظر، ففي برقية من السكرتير البريطاني  
(١٨٠٥ / ٢٩٢٢) بتاريخ ١٥ يونيو ١٩٤٧  
يؤيد بقوله غيه السفير البريطاني في مصر

« لا يخالفني شك في أن الوفد المصري سوف يبحث برسالة إلى مجلس الأمن مؤداها أن الحكومة المصرية الحالية لا تمثل الأمة المصرية، وأن الأمة المصرية لا تتحمل مسؤولية أي شيء يقوم به الوفد، لتمثل لهذه الحكومة في مجلس الأمن ».

ويعد أكثر من شهر (٢٠ يوليو ١٩١٧)  
كان «مصطفى النحاس» (باشا) يبعث رسالة  
باسم الوفد المصري إلى رئيس مجلس الأمن  
يقول فيها: «إن حكومة محمود فهمي القراشي»  
(باشا) لا تمثل الشعب المصري وأن الدعوى  
التي يتقدم بها إلى المجلس قاصرة في تعبئها  
عن الطامح المصرية. وأن حزب الوفد المصري  
قرر إرسال ممثلين عنه إلى نيويورك ليتحدثوا

هناك باسم «عصر الحقيقة»  
وأُعلن في القاهرة أن وفدا يمثل «المنحاص»  
(باشا) شخصيا، تقدم إلى السفارة الأمريكية في  
القاهرة يطلب تأشيرة دخول تتيح له التواجد  
في نيويورك، وكان هذا الوفد برئاسة «قواد  
سراج الدين» (باشا) ومعه نقيب المحامين وقبها  
وهو وفدي معروف - الأستاذ - كامل يوسف  
صالح..

ويحاول استغلال حزب الوفد الإسرائيلي  
الصحف اليومية لمحاولة على استمطار رسالة  
«الانحياز» إلى رئيس مجلس الأمن باعتبارها  
«خارجا عن الظاهر» ضد الوطنية المصرية مما  
يقتضي محاكمة «المساس» (ياشا) بتهمة  
«الخنائنة العملي» وفي نفس الوقت بحث التضييق  
«حسب البند» مرشد الإخوان المسلمين رسالة  
إلى رئيس مجلس الأمن يستنكر فيها رسالة  
«الانحياز» (ياشا) إليه باعتبارها خروجا عن  
«المعاد» (الحلقة)

ويوضح تقرير (في محفوظات قصر عابدين) - أن مكتب رئيس الديوان الملكي اتصل بحسن رعت (وكل وزارة الداخلية، لسان عن موع سفر «فؤاد الدين» (باشا) وعراقية إلى نيويورك، وبعد إجراء الفحريات اللازمة عاد «حسن رعت» (باشا) إلى رئيس الديوان ليصوب على مسؤوله سيادة: «إن الفحريات أظهرت أن «النحاس» (باشا) وقرينة «فؤاد» ساج الدين» (باشا) أيضا قد تبص.

۵۸ حکام و مضطرب

إلى تخيير موقعه (معلمنا إلى تحديات ملكية  
مضمونها أن لديه مصادر أسحة ونحاش  
نلجيش تكية لتحقيق هدفه، وكان التلميح  
واضحا إلى مصدر بريطاني على ما بالكم.  
وفي الواقع فإن تطين الملك «فاسوق»  
فريس وزرته - لم يكن من غير أساس وذلك ما  
تظهروه وثائق هيئة أركان الحرب الإمبراطورية  
من القيادة العامة للقوات البريطانية في مصر.  
خصوصا في الأيام ما بين ١٥ إلى ١٨ مايو  
١٩٤١.

● وبداية فائه كان في مقدور الحكومة البريطانية أن ترد مصر عن الدخول إلى فلسطين إذا كان ذلك مواتها.

● وثانياً فإن القوات المصرية مرت فوق كوبري «الفردان» على قناة السويس، إلى سيناء، ثم إلى فلسطين وتحركت في منطقة عسكرية بريطانية بغیر اعتراض.

وتتألف هذه حدث واليوم ٢١ أيار ١٩٤٨،  
 في هذا التاريخ بالظلال التاريخية الخطاف في  
 حادثة شوشة التي طار على طائر عسكري، وقد  
 أصدرته إسرائيل، ثم انضمت إلى طائر على  
 زوال عاملها في القلب، وشبهت العربة المصرية  
 في تمسك لثا طائر من طائر في شوشة، في  
 حرب بين جنودين بريطانيين وإسرائيليين، وقد  
 الشوري في الأثران السلطات العسكرية  
 البريطانية، وبغيت القيادة المصرية أنها سوف  
 تقتحم بها الحادث من الصفات البريطانية، حيث  
 الانشراح في سبعة أطران، وكل ما  
 لتسوية الموضوع اعتبارا كعقوبة  
 للسجلات، والأغرب أن السلطات البريطانية  
 أسعادت في صياغة العربة حيث يتحدث  
 عنها ضمنا على أساس في عقول.

وبالطبع فإن هذه الأجواء كان من شأنها تأييد تلميحات الملك بأن لديه اطمئننا إلى ضمان، وبالتالي تشجيع نوعا من التنازل لقواره بدخول الحرب على مستوى الوزارة وعلى مستوى قيادة الجيش: «لم استحکم المارق حتى ظهر أن الملك «فاروق» وقع في خديعة من نوع

وكذلك بدأت حرب فلسطين وتوقفت وقامت دولة إسرائيل واحتلت ٧٨٪ من أرض فلسطين. (وتلك قصة أخرى).

ووسط معارك تشعلت بهدير المدافع، وتخذ  
بقرارات دولية تفرض على الأطراف هدنة بعد  
هدنة - كان النظام الخاص للإخوان المسلمين  
يتحرك في الداخل المصري، يحرض ويلقى  
القنابل ويهاجم المنشآت. وأصدر «النقراشي»  
(باشا) قراراً بحل جماعة الإخوان المسلمين.

ويوم ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨، قامت القوات الإسرائيلية باخراق الحدود المصرية، وعلقت في يد الجيش المصري في العريش، وفي القاهرة دون طوقات عسكرية، وسقط رئيس الوزراء محمود فهمي القزويني (بابا) مضرجا بدمه أمام مصعد وزارة الداخلية (وكان مسئولاً بدرجة عالية عن جانب رئاسة الوزراء). وكان أعضاء مسئوليته عن تلك الجماعة، وفريد الأسيدي، وعبد المجيد أحمد حسن، بكالة شافيت بوليس، وناظر رئيس الوزراء في مدخل وزارة الداخلية (واقف على أعلى).

العدد الحادي والأربعون، يونيو ٢٠٠٢م

خلال رئاسته للديوان الملكي، سنة كاملة. قابل، إبراهيم  
عبد الهادي، (باشا) الملك، فاروق، مرتين لم تزد إحداهما  
عن نصف الساعة، وأما بقية المدة كلها فقد كان تعامله عن  
طريق، كريم ثابت،، وأحياناً عن طريق، محمد حسن،  
المكلف بالخدمة الخاصة لجناح، فاروق، الشخصي



## الرصاصة السابعة

حسب  
ن البنا  
فبراير ١٩٤٩



حسن البنا

أبدى استنكاره لما جرى من تحول المظالم  
الخاص بالإخوان المسلمين عن المهمة التي  
أنشئ من أجلها، وهي قتال الإنجليز إلى مهمة  
لا علاقة لها بالإنجليز وهي الاحتفال رئيس  
الوراء المصري.  
.....  
.....  
[ وشاعت مصادقات أن التقي أكثر من مرة

■ وتكرر المشهد مرة أخرى في مصر، فمن  
قبل، ويوم مصرع رئيس الوزراء «محمد ماهر»،  
تقرر أن يخلفه «محمود فهمي النقراشي»،  
ونفس الشيء تكرر عندما اغتيل «النقراشي»،  
ووقع الاختيار على خلفه السابق في الحزب  
«إبراهيم عبد الهادي» (باشا) رئيساً للوزراء.  
ولم يكن «إبراهيم عبد الهادي» في الحزب  
عندما اغتيل رئيسه يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٤٩،  
ولما كان ذلك قد استخاره من «النقراشي»  
رئيساً للديوان، متصوراً أنه بذلك يقيم جسراً  
مع رئيس الوزراء دون أن يضطر للتعامل معه  
مباشرة في أي قرار. لأن رأسه ناشفة والملك  
يريد بديله ولا تستأجده الظروف، لأن أي  
خطوة غير محسوبة في هذا الاتجاه قد تلحق  
الطريق لعودة الوفد.

وكانت تجربة، «عبد الهادي» (باشا) في  
القصر محزنة، فالرجل جاء من خارج الدائرة  
الملكية وعومل في القصر على أنه «غريب»  
و«خيل»، والمزعج أنه باعتراف «إبراهيم عبد  
الديوان الملكي» (باشا) نفسه، أنه خلال رئاسته  
لديوان الملك، «سنة كاملة - قابل الملك  
«فاروق» مرتين لم تزد إحداهما عن نصف  
ساعة، وأما بقية المدة كلها فكان تعامله عن  
طريق، «كريم ثابت»، وأحياناً عن طريق، «محمد  
حسن» المكلف بالخدمة الخاصة لجناح  
«فاروق» الشخصي.

وكان «حسن يوسف» (باشا) تلك الأيام  
شبه معتزل، فقد ضايقه في الغالب أن الملك لم  
يغفر في تربيته من قائم بأعمال رئيس الديوان  
إلى رئيس مكلف به رسمياً، وبدلاً من ذلك جاء  
«إبراهيم عبد الهادي» (باشا) لشغل المنصب،  
بعد أن ظل خاليًا بعد مصرع «أحمد حسين»  
(باشا).



ودخل «إبراهيم عبد الهادي» (باشا) إلى  
رئاسة الوزارة وندبه مهتمان كما سما تكليفه  
● المهمة الأولى إيجاد طريقة للتعامل

بسرعة، وبأى وسيلة مع الاختراق الإسرائيلي  
للحدود المصرية وتلويق قيادة الجيش  
المصري في العريش  
وكان «عبد الهادي» (باشا) قد أراد  
الاستعانة بالإنجليز، لكنهم طرحوا عليه سؤالاً  
بما إذا كان يطلب مساعدتهم على أساس  
ترتيبات الدفاع المشترك الواردة في معاهدة  
سنة ١٩٣٦ - وتوجه الملك بنفسه ووراءه «عبد  
الهادي» (باشا) إلى الحكومة الأمريكية،  
وتدخل الرئيس الأمريكي «هارى ترومان»  
بالفعل لتحقيق انسحاب يفيقه الاتفاق على  
هدنة تمهد للسلم، وذلك جرى التمهيد له  
تحت رعاية الأمم المتحدة (يظهر الدكتور  
«رالف بانش» وهو أمريكي أسود يعمل  
مساعداً لمسكرتير العام للأمم المتحدة) وتقرر  
بالفعل أن تكون هناك محادثات علنية لاتفاقية  
هدنة في جزيرة رومس.  
● وأما المهمة الثانية فهي الانتقام لقتل  
«النقراشي» (باشا) والأخذ بشاره، وقد أحس  
الشيخ «حسن البنا» أنه متطارد ومطلوب،  
وحاول إصدار بيان بإدانة اغتيال «النقراشي»  
(باشا)، نشره فعلاً بعنوان اختاره الشيخ  
بنفسه «أيسوا! وإخواننا! وأيسوا! مسلمين، كما

بالاستاذ «حسن البنا» في تلك الظروف وان  
يطعن على بيان اعمده ليلسعه إلى «عبد  
الرحمن عمار» (بك) وكيل وزارة الداخلية  
ينقله إلى رئيس الوزراء (وكان الأستاذ ابنا  
يرغب في نشر البيان كاملاً في اعمال اليوم،  
وفي تلك الظروف رأيت الرجل واستمعت إليه  
ساعات طويلة.]

لكن محاولات الأستاذ «البنا» كلها لم تصل  
نتيجة ويوم ١٢ فبراير ١٩٤٩ دوى الرصاص  
في القاهرة مرة ثانية، وسقط الشيخ «حسن  
البنا» غارقاً في دمه على خافة سيارة تاكسي،  
استولفها امام جمعية الشبان المسلمين حيث  
كان لتأجده إلى بيته، وبدلاً من ذلك فإن  
سياره التاكسي هرع به إلى قصر العيني،  
وهناك تبين أن الرجل لم يفارق الحياة بعد،  
لكن المشرف على عملية الاغتيال وهو القناصل  
«محمد وصفي» (بك) قائد حرس الوزارات أمر  
بتعقيبه و«الخلاص عليه» حيث هو، تقيظنا  
للاؤامر (الملك «فاروق» ورئيس الوزراء  
«إبراهيم عبد الهادي»).

(وقد آن القناصل «محمد وصفي» أن  
يطلق رصاصاً مسدسه على رأسه ويقتصر -  
عندما عرف فيما بعد في أعقاب ثورة يوليو -  
أن بسره انكشف، وأن هناك أمراً صمد  
بالتحقيق معه على أساس وثائق تم ضبطها  
في أوراق القسم المخصص للمبوسيس  
السيسي)

.....  
.....  
وكان طوفان الطوج الذاتية قد وصل إلى  
المنطقة مثقلاً بعقول دم من معارك الحرب  
العالمية الثانية، وفي مصر بدأ أن هذا الطوفان  
الزاحف قد تحول إلى مستنقع دم تلور وسطه  
قاز مصرية داخلية يفرقع على سطحها دوى  
الرصاص: ■



# تأثير الثقافة العربية في

## الحضارة الفريسية الحديثة

شوقي ضيف



شوقي ضيف

١: ١ ورثت الثقافة العربية في القرون الإسلامية الأولى اللغات العالمية الهندية والفارسية واليونانية، وأبتدأ عبرانها للثقافة الهندية الرياضية في زمن مبكر. إذ أخذت معها أرقام العدد، وأضاف إليها الصفر وكان لذلك أثره البعدي في نظام العدد العالمي، إذ عُرِفَت فيه العشرات والمئات والألاف، ونقل الغرب النظام العربي للعدد عن الأندلس إذ نزل به جسيبرت الذي نقله السابويي باسم سيلفستر الثاني في القرن العاشر الميلادي وعرف نظام الأرقام العربية الإسبانية ونقله إلى الغرب وأدخله في مدارسه، ونقل الغرب النظام العربي للعدد، وشاع في كل بلدانه، وفعصم إلى إنشاء متونهم وأصولهم الحالية، ولو لا الغرب وما أخذه الغرب من أرقامهم ما كانت بيوت ولا أسواق مائية في العالم إلى اليوم.

وقدم وفد هندي في خلافة المنصور العباسي في منتصف القرن الثاني الهجري وأبهر رجل ماهر في معرفة حركات الكواكب وحسابها وسائر أعمالها على مذهب كتاب هندي لهم يسمى جزؤه الأخير «سيد هانت» فأمر المنصور بنقل الكتاب إلى اللغة العربية، ليتخذها العرب أصلاً في حساب حركات الكواكب، وظل العرب يعملون به إلى أيام المأمون إذ نقل إليهم كتاب بطليموس في الحساب والجداول الفلكية المسماة الجسطي فعملوا به، وأمر المنصور بنقل كتب أرسطو إلى العربية ونقل كتاب الأصول لإقليدس وهو في الأشكال الهندسية أمثالها ومركباتها.

ومنذ هذا التاريخ أكتسب العرب على ترجمة الثقافة اليونانية وجميع ما تحمله من علوم وفلسفة، وأسس الرشيد دار الحكمة وولف بها طائفة كبيرة من المترجمين وحاميه لكتب الثقافة اليونانية ووليت كتب كثيرة من بلاد الروم وعمورية وإنقرة، وتلج هذه الموجة الصادقة لترجمة أقصى غاياتها هي عهد المأمون وعرف أن في حوزة قبرص مكتبة تحتفظ بملفات الكتب الفلسفية والعلمية اليونانية، فالتفت من حاكم قبرص أن يرسلها إليه، فأرسلها، وعهد المأمون إلى طائفة كبيرة من المترجمين فنقلوها إليه.. واستأذن ملك قبرصه في أن يرسل إليه وفداً من كبار المترجمين ليحملوا إلى بغداد روائع الكتب اليونانية، وأجابه إلى ذلك، وأقام المأمون مرصداً كبيراً لعلم الفلك وزيجاته، فأرسله هذا العلم الهندي لعمده، وكان من القائلين عليه محمد بن موسى الخوارزمي واضع علم الجبر الذي لم يفتح به في بغداد عصرًا جديدًا في الرياضيات، وعُني علماء العرب حينئذ بعلم الكيمياء واستغنوا فيه

بالتحفة من اليونانية، ونقلوا بزيادة فيه علماً حتى نبغ فيه جابر بن حيان، فخلع فيه كسيراً من التطريبات في الإكسير وخواصه، وهو المؤسس الأول لعلم الكيمياء عند العرب. وكان يوحنا بن ماسوريه يعكف على تشريح القردة وبعد المؤسس للأبحاث الطبية عند العرب، وكانوا قد أكتبوا على ترجمة ما لإفرات وجالينوس من بحوث طبية ونقلوها إلى العربية.

ولمضى بعد المأمون فوجد الخلفاء يغدقون على المترجمين من اليونانية إغداً كبيراً ويكفي أن نذكر ما أغدقه المتوكل على خنيز بن إسحق كبير المترجمين من اليونانية حتى سنة ٢٦٦ للهجرة وقد أهداه ثلاث دور وحمل إليها كل ما تحتاجه من الآلات والفقرش وقطعه بعض الإسطاعات وجعل له راتباً شهرياً خمسة عشر ألف درهم.

ووراء الخلفاء الرياء كانوا يعملون أنفسهم حماة للترجمة والمترجمين وينقلون عليهم أموالاً طائلة مثل ثلاثة إخوة من بني شاعر وكان اثنان منهم يشفقان بالهندسة وكتبها ويشقف الثالث بعلم الصيل (الميكانيكا).

وكون خنيز بن إسحق مدرسة كبيرة للترجمة كان من تلاميذها ابنه إسحق وابن اخته حبش وغيرهما.

ويذكر لحنين أنه ترجم من اليونانية نحو مائة كتاب ورسالة وكان يعني أشد العناية بالكتب الطبية اليونانية لجالينوس وغيره، وكان ملته ابنه بينما كان ابن اخته حبش يعني بترجمة الكتب الفلسفية لأرسطو وغيره، وجعل المتوكل حامين طائفة من شباب المترجمين يكتبون بين يديه، ويمرهم على إتيان الترجمة الدقيقة، ومنهم اصطنع بن ساسيل اليوناني الأصل مترجم كتاب ديسقوريدس في النبات والميدلة لزمن المتوكل.

وتكاثر المترجمون في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي عن اليونانية كثرة فطره، وأكثروا على الآثار الإغريقية العلمية والفلسفية فنقلوها إلى العربية وكادوا لا يبقون كتاباً لليونان بدون ترجمة أو بدون شرح أو تلخيص حتى ليطعن إلى جميع كتب اليونان المهمة ترجمت إلى العربية في القرنين الثاني والثالث للهجرة. ومن يرجع إلى كتاب طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة توهله الكثرة الغامرة مما ترجم من عشرات الكتب والرسائل اليونانية.

ولما أوشكوا على الانتهاء من نقل التراث اليوناني العلمي والفلسفي أخذوا يراجعون نقل أسلافهم له، وما وجدوه يستحق العدد الحادي والأربعون - يونيو ٢٠٠٢م

**تكاثرت المترجمون. في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. عن اليونانية كثرة مفرطة، وأكبوا على المأثورات الإغريقية العلمية والفلسفية ينقلونها إلى العربية وكادوا لا يبقون كتاباً يوناناً بدون ترجمة أو بدون شرح أو تلخيص حتى ليظن أن جميع كتب اليونان المهمة ترجمت إلى العربية في القرنين الثاني والثالث للهجرة**

المراجعة وإعادة النقل أعادوه، وهذا هو السر في أن نجد بعض الكتب يذكر لها أكثر من مترجم، حتى نجد بعض المترجمين الكبار لدى الأنصار مثل ثابت بن قرة المتوفى سنة ٢٨٨ للهجرة، فقد نقل ترجمة كتاب أرسطو في النبات من عمل إسحق بن مئتين، ونُقل نقله لكتاب أصول الفيزيقي من الأشكال الهندسية ويغول الدو مييلي صاحب كتاب التعلم عند العرب: إن هذا التلخيص يصلح الأصل اليوناني في غير موضع، وتتلقي بعده مباشرة بخاصة هذا العصر من المترجمين: متى بن يوشن، وكان من أصل يوناني وُلغ جميع الكتب المنسوبة إلى أرسطو في المنطق وغيره.

ويذكر ينتهي عصر نقل التراث اليوناني العلمي والفلسفي المذهري إلى الثقافة العربية، بحيث أصبح جزءاً لا يتجزأ منها، ويبحث يتم العرب ما كان له من ازدهار في بدايتها إذ كان قد أخذ منذ القرن الثالث الميلادي في الانهيار والتدهور ولم يعد شيء منه معروفاً إلا في ركن ضئيل في أوروبا ببيزنطة وفي مصر بالاسكندرية، وكان يهاني يهياها ما أصابه من التدهور الشديد، أما في أوروبا فقد كانت الثقافة اليونانية مجبولة جبهة شاماً، فلم يكن يعرفها الإيطاليون والفرنسيون والإنجليز والألمان ولا أحد من أوروبا الغربية والشرقية مما وراء بيزنطة يعرفها، إلا أنهم يعرفون فقط ما يستعملون إليه من التعاليم الدينية المسيحية على لسان الرهبان والأساقفة، وما قد يفره عنه من كتب الإيمان المسيحي وحساب القديسين، وليست لهم أي صلة بالثقافة اليونانية وعلومها وفلسفتها التي بلغت غايته الإزدهار عند أرسطو، بينما كان العرب ينقلون إلى بلادهم في القرنين الثامن والتاسع للميلاد الثقافة اليونانية، بكل أصولها وفلسفتها وعلومها، وهو أول احتكاكهم له بالثقافة اليونانية، وأضافوا إلى هذا الفضل فضلاً ثانياً بما زودوا الفلسفة اليونانية والعلم اليوناني به من زاء وفي في المنهج والتطور وما بعد معجزة للحرب بجانب الحضرة اليونانية، وانتفع الغرب عن طريق المحيذين وبينى عليهم لقاءته وحضارته الحديثة.

ونقل أول أدلة الفلسفة، فقد احتفظ لها أصحابها باسمها اليوناني، وهو الفلسفة، وأضافوا إليه صفة عربية تميزه، هي الإسلامية، لأنها تفرق بين الفلسفة والإسلام، وأول فلاسفة العرب الكندي يخشون بن إسحق وهو عربي أصيل من قبيلة كندة، وعاش في القرن الثالث حتى أواخر العقد السادس، وله كتب ورسائل حتى بالعشرات، وتبلغ في كتاب الفهرست لابن النديم نحو مائتين وأربعين، وتتناول الإلهيات والعلوم الرياضية والهندسية والفلكية والجغرافية

والطبيعية والمنطق وهو أول فيلسوف إسلامي وفق بين الفلسفة والإسلام وله في إثبات النبوة كتاب، وكان يرى أن العالم محدث مخالفاً بذلك أرسطو القائل إنه قديم، وأعم نظرية فلسفية له نظريته في أن العقل مصدر المعارف وتقسيمه إلى عقل فاعل هو اللول جل جلاله، وعقل بالقوة في داخل الإنسان، وعقل بالملكة هو عقل الإنسان بعد حصول المعلومات فيه وعقل مبدئ يؤدي للغير معقولاته.

ويقول الدو مييلي إن دي كريستو الإيطالي كبير المترجمين في إسبانيا بالقرن الثاني عشر ترجم للعديدي كثيراً من كتبه، وأن لها تأثيراً عميقاً في الشروب اللاتينية الأوروبية.

وتتلقي بعد الكندي بفيلسوف إسلامي كبير هو الفارابي المولود في فاراب من بلاد الترك وراء خراسان ويقال إنه فارسي، وتلقى في نشأته علوم الأوائل، وخصف بها في بغداد، وأكب على كتبها واستوعبها، وأخذ يحاضر فيها عن فهم دقيق وبصيرة وعنى بإشراج كتب أرسطو في علم المنطق وغيره وشارك بين الفلسفة والإسلام ونهض إلى أن كان موجوداً إما واجب الوجود وإما ممكن، والله وحده. هو واجب الوجود وما عداه ممكن الوجود، ولا جنس له ولا تركيب فيه ولا يمكن حذفه إلا لا يتحيز في مكان، وتؤد بالعقل طويلاً، وقال إن الله فيض عنه مذهب الأول.

منالاه وهو العقل الأول الذي يفيض عنه الظن، وأدوعه أعماله سماء معاصروه المعلم الثاني بعد أرسطو، ومن كتبه الهدية قصص الحكم، وأخص في أوراق منه فلسفته واتخذها ماسك مورثن موضوع دراسة ضخمة، وعنى بوضع موسوعة العلوم في عصره سماها «إحصاء العلوم» ترجمها إلى اللاتينية بديريشي ودي كريستو الذي ترجم له رسائله في الديانة الفاضلة وفيها يحاول وضع نظام دولة مثالية، وللمعتر ابراهيم مذكور عنه دراسة قيّمة، وكانت ولغته سنة ٢٣٩ للهجرة.

وجاء بعده الفيلسوف الإسلامي العظيم ابن سينا المولود بالقرب من بخارى سنة ٣٧٠-٩٨٠ والمتوفى بهمدان سنة ٤٢٨ هـ.

أكتب في فوائص حياته على إيساغوجي والفيزيقي والهندسة والمجسطي في الفلك، واستغلقت عليه الإلهيات حتى رافها كتاباً للغرابي فاضتحت له، وتتمتع الفلسفة عنده بالروح الإسلامية، ولقب بالشيخ الرئيس، ويعد في فلسفته نحو الفارابي، ويخلق معه في الإلهيات وتطابق مع المنطق، وكان يرى - مثله - أن المادة لا تصدر عن الله، لأنه مذهب عن كل مادة وجسم، وكان يرى أن الله لا يصدر عنه إلا العقل واحد، وعن هذا العقل يصدر عقل يدبر الفلك، وخلا بفلسفته الإسلامية خطوة نحو التصوف.

وأهم كتب ابن سينا الفلسفية كتاب «الشفاء» وهو دائرة معارف كبرى في المنطق

والطبيعية والتمتاز بيزنقا أو الإلهيات، ويذكر الدوميني لترجمة له وترجمة أقسام منه إلى اللاتينية في العصور الوسطى، ومائل عنوا بترجمة كتاب المنجاة ودراسته، وهو تخصص كامل لكتابه «الشفاء»، وإيضاً بكتابه «الإشارات والفتنات» وترجم إلى الفرنسية سنة ١٨٩٢، وما شغل به الغربيون من كتبه كتابه في البرد باسم «علاج الحزن»، ولم يكن ابن سينا فيلسوفاً إسلامياً فقط، بل كان أيضاً طبيباً عبقرياً، ومعه فيه الذي سماه «القانون»، شاعت طبعاً في المدن الغربية شيوخاً كبيراً حتى ليقال أنه طبع بالغرب في القرن الخامس عشر ست عشرة طبعة، وطبع في القرن السادس عشر عشرة طبعة وأول مترجمه دي كريستو في القرن الثاني عشر، وتُشغل ترجمته ومؤلفاته وترجماتها عند الدو مييلي ثلاث عشرة طبعة.

ونضم إلى الفلسفة الإسلامية الثلاثة السابقين فيلسوف الأندلس في إسبانيا في ردهم إلى فلسفتهم، وقد وضع شروطاً مطولة ومتوسطة وموجزة لتطبيق من مؤلفات أرسطو.

وكل شروحه أُرجمت إلى اللاتينية، وترجم إليها أيضاً كتابه «تفاوتات التهاات» الذي يرد فيه على كتاب الغزالي «تفاوتات الفلسفة» مادفاً بجملة من الفلسفة وأرسطو، كما ترجم كتابه «فصل الخلق فيما بين الحكمة والشرع من الاتصال» ويورد بالحكمة الفلسفية، ومن قوله فيه: «الحكمة أي الفلسفة صاحبة الشريعة وأختها الرئيسية، وهما مصطفجان بالطبع ومتحابان بالجوهر والفرقة، والفلسفة تشاطب الخاصة والدين يغاطب العامة». وحاول أن يوفق بين أرسطو وعلماء الإسلام بالقول بقدام حدوثه، فقال إن أقدمه بالقوة وحدثه بالفعل وهو قديم محدث معاً، ومنذ نقل دي كريستو الإيطالي وميشيل سكوت الإنجليزي (١٢٣٥م) وهرمان الألماني (١٢٧٢م) أعيدت أخذت تدرس في الجامعات الأوروبية بإسبانيا وفرنسا والمغاديا وإيطاليا وإنجلترا، وانتشرت أفكاره الرشدية على الرغم من سلطانية رهبان الدومينيكان، وللسلطة وتعاليمه أنصار كثيرون وكان أفكاره أثر كبير في قيام حركة التحرير والإصلاح الديني في النهضة الأوروبية، وهو يعد بحق حاميته الفلاسفة الإسلاميين العظيم.

## في أوروبا كانت الثقافة اليونانية

**مجبولة جلاً تماماً، فلم يكن يعرفها الإيطاليون**

**والفرنسيون والإنجليز والألمان ولا أحد من أوروبا**

**الغربية والشرقية مهما وراء بيزنطة يعرفها،**

**إنما يعرفون فقط ما يستعملون إليه من**

**التعاليم الدينية المسيحية على**

**لسان الرهبان والأساقفة**

وقد جعل الفوس السامع (١١٢٦)،  
(١١٥٧) بلططة في إسبانيا المركز الذي  
تنشرون منه الثقافة العربية في  
أندلس إسبانيا وأوروبا، وقد دعا



١٦٣٠ م) وصاغ على أساسها نظريته الفلكية المشهورة في مدارات الكواكب السيارة وعدّها بها أباً لعلم الفلك الحديث، وهو ليس أباه التشريعي، فسأبهو التشريعي البطروجي الإشبيلي العربي. وبلغنا في الهندسة الفضل بن حاتم وله شرح على كتاب الأصول في الهندسة ترجمه إلى اللاتينية دي كريمنو وله شرح على كتاب بطليموس في الفلك. وكما عني الغربيون بمباحث الهندسة العربية علواً يعلم العدد صاحب المثلثات. ومن العلوم اليونانية التي نهض بها العرب نهضة كبيرة الطب وقد نقل العرب عن اليونان لبقراط وجالينوس كل ما الفاه فيه من كتب ورسائل، وازدهرت دراسة هذا العلم عند العرب (زدهاراً عظيماً، ومن أكبر أبطائهم محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٢٢٠ للهجرة رئيس بيمارستان بغداد وأهم كتبه في الطب كتاب الحاوي وهو موسوعة طبية ضخمة، وترجم كاملاً وترجمت أجزاء منه - إلى اللاتينية، واستخرج من ما يهرفه ٢٢ ملاحظة إنكليزية مهمة وفيه وصف لكثير من الأمراض. ومن أشهر مؤلفاته رسالة في الفرق بين الحجر في الحمية، وهي بحث طبي عسالي وترجمت إلى اللاتينية والإنكليزية واللغات الصبية. وفي كتبه الحاوي في الشهرة كتاب المخصوري ترجم مراراً في العصور الوسطى وعصر النهضة، وطبع الجزء الأول منه الخاص بالتشريح بعد ترجمة، وترجم بروند القلم الخاص بالدم.



وكانت مصر تعني بالعلم منذ عصر الفراعنة وعنت به في مدرسة الإسكندرية لعهد البطالسة، وظلت عنايتها متصلة بعد احتراق مكتبة الإسكندرية، أجيالاً بعد أجيال، وترى عن رب عبد العزيز حين صار خليفة يستدعي منها طبيباً إلى أيجر، ويؤمّره، كما ترى هارون الرشيد يستدعي منها طبيباً شهيراً لنعالج إحدى جواربه هو بليطيان، وكان بطبريكا له في القرن الثامن الميلادي، وكانت أشهر أمراض العينين في مصر سببها في نوجع أبطانها في البرد، ولخلف الطولوني في القرن الثالث كتاب النهاية والكتابة في تركيب العينين وأدويتها، وتقال سمع ابن علي طبيب العينين في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم، وأشهر نجاحه في إجراء عملية ماء العين «الكاتاركت»، وابتكر له الإبرة المجوفة التي نقص ماء العين كما يقول الدوميني، وله المختب في علاج أمراض العين. ومن الأطباء الكبار في مصر علاه الدين أبو العز بن نفيس القرشي المصري في العصر المملوكي

نواير نهر الحاصي، وتحدث إليها المياه من علو شافق إلى اليوم، وأنشأ كفة سماوية عظيمة وهي محفوظة إلى الآن في التحف الوطني بمدينة نابولي بإيطاليا. ويؤلف البيروني سنة ٤٢١ كتابه القانون المسعودي في الفلك والتنج ويدل على يتفوق على كل كتاب فيها، وترجم إلى اللاتينية. ويذهب علم الفلك في الأندلس منذ سملة الجريفي في أواخر القرن الرابع الهجري، ويختص بسلسلة الرياضيين الفلكاء هناك وترجم إلى اللاتينية شرحه لعبة الفلك لبطليموس ورسالة له عن الإسطرلاب. ومن كبار علماء الفلك هناك البرقائي المتوفى سنة ٤٧٢، وله زيجات أو جداول فلكية واخترع للإسطرلاب أجهزة دقيقة وابتكر في الفلك نظرية جديدة عن كواكب السيارة والحركات الدائرية للنجوم، وأعماله مترجمة إلى الألف من القرن الثاني عشر الميلادي بكتابه في علم الهيئة التي تؤس في فهم نظرية بطليموس في كتابه عن الكواكب السيارة ناهياً إلى أنها تتحرك في مدارات إهليلجية أو بيضاوية حول الشمس، وكانت نظرية بطليموس قد ظلت تسيطر قروناً بعد قرون وجيلاً بعد جيل إلى أن هدمها البطروجي. وترجم ميشيل سكوت كتابه إلى اللاتينية سنة ١٦١٤-١٦١٧. وبذلك أدخل نظرية البطروجي الفلكية مبكراً إلى العالم الغربي، وبدون شك أطلع عليها كبلر الألماني (١٥٧١

المشرق بعده البتاني في أوائل القرن الرابع الهجري، وكان له مرصد على نهر الفرات وترجم زيجة إلى اللاتينية وضمت له أرصاد بطليموس، ولناثيو كتاب عنه.



وينشط علم الفلك وكل ما يتعلق بالرياضيات في جميع البلاد العربية. وخير من يصور ذلك في مصر أبو كامل شجاع بن أسلم في أواخر القرن الثالث الهجري ويشتهر بتفقيه لعلم الجبر. ويذكر الدوميني أن له رسالة في المثلث ذي الزوايا الخمس ترجمت إلى الإيطالية والألمانية، مما يدل على أنه كان حاداً في الرياضيات والهندسة. ومن كبار علماء الفلك المصريين ابن يونس، ويؤلف الدوميني: كان راصداً للفلك عالماً رفيع الميزة للفلك والسموية، ويأعمل ربحاً في عهد الخليفة العزيز الفاطمي واتمه في عهد الحليفة الحاكم، وكان كبيراً ويشغل أربعة مجلدات فضاء. ويدل على زيادة النشاط الرياضي بمصر والدراسات الفلكية والهندسية والفلسفية حينئذ أن عالماً رأى خزائن القصر الفاطمي سنة ٤٣٥ وكان بها في تلك الدراسات ستة آلاف وخمسة عشر جزء وكرة نحاس من عمل بطليموس الإسكندري.

واشتهر في عهد الأيوبيين قيصر بن أبي القاسم المتوفى سنة ٦٤٩ للهجرة وكان مهندساً كبيراً، وأقام لأمير حماة في الشام

إلى مدينته القرجمين من أنحاء الغرب، وأدخل الخليفة العربية في منافع المدارس المسيحية يساعد في ذلك أسقف طليطلة رايونودو الذي حفر مدرسة القرجمين الطليطيين على نقل المؤلفات العربية في الفلك والرياضيات والطب والكيمياء والطبيعة وما وراء الطبيعة وقسمه أرسطو وشروح الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد، وترجمت مؤلفات إقليدس وبتليموس وأبقراط وجالينوس بشرح أعلام العرب وبلغت طليطلة الذروة في عهد الفونس الحكيم (١٢٥٢ - ١٢٨٤) وهرع إليهسا المستعشرون إلى مناهل العلم اليوناني والعربي من أمثال أسقف البليطيزي الذي ترجم بعض كتب أرسطو وابن سينا والبطروجي وكتب ابن رشد وشروحه على أرسطو إلى اللاتينية، وعلمه هرمان الأمانى في كثرة الترجمة لنهج الثقافة العربية إلى اللاتينية، وقد نقل إليها كتب ابن رشد والفارابي.

وجانب طليطلة ومدرستها الكبيرة في ترجمة الثقافة العربية كانت مدرسة سالرنو في جنوب إيطاليا، وقد نشأت في القرن العاشر الميلادي، وأتيح لها في القرن الحادي عشر الميلادي مستعظمون إيطاليين من قرطاجنة التونسية، وكان قد لُقّب بالعربية وعلوم الأوائل، وعرض على روجار الأول ملك صقلية ترجمة الكتب العربية، فشجع. فخرج إلى تونس واختار له أناس ما كتبه أبطانها، كما اختار له وواقع ما كتب العرب في الفلك والرياضيات، وكان قد أصبح أسقفاً، فأسس له ديراً في جبل كاسينو بالقرب من سالرنو، فأرعى رعيان لدير يتعلم العربية وترجمه ما حمله من الكتب العربية، واشترك معهم في الترجمة، ونرس ما ترجموه في مدرسة سالرنو ومهما نقل إلى الجامعات الأوروبية، وبذلك أصبحت مدرسة الترجمة في سالرنو مركزاً كبيراً لنقل الثقافة العربية إلى الغرب منذ القرن الحادي عشر الميلادي.

ونقل العرب عن العرب علوم اليونان والألم القديمة وما أصاف الحرب إليها من نظريات علمية قيمة، وأبداً بالرياضيات ويعلم الفلك من علومها. فقد صاغ لهم الغزاري في القرن الثاني الهجري ما ذكره فيه ولم يبدلوا أن نقلوا إلى لغتهم ما ذكره بطليموس الإسكندري من نظريات الفلك ونشأ عنهم مرارسة منذ عهد المأمون وزيجاته وآلافه ومن كبار علماء الفلك، في منتصف القرن الثالث الهجري ابن كلسر الفرغاني ويؤلف أبو مبيلى أن لكتابه أصول الفلك ترجمت كثيرة إلى اللاتينية وأثر تأثيراً محسوساً في العرب وله كتب متعددة في الإسطرلاب، ومن الفلكيين بعده أبو معشر البليخي المتوفى سنة ٧٧٢ للهجرة، وله تأثير واسع عند مسيحيي الغرب في العصور الوسطى. ومن كبار الفلكيين في

**جانب طليطلة ومدرستها الكبيرة في ترجمة الثقافة العربية كانت مدرسة سالرنو في جنوب إيطاليا، وقد نشأت في القرن العاشر الميلادي، وأتيح لها في القرن الحادي عشر الميلادي مستعظمون إيطاليين من قرطاجنة التونسية، وكان قد لُقّب بالعربية وعلوم الأوائل، وعرض على روجار الأول ملك صقلية ترجمة الكتب العربية**



## كتاب الزاوية



### حالة حصار

(٣)

أَيُّهَا الْقَوْنُ عَلَى النَّبَاتِ احْدِرُوا،

وَأَشْرَبُوا مَعَ الْهَوَا الْعَرَبِيَّةِ

(قَدْ تَشْرَبُونَ نَائِمٌ تَسْمَعُ نَمْلًا)

أَيُّهَا الْوَأَقُونَ عَلَى عَثَبِ الْبُيُوتِ،

اخْرُجُوا مِنْ صَبَاحَاتِنَا،

نَطْمِشُ إِلَى أَتْنَا

تَسْمَعُ نَمْلَكُمْ

يَجِدُ الْوَقْتُ لِلتَّلْسِيَةِ:

تَلْمَبُ الثَّرَا، أَوْ تَصْنَحُ أَحْبَارَنَا

فِي جِرَائِدِ أَمْسِ الْجُرْعِ،

وَتَقْرَأُ زَاوِيَةَ الْحَقِّ: فِي عَامِ

الْفَيْسِ وَالتَّبْرِ تَسْمَعُ الْكَامِرَا

لَوْلَا رِيحُ الْحَصَارِ

\*\*\*

كُلُّ مَوْتٍ،

وَأِنْ كَانَ مُنْظَرًا،

هُوَ أَوَّلُ مَوْتٍ

كَيْفَ أَرَى

قَمَرًا

نَائِمًا تَحْتَ كُلِّ حَرْفٍ

على مر العصور ابن البيطار الأندلسي الذي جعله السلطان الكامل الأيوبي رئيسًا لصيدلية بمصر، وأهم كتبه «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» وفيه ٢٣٠٠ دواء عن اليونان والعرب وزاد عليها ٣٠٠ دواء، وترجم إلى الفرنسية والإنجليزية.

وترجم معجمًا إلى العربية كتاب الأصول لإقليدس في الأشكال الهندسية ودفع إلى نشاط كبير في علم الهندسة والمكثدي فيه كتاب ترجمة دي كزيمونا إلى اللاتينية، وله ترجمة فرنسية، ويقول الدومينيكي إنه اثر تأثيرًا ملحوظًا في: بيكون ووايتلو، ومن كبار الرياضيين وأهمهم أبو الوفا البوزجاني المتوفى سنة ٣٨٨، ويقول ابن خفيكان هو أحد الأئمة للمشهورين في علم الهندسة، وله فيه استخرجات عربية لم يسبق بها ويقول فيه الدومينيكي، شارح إقليدس وبطليموس عالم أصيل رفيع الخزلة ويقترن اسمه بتمتية حساب المثلثات والمسائل الهندسية وأعظم الهندسين الرياضيين عند العرب الحسن بن الهيثم البصري نزيل القاهرة والمتوفى بها سنة ٤٢٠ وأحد فلاه ثلاثين سنة، وفيها ألف كتابيه «المناظير» في علم الضوء والعدسات وفيه يذهب إلى أن الضوء ينشأ من المراتبات لا من العين، كما كان يظن سابقوه، ويدرس ظاهرة الانكسار الجوي والروية المزدوجة بالعينين، وهو أول من استعمل الغرفة المظلمة وتحدث الدومينيكي عن ترجمته وعن كُفِّ مؤلفاته منقصة من كتابه البصريات أو مأخوذة منه وفي القرن الحادي عشر الميلادي استدعى الملك روجار الثاني ملك صقلية من غرناطة إلى بارمو عاصمته الشريف الإبرسي ليؤلف له كتابًا جغرافيًا، ويقول الدومينيكي إنه من علمائه العرب الذين اشتهروا في نقل كنوز العلم العربية إلى الغرب واستجاب لروجر، ونقل عنه، وألف له كتابه الباهر: «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» وألحق به كرة فضية ترن لثمانئة وأوقية رسم عليها خريطة الأرض والقاليم شعوبها المعروفة مبيها عليها خطوط الطول والعرض لأول مرة في الخرائط العربية ويقوم الكتاب من الخريطة مقام الشرح والتكملة، وهما بحق كما يقول الدومينيكي عمالان علميان باهران نقلًا إلى الغرب كما نقلت الأعمال الباهرة السابقة لأعلام العرب عظيمًا.

ولعل في هذه الكلمة الموجزة أكون قد أوصحت تأثير الثقافة العربية في الثقافة الغربية الحديثة وما أتمت للعلم العالي من اكتمال دوره الثاني إذ رغبته ونمته صورًا متنوعة من النمو وطورته أطوارًا شتى أنطلق الغرب بها ينشئ للعلم العالي دوره الثالث للظهور بالثقافة الغربية الحديثة. ■

طبيب الظاهر بيجرس المتوفى سنة ٦٨٧ وغان رئيسًا لأطباء مستشفى فلادون واكتشف لأول مرة الدورة الدموية الثانية مسجلًا بذلك كشفًا طبيًا مهمًا، ويقول الدومينيكي إن سرقيته نقله عنه في القرن السادس عشر كلمة كلمة، ومما يدل على شهرة مصر في الطب أن نجد السلطان العثماني يرسل في سنة ٧٩٥ إلى السلطان برفوق المملوكي رسالة يسأله فيها أن يرسل إليه طبيب مختص بأمراض الخفاص، وأرسل إليه رئيس الأطباء ابن صغير ومعه أدوية كثيرة لعلاج.

ويذكره علم الطب في الأندلس منذ عهد عبد الرحمن الناصر في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، ولا يفت هذا الإزدحام أن يتوج بالزهراوي أبي القاسم خلف بن عباس طبيب ابنه المختصر المتوفى سنة ٤٠٤ للهجرة وهو أعظم الأطباء الجراحين من العرب، وله موسوعة طبية في ثلاثين جزءًا سماها «التصريف في عجز عن التكاليف» وجعلها ثلاثة أقسام: قسمًا في الطب العام والأمراض، وقسمًا في الصيدلة، وقسمًا في الجراحة، أرفق به صورًا كثيرة للإلهة، وترجم جميعه وأجزأ منه إلى الغرب مرارًا، وانتشرت ترجمته في البلدان الأوروبية، ويقول الدومينيكي إنه ظل اسمي درجات التقدير في أنحاء أوروبا، وظل يدرس في جامعاتها من القرن الحادي عشر الميلادي إلى القرن السابع عشر كما ظل الأطباء في الغرب يمدونه إمامهم في جراحة الأمراض وخاصة المثانة وتفتيتها وعمليات الفتق والدوالي، وبذلك يحد أبا للجراحة العالية كما عد الجيولوجي أبا لعلم الفلك وابن رشد أبا لحركة التنوير الفكري في الغرب، ومنذ القرن الخامس الهجري تشتهر أسرة بني زهر بأبائنا، مثل عبد الملك الذي طبع كتابه التيسير في الغرب مرارًا، ويقول الدومينيكي، يعد عبد الملك أعظم طبيب إكلينيكي عند العرب وابن رشد في الطب كتابيه الكليات وفيه يعرض التشريح ووظائف الأمراض وأعراضها والأدوية وعلاجها، وضمانه تكررت في الغرب.



وكما ازدهر الطب عند العرب ازدهرت الصيدلة منذ ترجمة كتاب ديسقوريدس في الحشائش والأدوية، ويشتهر كتاب فيها لساكور بن سهل في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، وتكثر الصيدلة شرقًا وغربًا، وتشغل الصيدلة القسم الثاني من كتاب الزهراوي السالف، ويشتهر فيها بالقرن السادس الهجري كتاب الخافقي الأندلسي عن الأدوية المفردة في العقاقير وقد ترجم إلى اللاتينية، وأهم صيدالة العرب

■ **تُغيّر الحمام من أهم الفصائل المعمارية في المدينة العربية الإسلامية،** كونه يؤدي دوراً وظيفياً في خدمة المسلم، من حيث تنظيمه وإدارته، تهيئةً لآداء واجبه ديني حيث يبادى عليه القاسية، وهو فرض الصلاة الذي تفرض على كل مسلم ومسجده في المدينة الإسلامية، وقد اُضرت كالحمام في المدينة الإسلامية كثرة وأهميتها، وتقلعت سلطات المدينة إنشاءً وما يتصل بذلك من تزويدها بمصادر الماء ولوازم الصرف.<sup>(١)</sup>

ويُنظر عند الحمام نظراً حضارياً من مظاهر الحياة في المدينة الإسلامية، فالقنار الكريم والسنة المصنوعة يحضنان على ضرورة انتفاع الشخصية، والافتخار بالوضوء والاستخدام واستعمال السواك، وتوفر السبل المادية أن اسمها أن يستمدد مرة على الأقل في الأسبوع، ويخاصة يوم الجمعة، وقد لُوحى الرسول الكريم محمد ﷺ المسلمين بالاستحمام في مناسبات معينة: بعد الحجارة والجماع وفي يوم الجمعة، وعند الحمامة، وبعد غسل الميت. ومما زاد أهمية الحمامات، فتح ذلك ربح السلطة في المدينة الإسلامية على بلدائها، وكان بعض الحمامات في المدينة الإسلامية لا يبنى إلا بمرور على المدينة، ففي مدينة المنصورة كان يتبعين على من يبنى حماماً أن يخلد أبداً رسمياً من الوالي، حتى يستطيع القيام<sup>(٢)</sup>.

وفد ارتى الحمام الإسلامي أن تبني الحمامات مجاورة للمساجد، فطلى سبيل المثال، كانت تظهر حمامات مدينة المنصورة المرافقة قلعة بجوار مساجدها، وعلى مستوى التشكيل المعماري الهندسي، فقد تعد للمعماري الإسلامي إضفاء طابع الأبهة والرفاهية على الحمامات، أن اكتشفت، هذه المرافق وأجهزتها ضخمة وخارجية، فحصة، واستخدمت فيها أحدث أساليب الإنشاء وأعلى التقنية المعروفة<sup>(٣)</sup>. إلا أنه من الملاحظ أن أساليب المعمارية في إنشاء الحمامات الإسلامية ليست إسلامية مبررة، فلهذه الحمامات مظهر مثل المنشآت المعمارية الإسلامية الأخرى، كالقصور، والمتاحف والكثيرة وقباب المساجد، متناثرة بالأساليب المعمارية الحضارية التي سبقت الحضارة الإسلامية، وترامت معها في ذلك، فالحمام الإسلامي وإن كانت مؤسسة اجتماعية صحيحة إسلامية وبالدرجة الأولى، إلا أنه من حيث البناء والتشييد متناثر بالحمام الروماني السابق له.

وله حرص الحضاريون الإسلاميون على أن تكون الحمامات فعارة جمالياً تستريح إليه نفس من يخلده، إذ جعلوها كآثار الأرواح، وترفعه السطوح، عذبة المياه، طيبة الرائحة أن أسرة الحمامات يربده وكثيره، ومن مهنه هند السقوف المرتفعة أن تضمن على تخفيف حر أجسامه، وقد ذكر أبو الحسن محمد بن أحمد بن حنبل (٦١٤هـ/١٢١٧م)، في رحلته المعروفة سرحة إلى جيبير، أن حمامات بغداد كانت «مطيلة نافرة مستطحة، به فحجج للنافر أبة رخاود أسود صقيل، وحمامات هذه الجهات أكثرها هي هذه الصفة لكثرة القفار عديم، شأنه عجيب، يجلب من عين بين البصرة والكوفة».

وعلى مستوى التخطيط المعماري الداخلي للحمامات في المدينة الإسلامية، فقد كان الحمام، ويشكل مع، يتألف من ثلاث حجرات باردة وباحثة وساخنة فحجارة تطل على الهواء الخارجي، والدافئة تتوسط بين الباردة والساخنة، وماؤها أقل حراره من الساخنة، أما الساخنة التي تطل على الاستحمام بها، وتعلوها قبة قليلة الارتفاع مغتوية بعد تقوي، وتكونها جدران، من مهنه أن يصفى على المنصورة زوجاً جديداً مشحاً، أن ترضع الإنسان ثقلاً منه، وتشتع في الحجرة عاكسة ألوان الزجاج

المختلفة، وكان الماء الساخن يجري من القنور الساخنة إلى أحواض المياه الموجودة في الحجرة، وتحتوي الحجرة الدافئة في بعض الحمامات على حوضين مائين، أما الساخنة فقها أربعة أحواض وجن، ومغطس مغروس بالرخام.

لقد كانت الحمامات في المدينة الإسلامية خاصة وعامة، وكانت الخاصة مقصورة على أفراد السلطة الأتية جداً، أن غير الخلقون إلى يخرج مؤلة إلى حمامات العامة كلما احتاجوا إلى الاستحمام، نظراً لتكثيف السلطوية استعماله، وقد اعتبرت خاصة الناس، من أفراد السلطة السياسية، وبعض التجار الأتية جداً، على بناء هذه الحمامات بأقل قصورهم، أما العامة فإنهم يلاقوا الاستحمام في منازلهم على الرغم من كبر بعضها، ويذكر القليبي أن الحاج القاسي (أبو عبد الله محمد العبدري، ٨٣٧هـ/١٣٣٦م) أن «الواحد يشتري الدار أو يبنيتها بنحو ألف» ولا يعل بها موضعاً للوضوء أو للفسل.

وتشير الدراسات إلى أن سلطات المدن الإسلامية أشادت الحمامات العامة، نظراً لوظيفتها الدينية من جهة، ونظراً لاستقلالها عن بيت من البيوت العامة على حمام خاص، لأن الكثير من هذه المدن كانت تقع في مناطق أقرب إلى الجبال الجغرافية وقد درت هذه الحمامات العامة على مالكيها أرباحاً كثيرة، نظراً لكثرة مرئياتها، وما هو أحد أصحاب الحمامات في مدينة البصرة يصرح بقدر دخله من حمامه قللاً: «بني اغتلت من حمامي هذا في كل يوم ألف درهم وطعاماً كثيراً»، وقد ذكرت الحمامات العامة في المدينة الإسلامية، وعُرف في بعض هذه الحمامات أنها كانت طائفية، فعلى سبيل المثال شهد العصر الفاطمي (٢٩٧هـ/٩٠٩ - ١١٧١هـ) حمامات خاصة باليهود وأخرى بالطائفة اليهودية، وثالثة خاصة بالمصريين.

وتشير الإحصائيات في الأدبيات التاريخية إلى أن المدينة الإسلامية كانت غامرة القناريات العامة، وتثبت أرقاماً لا يُستغرب أن يكون فيها كثير من الجاهلية، ميمزكر أن خلوناً (٨٠٥هـ/١٤٠٦م) - نلاً عن الخطيب البغدادي (٧٣٥هـ/١٣٣٥م)، أن الحمامات العامة بلغ عددها في مدينة بغداد، وتحتضن في عهد لأمون أبو هارون الرشيد، خمسة وستين إلى حمام ويذكر أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الجيعفوس (٧٨٣هـ/٨٩٧م)، أن الشرائع التي في بغداد وحده، كان به في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، خمسة آلاف حمام، وجاء في تاريخ بغداد للخطاط أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي أنه كان يعمية بغداد في القرن الرابع الهجري عشرة آلاف حمام، ويذكر تقي الدين أحمد بن علي القزويني أن أقل عدد للحمامات في بغداد كان في أيام الخطيب الجيعفوس الناصر نون الله (٥٧٥هـ/١١٧٩ - ٦٢٢م)، إذ بلغ نحو الألف حمام، وقد حدد على بن الحسن بن عسكار (٥٧٠هـ/١١٧٥م) في أيامه في القرن السادس الهجري - عدد حمامات دمشق بسبعة وخمسين حماماً، ويذكر جمال الدين بن حنبل بن عبد الهادي المسعودي بجان الرشيد (٩٠٩هـ/١٥٠٣م) أن عدد حمامات دمشق ولحمائها التي كانت لثمة في عهده تقدر بحدود المائتين حمام، وقد ذكر القزويني عن ابن عبد القادر أن حماماً من (الأساطيل، والعسك) وأطلال الخلق) قسمة بلغت في سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م نحو ثمانين حماماً، في حين أنها بلغت في عهده (أبي محمد المسعودي، ٥٨٤هـ/١٤١٤م) ألفاً ومائة وسبعين حماماً، إن هذه الأرقام مؤشراً واضح على أهمية الحمامات العامة في المدينة العربية الإسلامية،

وباعتبارها تؤدي خدمات كثيرة لعدد كبير من أفراد المدينة الإسلامية العسرة الذين لا يستطيعون بناء حمامات خاصة في دورهم هنا، وقد سجلت بعض الأبحاث الإسلامية ما قبلها في الحمامات من أوصاف وأشعار، وتختلف قبل ما يأتي، «ليل للخطيب البغدادي صف الحمام - فقال: نعم البيت الحمام، يذهب القشاق، ويعقب النفاثة، ويهضم الطعام، ويحبب الماء، ويغري الغضب، ويهضم الأرب، ويوفد أحدهم حماماً خاصاً، فكله أحد أو أكثر» المدينة بغداد، «أما حمامي، فبني (أي) شخص السمان» وأبهرت من عيشة وبها وبها وبها وبها وبها من فصة مثلية بالذهب وغير طافية ويغسها على هيئة طائر إذا خرج منها أصوت بأصوات طيبة، ومنها أحواض رخاود بديعة الصمة، واليابه تنسج من سائر الأنابيب إلى الأحواض من الأوصاف في بركة أكتسبت القنار، من منها إلى الحمام، ثم ارتى نحو عشر خوات، كل خوة «منها» صنعتها أحسن من صنعة أختها،

بعد هذا المدخل نتنقل إلى أهم المقاطع السردية في حياتها الف ليلة وليلة التي ذكرت الحمام، وسجلت بعضاً من أذهانه، وأخبار جواربه الحسان، والخصوص الداخلي إليه. يمسو الحمامات في ألف ليلة وليلة جنة مصفرة، وقضاء ملباً لملحة، ولذا كان قبة لشخصون ألف ليلة وليلة، الملوك والوزراء والأمراء الأتية والتجار وكبار القوم، وهو قضاء مهم يكاد يضاهي قضاء القصر، بل يفوقه في شأنه الأحيان، ولذا قضاء من فضاءات المنعة فإنه يجب أن يكون على درجة عالية من الأبهة والجمالية، وهو في حال حمام التجار (أبو محمد الحسن)، إذ كان يكثر الشرائع ضيوف إلى محمد استكان يذوق حمامه، وفراوا حيطانه ورغامة من القنارات وهن موزكن، بالذهب والفضة ومزج مزج به الذهب، وكن حمامات المدينة الإسلامية غير تاريخية بعض تركشة، وزينة بالصور، فقد انتفع بعض المسلمين المنشدين، في بداية الأمر، من دخول الحمامات التي قامت في مناطقها للتصايل وزينة جدرانها بالصور التي ذم عن الكبرياء والجبروت.

إن الحمامات في ألف ليلة وليلة لخاصة لاتنمض إلى الجسد، والتوزيع عن النفس، وهو أكثر الفضايات التصايل الخاصة بالجنسية البشرية في الحكاية عند الحمام (العام) إلى قبل من الحكايات والحكايات وسخايتها هنا، رواية لندسة وتشرق أساساً من شروط تعاملها، وتندس وتختلف على ألف ليلة وليلة، ولعل أهم وظائفه هي وظيفته الترفيهية التجميلية للشخصيات، أنماها لائق، وتعمد إلى النفس الجنسي الأولى، ويخاصة عند النساء، فالقوس قبل أن يرفل رجلها ريجان ن دخل الحمام، وهذا في السردية تزوجة هارون الرشيد، عندما تزف إحدى جواربه إلى عشيقته، تاجر يدخل هذه الفاصرة الحمام - لا يذكر المدخل الجارية إلى آخر، وبعد العشرين يوماً (الرجوع العشيقي، فيقول الراوي<sup>(٤)</sup>، «لأرسيد زبيدة إلى القاضي والشهود وتحتوا كتابي عليها على الجارية»، وبعد ذلك علوا الطويات والألحاف والفسحة ومكثوا على الدخول عشرة أيام أخرى، وبعد العشرين يوماً (الرجوع الجارية إلى آخر، وبعد الدخول بها، ولحمام قرة سرية على حمل المرأة المنمنمة هي فجة مشعة، ومطيرة جنبس، أصمتها ناهل كان رجال المسروق، في ألف ليلة وليلة يجلدون إلى إبدال الحمامات وتزينها، بل الصعود، وهو إلى مصر السلطان، وإهانتها له تقريباً منه، وتكسب لونه، وإتقاء

المدخل الجاني والأربعون، يونيو ٢٠٢٠م

## الحمامات

## ألف ليلة

## وليلة

## محمد عبد الرحمن يونس

## يبدو الحمام

## في ألف ليلة وليلة

## جنة مصفرة، وقضاء

## ملبناً باثنية، ولذا كان

## قبة لشخصون ألف ليلة

## وليلة، الملوك والوزراء

## والأمراء والأشراف والتجار

## وكبار القوم، وهو قضاء

## مهم يكاد يضاهي

## قضاء القصر، بل

## يفوقه في بعض

## الأحيان





نعم الحجاب  
يزيد حياء  
ويعقبت الفساف  
وتنقى النطاق  
وتجلب الطمأنينة  
المقام الطمأنينة  
الغصن والنبغ  
الزهر

شهره. يقول أحد المخاضين إلى أحد وزراء ألف  
أيلة وبلية "كلها «أي الحارية» عذق في القصر  
عشرة أيام حتى تستريح فيزداد جمالها ثم  
أدخلها الحمام وغسلها غسلاً جيداً وألبسها  
أحسن الثياب وأطعمها إلى السلطان فيكون لك  
في ذلك الخط الأوفى فتأمل الوزير كلام النخاس  
فوجد صواباً».

لقد كان دخول الحواري الحمام واجباً  
مفروضاً عليهن، وذلك قبل أن يدخلن قاعات  
ملك ألف ليلة وبلية وأمرتهن. ليتشعن مغروس  
الجيش والأسرات قديسيات وزراء لهن في ذلك  
والأمراء، وها هو أحد ملك ألف ليلة وبلية يأس  
خدمه وجواربه «أن يقوموا بخدمته» أي خدمة  
الجارية المحتال عليها والمجاولية إلى قصره،  
ويدخلوا الحمام ويحسبوا لها الحلى  
والخلل (...). ثم يسوما حلاً من ملابس الملوك  
ووضعوا في عثها علفاً من الجوز، وساروا بها  
إلى الحمام، وخدموها ثم أخرجوها من الحمام  
كأنها بذر الحمام، ولما وصلت إلى تلك سلمت  
عليه وقيلت الأرض بين يديه، فحصل لملك بها  
سرور عظيم. وها هو أحد تجار الرقيق، ويهد أن  
يشترى نرمة الزمان يدخلها الحمام، ويحضر  
لها إحدى البائعات لكي تقوم بتجسيته، أملاً في  
أن يبيها بسعر يوافي أحد الملوك أو الأثرياء  
يقول الراوي عن هذا النخاس «ثم أدخلها  
الحمام إلى أحد نرمة الزمان» وأتى لها بيلانة،  
وقال لها: إذا فرغت من غسل رأسها فامسحها  
فيها (..). فلما فرغت البيلانة من نظيفها  
البيستة ثيابها (...). ثم أمرها الفاجر أن تترين  
بأحسن الزينة، ومشت وشي الفاجر قدامها،  
فلما عابها الناس بمشوا في حشمتها، وقالوا  
تبارك الله أحسن الخالين، هنئاً لأن كانت هذه  
عنده.

وعبر تاريخها الطويل شهدت إحتمامات في  
الدين الإسلامي تطوراً حولها إلى مراكز تجميل  
مخصصة، فيبعد أن تطلع المرأة ملبسها في  
القصور الملحق بالحمام، تنضي إلى غرفة  
البخسار، ثم تأتي بعدها الحديقة أو البيلانة  
لتنظفها وتدينها. إذ تقوم هذه البيلانة بزيارة  
الشعر عن مختلف الأعضاء، مستعملة بذلك  
مرصاً لها كوكراً من الزينة الأصفر والشمع،  
وأحياناً تقتني بالسكر الشفط بالليون. فإذ  
في الفن العربية الإسلامية - ومنها طبيعة  
الحال كثير من مدن ألف ليلة وبلية - كان عليها  
أن تتحري أمام البيلانة، لكي تداكها وتزيل عنها  
الشعر ومن هذا ليس غريباً أن يدفع بعض  
الفقهاء في المدينة الإسلامية، للفقير من الحمام،  
واعتباره بؤرة للنساء، ليجال الدين عبر الرحمن  
السويدي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) قال إنه مكروه  
للنساء، أما الفقيه ابن الحاج فقد نصح  
معاصريه من العلماء بعدم السماح للنساء  
بمدخل الحمام «لما اشتغل عليه هذا الزمان من  
المفسد والعوائد الرديئة»، ويرى عن رسول  
الله ﷺ أنه قال (١): «من كان يؤمن بالله واليوم  
الأخر فلا يدخلن الحمام إلا بمشور». ومن كان يؤمن  
بالله واليوم الآخر فلا يدخلن حليلته الحمام  
ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعن على  
مائدة يشرب عليها الخمر، أو يدار عليها الخمر،  
أما الشاعر الفيلسوف القاشي، بعد أن كان قد مدح  
الحمام، كما أشير إلى ذلك سابقاً، عاد وعده  
هاتكاً للنساء، وحارفاً كائنات، حين دمه قائلاً  
«يس البيوت الحمام، يهتك الأستار، ويؤلف  
الأقار، ويحلل كالماء».

إذا كان العرف الاجتماعي في المدينة  
الإسلامية ألف دخول النساء الحمام قبل أن  
يدخلن أزواجهن عليهن، فإنه ألف أيضاً أن يدخل  
الرجال الحمام ليستحموا ويترقبوا، استحماء،  
لتفقدوا الجش، وفي كتابات ألف ليلة وبلية  
كانت المرأة السلطوية تطلب من  
خدمتها أن يأخذوا عشيقتها إلى

الحمام قبل دخوله عليها، ليتبين على أكثر وجه جمالي، استعداداً لأن تشعل له بخور سمعدها وحماره فزود الحبارية، وبعد أن توجهها للمصاهف المسدرة خلفه على إحدى الدن، وبعد أن تلتقى بحبيبتها على شارب بعد سواوت وطولة، ناسر يارب يدكوا الحساء، ويزينوه للسوداء، فافر الخلائس لمول الراوي، ثم أمرت الحاجج أن يقضي في أي حمام ويلبس بدلة خستنة من ثياب الملوك ويكرسه فمرسماً (-) ويصبي به بعد ذلك إلى القصر.



ولقد نعب العهود الإسلامي دوراً أساسياً في ضرورة التهيئة التي تقرب بين المؤمنين، فعلى الزوجة المطلعة والمختصة، في المفهوم الإسلامي، أن ترضى طموح زوجها الجسدي، وأن تهني له نفسها وسجدها لحسن تهيئته، وكان على الرجل أن يحرص على هذه التهيئة، حتى لا يفسد أحسن استعداد وسهولة لملا، حتى يجد لديها ما يحسن ويستعداها نفسياً وفيزيولوجياً، وبالتالي يجعلها تحببه وتدعبه به بدلاً من أن يهونه في أفراسه، يقول أحد الفقهاء: ... نعم إن التهيئة، مما يزيد في عفة النساء، ولقد ترك النساء العفة بترك أزواجهن التهيئة، ثم قال: ليسكن إن تراها على أن تراك عليه إذا نكت على غير تهيئة؟ قلت لا قال فهو ذلك، ثم قال من أخلاق الأنبياء (عليهم السلام): التهيئة والتطييب، وحق الشعر وكثرة اللعانة، وسئل رسول الله ﷺ: ربة المرأة لافعة فقال: لا، والله والتطبيب فأنه من طيب النسبة.

وتشترى حكاية، تلك عمر العثمان وولديه شركان وضوء بكتان، إلى أن حمامات فاد ليله وليلة، ما طافا منها حمامات الخدمت الإسلامية في روح ازدهارها، كانت قضاء تجميلاً بالنسبة للرجال أخصاً، إن يتم بها تجميل الرجال وتطفيقه وإزالة الشعر عن أجسامهم، وهي بهذا تؤدي للرجال الوضعية التي تؤيدها النساء، فأولاده في الحكاية هذا يقولون ضوء المكان، الذي كان دائماً وغريماً في مدينة القسطنطين، إلى الحمام ليزيل عن عيته الرنة، ويطهسه، يقول الراوي: فصفني إلى السوق، أي الوالد، وأتاني له معازي وأركبه حماماً (-) ثم دخل مع زوجته وحسنه في دافئه وعشي إلى السوق واشترى له سدرًا وثقلاً، وقال لخدمته: انك يا سيدي أولادك لحد الحسن لك جسدك، وأولادك يدك ضوء المكان رجليه وشرع يغسل له جسده بالمسدر والثاق، وإذا سبلان قد أرسنه مسلم الحمام إلى ضوء المكان فوجد الولد يدك رحله (-) فشرع الولد يحلق رأس ضوء الحمام ثم اغسل هو والوالد.

إن كان من هذه العجائب التي الحشامات الإسلامية، في الة ليلية وإزالة، تنظف الجسم وإزالة الشعر عن جسمه، فإن على المستخدم أن يكون شبيه أو عازراً أمام هذا الإبلان، حتى يستطيع أن يؤذي ونظافته، ومن هنا فقد عاب الفقيه ابن الحاج على رجال عصره، ككف عاتاقه للبلان في الحمام إزالة الشعر منها، ويبدو أنه كان كل حمام في المدينة الإسلامية منذ ذلك خبير في تجميل عضلات الجسم ومع زيادة القبل البلان في الحشامات التي حتى -دلال على حمام-، جيسر في خلافة الشعر، سواء أوصفه امرأة مصفوفة أو امرأة مصفحة الماط، وكان يبدل نصارى جهده للعتابة فالحي فقلبه غسلاً وتقليمها وصيغها وتطعيمها.



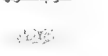
لقد لعب الحمام في ليالي الة ليلية وليلة دوراً محرضاً ومثيراً لشهوة الرجال والنساء، فهو قضاء حملياً لشهوة الإثارة، فغلب الماء

## الحمامات في ألف ليلة وليلة



### حرص المعمارين الإسلاميون على أن تكون الحمامات فضاء جمالياً تسترعى إليه نفس من يدخله، إذ جعلوها كثيرة الأضواء، ومزينة الرائحة، عذبة المياه، طيبة الرائحة، لأن أيقظوا الحمامات رديئة وكثيرة، ومن مهمة هذه السقوف المرتفعة أن تعين على تخفيف حر أقبضتها

الاسلاميون حرصوا على أن تكون الحمامات فضاء جمالياً تسترعى إليه نفس من يدخله، إذ جعلوها كثيرة الأضواء، ومزينة الرائحة، عذبة المياه، طيبة الرائحة، لأن أيقظوا الحمامات رديئة وكثيرة، ومن مهمة هذه السقوف المرتفعة أن تعين على تخفيف حر أقبضتها



الاسلاميون حرصوا على أن تكون الحمامات فضاء جمالياً تسترعى إليه نفس من يدخله، إذ جعلوها كثيرة الأضواء، ومزينة الرائحة، عذبة المياه، طيبة الرائحة، لأن أيقظوا الحمامات رديئة وكثيرة، ومن مهمة هذه السقوف المرتفعة أن تعين على تخفيف حر أقبضتها

الاسلاميون حرصوا على أن تكون الحمامات فضاء جمالياً تسترعى إليه نفس من يدخله، إذ جعلوها كثيرة الأضواء، ومزينة الرائحة، عذبة المياه، طيبة الرائحة، لأن أيقظوا الحمامات رديئة وكثيرة، ومن مهمة هذه السقوف المرتفعة أن تعين على تخفيف حر أقبضتها

الساخن للمنش، وفيه روائح العطور، وفيه المكنون أو المغيرة، فبعد روائح الحبوبية والجم، وتشترى الليالي إلى أن النساء الأخراجات من الحمام بفقرن ألقاق شامخة منخبرات جنسياً للرجال الهائجين الذين لا يستطيعون ضبط شهواتهم المتفجرة، لا ينفذون طلائعهم وراء إغواء أجسادهم هناك النساء، فهي حكاية على نور الدين والفتى الجبب، فخرج حارية الزوري فضل من خالان من الحمام متفككة، وقد «لبست الثياب الفاخرة فترادب سحنها وجعلها»، وعندما تسوع نوب إلى سيدها على نور الدين الذي حذرهما منه تحرج من مقصورتها لنشاهد، وعندما يشاهد الخادم الأخاذ بهماج ويندفع معاقلاً، لها بال الراوي: «لم ألتها نهضت على قدميها وهي يثر الحمام وتقدمت عجب باب المقصورة ونارت إلى على نور الدين فإذا من صمي كالبرق في تمام (-)، وأنا به تقدم من الباب، فحقته ودخل على الحبارية، وقال أنت التي تشترى إلى لي، فقلت له: نعم، فعدت لك بعد الصبي إليها وكان في حالة سكر وأخذ رجلها وجعلها في وسطه وهي شكت بها في عفة، واستقبلته بتقبيل وشيق ونخ، ومص لسانها وصمت لسانه، فلما كان بكارها،



وإذا كان الراوي يفكر حالة الانقباض بفعل السكر، فسأله يعقربن السقوف، إن أهم بواقع الانقباض، في بنية العقيقة، عائد إلى شكل الحارية الخبز جنسياً بعد خروجها من الحمام، وقد زاعها الحمامات بهاء وألقا، وتشترى حالة انقباض الحارية للظهور الخارجة من الحمام في الحام غامق من لوب وفول القلوب، -إشهاد العبد بختك أيا سيدك الصبية الجميلة - لا يترك الراوي أسفاً لها، وقد خرجت مسطرة من الحمام، وفاتحة القفر في ليلة أربعة عشر، بتعجب راوي الحكاية، فيقتلقت ذهنه جوعه الجنسي، ويهبط عليه، ويصغبه، وليس عرفاً أن يصف الراوي وجه الصبية الخارجة من الحمام، بأنه كالقمر في ليلة أربعة عشر، فإن عرقاً مدى حماره مزينة الصبية وخبرتها عبقراً على في تميز جوده ونوبات الحمام، بعد أن تهلل من الاستحمام، قد شهدت حمامات المدينة الإسلامية منبات مامرات في تجميل وجوههن، إلقاء -إن كان وجه المرأة المستحمة يبدو بغيره، من زلات الشعر اللطاف عليه، ثم تبدأ التزيين بتبديس الإنسان بقشر البيض أو مسدوق الكريون، ثم تقوم المرأة ببعض غشير الجوز أو الشامول لتحفره على رطله طيبة ولقدرته على الشفاء والحمد، فبعد طبيعته القاضية، وفدته على أن يضفي على اللثة لوناً أبيضاً لطيفاً، ثم تترك للزينة على وجه المرأة مسدوق الأرن المزجج ببياض الصبي، ثم تقوم بفرجه، ويعيد ذلك فضع مسدوقاً فمرجاً لإضفاء لون رمي على الوجهين، ثم تترك الزينة حاسبية المرأة مسدوق من البخور والأقار والورق الأصفر، وأخيراً يلبس من المعين، إذ تكتحل بالكحل الاصطناعي، وبعد هذه العملية التجميلية للعفة تضي الزينة أحر الفسات الجمالية على وجه المرأة، بأن تستخدم مسدوقاً صغيراً، وتنتقل به نقلاً طبعياً، أو رسوماً خاصة على الجفون أو على جنب الأذن، والجمال في وسطه، وعادة ما يثر على الوجهين، وتقالى أن يتسامل على عملية تجميلية كبد، أو مقاربة لها، كحف سيمتيع رجلها من الة ليلية وليلة الإسلامية وغير الإسلامية المهجون نقماً، أن يضيخوا حماماتهم الغريبة؟

وإنها جبال رجال الة ليلية وليلة ويهتم للجوري المغيرات الخارجات من الحمام، محسب، بل يهاجمون وهم في فضاء الحمام الداخلي، وبعد أن يستحموا، وبعد أن تكون النساء الجميلات قد غارمن هذا الفضاء، نظراً لانتباه

دورهن في الاستحمام ففي حكاية «الملك عمر العثمان وولديه شركان وضوء المكان»، يدخل الحمامات الحشاشين إلى حمام تافيف، ويستحم بناء السحسان، ثم يخرج إلى الحوض الجارية، وبعد أن يكون جسده قد انشعب بلجاء الحمام، يأخذ قطعة خيش، وينام مسدقاً نظافة، جسد، عندها يبدأ نشاط عقاله الجامع، وتخلط صوب الرأه وأماك الجاوي، ويقف على وقع هذا النشاط، مستحضراً العبيد وخدم الحمام، والمساكين، والشياب الجميلة وقوط الحريز، والبلان وهو يدلك، والناس من حوله يشاطبهونه مساحطين الوزراء، «يا مولانا صاحب»، ثم يخرجون ويضعونه على فراش عقيق لا يصلح إلا لطول، وإتاني ليغم الغنم ويكبونه، ويهبط على حمام السدر للمنش راى على منامه صبية، فهايسها، ووضعها بين فخذيه، وجلس منها مجلس الرجل من المرأة.



إن الحمام في تخطيطه المبني بلجر في ابعاد المالحين إليه، رجالاً ونساء، مزييناً في الثخيلات والأحلام اللذائية، وبمجرد الدخول إليه «ينساب المر في نور التنجح إلى أسفل حيث توفد الغرف الداخلية عالماً كمالاً من الأحلام، فالانفتاح في أروقته ليو الانفتاح على السقوفة الخرايصة، ومن ثم الانفتاح التدريجي على الخارج مسعدة انتشار النضار السخان والبارد، ومن شأن الحمام السخان أن ينشط الدورة الدموية عند المستحم، ويهبط الجائنين النفسي والفيزيولوجي عنه، فيجد نفسه ملأاً، ومتهللاً، ومنهلاً لتفريع طاقاته النشطة، عندها تدفع أحلامه وغياته صوب امرأة السقوفة، شاهة، أو كانت هذه المرأة واقعية أم تخيلية.

وإذا كان من طبيعة الحمام الداخلي أنه عالم مساعد على تهيج الحشامات الجنسية وإثارة عند الرجل والمرأة على حد سواء، رجال المدينة العربية الإسلامية، وبخاصة رجال السلطة، مدعوا إلى إضفاء مخبرات جديدة على هذا الفضاء، ليزداد أثره في تعزيز النشاط الجنسي لدى الداخلين إليه، وتجلي هذه المخبرات في الصور المأرأة التي شوهدت في حمامات رجال السلطة، فكل وأمره ووزراء، لقد «انقل السقوف إلى الحمامات صفراً وداخها بخرابها وكأنت هذه الصور ترمي إلى إثارة الغرائز الجديسة».

وتذكر المصادر أن بعض خلوات حمامات الطبقة الحاكمة في المدينة الإسلامية كانت مليئة بالمشربيات الجنسية، من صور النساء والرجال العراة المنقوشة بإتقان حشامات على أرضية الخلوة، ويطلق القوي التمساني صفراً لإحدى هذه الخلوات الجسدية في صفا أحد أواله الوزراء بمدينة بغداد العباسية، كان له وصفه سائل هذا الحمام:

«وريت من المحاسن في هذه الخلوة أن حيطانها الأربعة مغطاة صفراً لائقاً بفرق وبين صلال المرأة، يرى الإنسان سائر بشرته أي حالته شاء منها، وإيت أرضاً مصورة فصوص حمر وصفر وخضر ونضرة وكلها منقذة من بول مسدوق وبعضه أصفر وبعضه أحمر (-) وتلك الصورة في غاية الحسن والجمال، على هيئة مختلفة في اللون وغيره، تعرضت بغير مغفول به، إذ نظر المر إليها صرحت شهوته، وقال لي الخادم السائل: هذا صنع على هذه الصنعة الخسومية، حتى إنه أنظر ما يفعل هؤلاء بعضهم من بعض من الجماعة والتخيل، وضع ليدي بعضهم على أعجاز بعض تتحرك شهوته سريعاً، فيبادر إلى حماجة من بعض (-)، وهذه الخلوة دون سائر الخلوات التي دخلت إليها «وهي مخصصة من هذا الفعل، إذ أراد «سيدة» الاجتماع في الحمام من بهود من الجاوي الحشمان والصصور

الحليفة وكنساء الفلقات الحسن لم يجمع به إلا في هذه الخلفة، من أجل أن يرى كل محاسن الصور المحيطة مصورة على المصاطب ومجسدة بين يديه، ويرى كل منها صاحبها على هذه الصفة».



بن للحمام وظيفة إعلامية مهمة بالنسبة للنساء المحميات الإحصائية، ولغرضها بالتحديد، ولأنه فضاه مباح لاستعراض جمال المرأة أمام زميلاتهن، والتباهي عليهن بهذا الجمال، فمعتاد كانت تدخل المرأة المتخوفة جمالياً كما ينشع خير جمالها في اتجاه الحليفة، فيجلسها أناس، ويحكم الحليفة حولها، ويرغب النساء المحميات في الحليفة في مشاهدتها وهذا ما حدث مع مناسر زوجة الصانع حسن الحليفة التي تقول أنها بعد إيفاد حملاً، باعتبارها ابنة لكل جزائر وفي الوقت، فما أن انقضت مدة السيدات المحميات، ونزعت فيهن، حتى تنالهن نسوة الحمام، وسرعان ما يتكلمن أخبارها في بيوت بغداد. يقول الراوي: «وقامت وميات حواشي الحمام التي يحتاجان إليها، واختبأ هو زن زوجها حين العصري» وصرحت إلى الحمام فلما دخلت فقلت ليهاها هياح النساء جميعاً ينظرن إليها ويسبحن الله عز وجل، ويتأمنن فيما خلق من الصورة البهيبة، وصارت كل من جاءت من النساء على الحمام تدخل وتنتشر عليهن، وشاع في البلد كبرها وأزدحت النساء عليها ونصر الحمام لا يتسقط من كلرة النساء اللواتي هن:

وولغا لخلق التجسس الذي يتحكم في معظم العلاقات الإنسانية، في من كل ليلة وليلة بكل فضائهن، يصر حمر جمال من النساء إلى قصر الحليفة هارون الرشيد بواسطة تحفة العوادة، جارية السيدة زبيدة. أما سكان من السيدة زبيدة إلا أن لرسبت في طلب هذه المرأة الحليفة المحيطة، نصف الجارية تحفة العوادة تنسأ للسنا لسيدتها زبيدة قتلة، وبها يسبحي رايث عجوبة ما في ملها في الرجال ولا في النساء، وفي التي شغفتها وأصاحت على وحيرتي حتى أنشئ ما غسلت رأسي! فألقاها ما هي يا تحفة؟ فألقاها يا سيدتي رايث جارية في الحمام...)) ما راي أحد مهن، لا ليلها ولا يدها، وليس كل صورتهن في الدنيا يساهرن، وعندما تحسن مناسر السنا إلى قصر الحليفة هارون الرشيد، لا تستطيع السيدة زبيدة، أمام هذه المرأة الصميلة، ضبط نفسها وإعجابها الشديدين، فتقوم وتضم المرأة إلى صدرها لتقدير لجمالها الأخاذ. من ملاحظة أن نساة الحليفة والسنا في كل ليلة وليلة فلما يتنازلن عن مكانتهن السلطوية، ويخضعن المرأة القادمة إلى قصورهن، سواء أكانت جارية، أم وصيفة غريبة، أم صديقة عالية الشأن.

ويبدو أن السلطة السياسية في من ألف ليلة وليلة كانت تترك للجوايس في المحميات، لينقلوا لها ما يجري داخلها، وليجسروا لها عن الأشخاص المخطوبين، من خلال علامات رقعة على أحسادهم، فهي كتاب حساب كريم الدين وملكة الحسن،<sup>(٨)</sup> يصاب كل كرزبان بمرض الجذام الخطير، ويجبر أنباء الملكة جميعهم عن سفاته، فيستدعي المتجنمين لاكتشاف سر مرضه. ويؤكد هؤلاء، من خلال كتب التجنيم، أن شفاه يكون على يد شخص ذي عيب حساب كريم الدين، ولا يمكن العلوق عليه إلا في قضاء الحمام. وبعد أن يتسرى، لأن بطنه سواد كما يؤكد التجنيم، عندها يث وزير الملك جواسيس في حكام المدينة الجديفة جاسقوا الشخص المخطوب وهو في حالة استنحاء، مع ما يحدث إلى قصر الملك. يقول الراوي: «واجتمع مع عالم الحمام وكل من كان فيه عيب حساب كريم الدين وتكثروا عليه، ونزعوا عنه العياب مسجونة واحتفاء به» وادخلوه الحمام، فيجرب ما دخل

الحمام وقعد بجانب الحائط وسكب على رأسه من الماء، أقل عليه عشرين رجلاً قالوا له: قم أيها الرجل من عندك، فالت غريب السلطان».

وهي مستوى البنية الحكيمة في ألف ليلة وليلة، فإن الحمام يلعب دوراً وتفاعلاً يكون أدهم مساعدة على تنمية الوحدات السرية، ومن ثم ارتكاحها إلى من خدري تمهيداً لعماد أحداث كحليته جديدة، كما في حكاية حسن الصانع البصري، فدخلوا قبل السنا الحمام في هذه الحكاية كما سبنا نسوة الوحدات السرية، وانتقلوا إلى قصر الحليفة بغداد، وكان فيما بعد ميسراً لتفكك مثل السنا إلى يدها جزائر وفي الوقت، قد أدى هذه المدخول إلى ارتحال زوجها حسن البصري إلى العراق والى لوجت من زوجته، وبالقائى أدى هذا الارتحال إلى تشكيل وحدات حكاية جديدة، وهذا تخيلية مفعمة بالسحر والغربة، وحروب الجان والسحرة فيما بينهم، في وفي الوقت، ومن هنا يمكن القول: إن على كل حكاية من حكايات آل البيت الشيعي أن تخلق حديثاً في ناطقها تاريخي، لكي تستطيع تسخيرها إلى فاعيل، في المدخول إلى الحمام في الحكاية السليافية، هو الذي شكل الوظيف الجديدة التي فيها هيها الضمات الكائنية الجديدة في وفي الوقت، وهو الذي شكل الأبطال النافذين الجدد الذين ساعدوا حسن البصري، ومدوا له كل الوسائل المساعدة للوصول إلى هذه الفضادات، إن الحكاية بكل لفساداتها الكائنية لم تكتف إلى أن الوظيف. فلهذا شيء فيها يحمل دلالة على مستويات مختلفة.

ويكون الحمام في بعض حكايات ألف ليلة وليلة فضاء صحياً يدخله للشغوص، احتفاء بالفساد من الأراضي الطويلة والمزمنة، لقد تعارفت لمن الإسلام في ألف ليلة وليلة، على أن تحسني بشقاء بطنها المرضي، من الملوك والأمراء والتسحر، وبقيعة البشري الطغيان الاجتماعية الأخرى، وذلك بالخدم في الحمام تعبيراً عن فرحتها الشخصية، وتفاؤلاً بها الشفاء، ففي حكاية «هارون الرشيد من السيد»، يقول أحد أبطال الحكاية هارون الرشيد من زوجته: «طفا مررت مرضاً شديداً لم أفقد من لياطها حتى حصلت لها العافية، فأمرت أن أضعها».

إن الحمام في ألف ليلة وليلة قدرة على تبيد الموم والأحزان، فهو فضاء تدخله الشخص... في بعض الأحيان، يتسنى مصالحتها، وتجتمعها لوزنها النفسي مع ناتها، والاجتماعي مع مجتمعها وإلى الحمام تدخل المرأة كشيعة ورثة، وتخرج منه مشرفة، وقد ظهرت عليها آثار العفة، وما هي قوت القلوب تدخل عليها غام من ابوب، وانه، ولأخنة وقد أحد حمامات بغداد، وعندما يخرجون يمدون وقد تبعد أحرارهم، وزنت إليهم أرواحهم.

وفي حكايات ألف ليلة وليلة تقرر العجائز على المصالحات لغويين على في جهنم، وتظلماتهم الحسية، بعد أن عطفاتهم، أن يستمعوا توازنهم للعاطفي بالكتاب إلى الحمام، وما هي إحدى عجزات الحليفة تطالب من على شار أن يدخل الحمام، وفيقوى عزيمته بعد أن خطف السلطان جاريته زهر، إلى إقننه طويلاً، نظراً لحيته السديدة لها، وما يصعب الحمام عظم سحرها على الخلفين، وما قد أفق إفساء البهيبة عليهم، ومتمم عجزهم، والعزيمية الجديدة، التي تعفهم لا تصار على فحلتهم. ويصعب دخول الحمام في بعض الأحيان إيماناً بتأنيده قهر العزاء والحنن على الأمل والإيمان الذين أخذهم مزلزلات ومغرق في الحماقة، بفكرات رواة ألف ليلة وليلة، ففي حكاية «توند الجارية»، يحزن أبو الحسن على وفاة والده التاجر البغدادي حزيناً شديداً لا يذكر الراوي أسماً له، فيقيم العزاء في بيته

## الحمامات في ألف ليلة وليلة



### يذكر ابن خلدون،

### أن الحمامات العامة

### بلغ عددها في مدينة

### بغداد، وتحديدًا في عهد

### المأمون، خمسة وستين ألف

### حمام، ويذكر أحمد بن واضح

### المعصومي (٢٨٢هـ/ ٨٩٧م)،

### أن الحجاب الشراقي في

### بغداد وحده، كان به في

### القرن الثالث

### الهجري خمسة

### آلاف حمام



أياماً وإيالها طوية، فمدخل عليه اصحابه، ويأخذونه إلى الحمام، ويقدمون له الطعام والشراب والحواري الجميلات، وبذلك يبني طقس الحياة ليبدأ طقس المسرات واللذات، ويتزامن دخول الحمام في بعض حكايات ألف ليلة وليلة مع طقس الإفساء بلقاء الإحبه والأصدقاء والأقرباء الذين باعدتهم الشخصيات الضورية، ففي حكاية «سيف الملوك وديحة الجبال»، يلتقي مساعد ابن الورير فارس مع صديقه الصميم سيحيا الملوك ابن الملك عاصم بعد فراق طويل، واحتفاءً يرجع فارس بإخباته إلى الحمام، ويلبسهون الثياب الفاخرة.

في الحمام يسترخي الجبار، للتكوير، بعد أن تكون الرياح الهوجاء قد مزقت أشعة منكمهم، وأغرقت بصفتهم، فهو بالنسبة إليهم فضاء للام والرجاء ونسيان المحاسن والتسائل المالية، وإعادة السمات. والسدايد الجري في السفرة السامعة لتدفقه الأنوار مدينة عليهم بعد أن تخطمت سفاهة، فيبذلته سكاها، ويأخذه شيحها في الحمام يقون السدايد، فمسقت بيدهم وأما لمن ليدت شدة الجوع والسرور والسوق، فقلاني من بين هؤلاء المعاة خير عبيد وهو شيخ علي، ورجب في ورسى على ثيابا كشيعة حسيلة، فاستمرت بها عورتى، لم أحسنه وسار بي وأدخلني الحمام وجاء بالأشربة المنعشة والروائح الزكية».



إن الحمام فضاء جمالي حرّ لانه يمنح الحرية لبعض النساء، فهو يسهم في خروج المرأة من فضاء رز زوجها، من رباته، ومن علاقاته المحكومة بمجموعه من القيم والضوابط العائلية، إلى فضاء الأسواق بفتحها التجارية، وصحتها الاجتماعية، وإفادتها على شرائع اجتماعية عديدة، إلا أن كان على النساء الإقبال على الحمام في المدينة الإسلامية أن يبدخان الأسواق حتى يصلن إلى الحمامات، لأن هذه الحمامات كانت تترك بفسق هذه الأسواق، ويجوز للمساجد، وهناك في الحمام تقرر المرأة من عية الضوابط والأعراف السائدة في منزل زوجها، إذ يسترخي جسمها وسط هالات من البخار، وتادر زوجها الضوابط العرفية صوب كل ما لا تطاب، ومن هنا فلهذا في بعض رجال ألف ليلة وليلة حظوة الخروج من المنزل إلى الحمام، فحذروا ناسهم، ومنعهم من الذهاب إليه، كما في حكاية «حسن الصانع البصري»، ينع حسن البصري زوجته مثل السنا من الخروج من منزلها والذهاب إلى الحمام، ويوصي والده بأن لا يسمح لها بذلك.

وعموماً يبقى الحمام أساسياً وحضارياً مهماً في ألف ليلة وليلة، ونظراً لأهميته، فإنه يجب أن نتوافر فيه عدة شروط، وما هي توند الجارية تحدد بعضها منها عندما يساهلها المحامي، وبخسرة أخلاقية هارون الرشيد، رايث الحمايات الحسن، لتنجيبه: «ما عاب طاق وأتسع فضاء وطاب هواء، بحيث تكون أوقوشه أربعة خرفعي وشوي وريعي وصيفي»، وحتى تتأكد لاعتنائه العلاجي صحياً يجب ألا يدخله شبعان، عى قد تعبير توند الجارية، وهذا الذي ينطق عن راي بعض الفقهاء الإسلاميين الذين يذكرون أن دخول الحمام على الشيعة يعد «من المهلكات»، ويبدو أن على المسحون يكون دقيقاً في مراعاة شروط دخول الحمام والخروج منه حتى لا يصيبه الآتي المرض، ففي حكاية «علي نور الدين وأبيس الجليل»، يدخل نور الدين للفضل بن حفاف، والد علي نور الدين، الحمام، ويخرج منه سبلاً بالعرف، فيصميهون الهراء، ويلتزم بالسواد، ويحاول به السها، ويتسلل إليه الضعيف، ويشق شقة وموت، وإذا كان

وليلة



五、

الخروج من الحمام، وعلى الرأس على السرة  
 يتنقّل على ظهر الحمام، والرجل مرفوعة  
 حذو، وتلجأ إلى بقعة الخشب المتألمة  
 الحارة الكبيرة، إلى فيه فضاء الحار المصعب  
 بالبراز، فضاء الحار إلى الحارة، إلى هذا  
 إلى يمينه فضاء على سبيل الصحة  
 السعيدة، إلى هذه القناتين الحارتي  
 تعرضن إلى الجوع جسمه في فضاءه فضاءه  
 وفردته على فضاء الأرض فضاء المسحوق،  
 وتؤدي إلى من هذه القناتين الحارتي  
 يتخرج من الحمام، وذلك من الفرفة  
 السائبة إلى الفرفة السائبة إلى الفرفة  
 بيت، إلى، وهناك، إلى الفرفة السائبة يقضي  
 بعض الوقت فلا يعاني فضاء حار إلى  
 فضاء الخبز، فلا يعاني فضاء حار إلى  
 فضاء حار، فلا يعاني فضاء حار إلى

وعلى الرغم من مهاجمة الفقهاء الإسلاميين  
المختصين لخاصة واعتباره قضية أممية  
للأمر، ومعسداً لخلافات واسعة، وعشفاً  
للغارات، فإنها بقيت على أن يعرض القرآن  
والأحاديث والأحاديث التي هي حياة الدنيا  
الإسلامية، فهو من أهم المقامات التي هي حياة  
الإنسان، وإذا كانت الحياة الدينية هي الحياة  
الجزئية، على الرغم من أهمية مواظبتها،  
واستبعاد قطعها، فإن أفضل في  
وجود هذه الحياة يعود إلى الإنسان.

ويشير بعض الموقنين إلى أن النحمان أن  
العلماء معسداً لهذه، إذا يلعب بعض الولاة  
وتنسيقاً على خدمهم في البحر، ولم يتوان  
بعض الفقهاء الولاة السياسية، في توفير  
العلماء لخاصة زوارهم الدينية، ولا تفيل  
على شراء زوارهم المحلات، وإخلائهم أمام  
الزوار.

هذه أهم وظائف الحفصاءات في المدينة الإسلامية وملاحظتها كما جاءت في بعض نصوص ألف ليلة وأيلة الحكائية، وبعض نصوص التراث العربي. وإن اكتفى بدراسة هذه الوظائف والملازم، فلأنها القاسم المشترك بين جميع حكايات ألف ليلة وأيلة التي احتضنت الحفصاء وشكلته، واعتبرته فضاء مهماً لنمو تحدياتها، وحركة وجدانها سرية. ■

(١) عثمان، د. محمد عبد الستار المدنية الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت العدد ١٧٨، الطبعة الأولى، دار الفجيرة ١٩٨٤ أ/ب (١ أغسطس)، ١٩٨٨ ص، ٢٦٤

(٢) الفيلادري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت ٢٧٧/ ٨٩٢) من كتّاب فتوح البلدان. اختار المصنف وقدم لها، د. شوقي أبو خليل، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، طبعة ١٩٩٧ ص، ١٤١

(٣) جبرائيل، أوليج، وآخرون، نراث الإسلام تصفيف  
جوزيف شافت وكليفورد يوزورث، ترجمة د  
حسين مؤنس، ود، صدائي الممد، سلسلة عالم  
المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،  
الكويت، العدد الثاني عشر الطبعة الثانية  
رمضان ١٤٠٨ هـ / مايو ١٩٨٨ م، القسم الثاني  
من الجزء الأول، ص ٢٣٥

(٤) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (٨٠٧هـ/١٤٠٦م) كتاب القدر وديوان الينفقا والصبر في أيام العرب والجزير والكثير، ومن عاصريهم من نوى السلطان الأعجم مقدمة ابن خلدون، تحقيق وشرح د علي عبد الواحد والني، دار بهجة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، مسرّم ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م

٨٤١/٢

(٦) ابن الجوزي، أبو القروح جمال الدين عبد الرحمن

بن علي بن محمد (ت ٩٧٧هـ/ ١٧٠١م) كتاب  
أحكام النساء، تصديق ريبا همدان، دار الفكر  
للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت الطبعة  
الاولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٤٥

(٧) عن/السعدى، صباح الحياة الجنسية في الإسلام، ص ٢٤

(أ) نظراً لأن طبيعة دار مكتبة الحمياء، وهي الطمعة التي اضمحلتها هي دراسي، لا تضع اسماً لكل حكايات ألف ليلة وليلة، فقد وضعت اسماً لكل هذه الحكايات التي اقتسمت منها، معتمداً أسماء أبطال هذه الحكايات، وأسماء أشخاص الشخصيات الواردة فيها. وإن لم يكن بعض الرواة قد سموا أسماء أبطال الحكايات، وليس اكتفيهم بوضع إحدى صفات هؤلاء الأبطال، كأن يقول مثلاً: «حكاية حائل بن عبد الله القسري» مع انشأب الحمياء، فمشارفة ذلك.

٣٢ عاما في خدمة الثقافة العربية



للشهداء (شعر) \_\_\_\_\_ غزالي عبد الرحمن القصيبي

الزعامتان السياسيتان العربية واليهودية في فلسطين —	د. قيسر القاشف
الصورة البلاغية في تفسير التحرير والتطور —	حنا بري
اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية	ترجمة عبد الكريم مجاهد
السيرة الذاتية في الأدب العربي —	تهاني عبدالفتاح فاكر
اللفظ وسكولوجية الخطاب	د. ميمون شريف اسميّة
مصطفى وهي التل (عرا) —	زياد الزعبي ولخرون
صهيل الأسنّة (رواية) —	رشيدة الشاربي
وجهة البوصلة (رواية) —	ليلى القاضي
الأعمال الشعرية —	فؤاد عديد

تغلب منشوراتنا من



صمان، القيسائي، شارع عبد الحميد شومان، بئر ستر، هاتف ٥٦٠٥٤٣٧، لكناكس: ٥٦٨٥٥٠٩  
 بيروت، الصلح، شارع ليون، بناية عبد بن سالم، لكناكس: ٧٥٢٣٠٨ / ٧٥١٤٣٨  
 محمد القزولي: mkasyyal@jonet.com

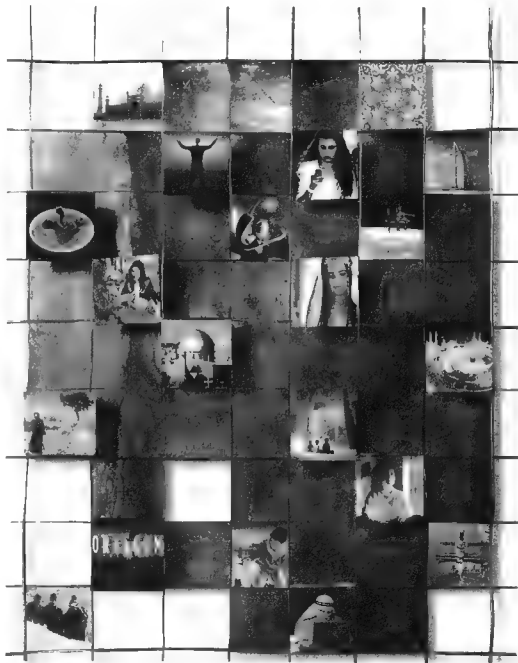
## الطعم والهضم

## معلقة ورا معلقة



العدد	العدد	العدد
كل من اجابك قول - طمعت فانك تاتيها وتقول - طمعت فكناك وتقول - طمعت فكناك وتقول - طمعت	كل من اجابك قول - طمعت فانك تاتيها وتقول - طمعت فكناك وتقول - طمعت فكناك وتقول - طمعت	كل من اجابك قول - طمعت فانك تاتيها وتقول - طمعت فكناك وتقول - طمعت فكناك وتقول - طمعت

## The First Arab Communications Community



WWW.ORS.COM

**Egypt, Jordan, Syria, Yemen, Algeria, Tunisia, Pakistan**

Tel (202) 3026930 Fax (202) 3043201 Address 160, 26th July St. Agouza, Cairo, Egypt  
[www.orscomtelecom.com](http://www.orscomtelecom.com)

ORS-COM

# وأمة ثورة الانفة لاب

أساسيين... البترول والتمتع المدني، فقد أدرك أن القضايا واحدة ومتشابهة، وسفر عادل لبرميل النفط يساهم في تحقيق التنمية.. وجود مجتمع مدني قوى يدعم نجاح التنمية.. التنمية القصية الأولى، فإن السعر العادل للبرميل يجب أن يشعدي عشرين دولاراً، ويحتاج الأمر لخطوة تحرر فعالة.. ويفضل ديمابكية شخصية وتحرراته السريعة، قام «شافيز» بزيارات متعددة للمملكة العربية السعودية وليبيا والجزائر ونيجيريا وإندونيسيا والكويت والعراق والكويت والترويج وروسيا.. داعياً إلى إعادة التضامن مع مستوى منظمة أوبك وعلى صعيد العلاقة مع الدول المنتجة من خارج المنطقة.. ودافع بقوة عن ضرورة إيجاد سعر عادل لبرميل النفط واعتمد في خطته على تكوين شركا متساهلة مع المملكة العربية السعودية والكويت لملح البترول البالغ ثلاثين.. وبعد أن توصلت لوزيرة الأولى محددة فأنها طرحت إشاءة «ألبه خسة البرميل، تقوم على سعر مركزي وهو عشرين دولاراً، وهو سعر عادل للنفط الخام والنفط المكرر، وهذا السعر يرتبط بمؤشر الإنتاج، فلن أن السعر أربعين عن ذلك يقوم المنتجون أوتوماتيكياً بزيادة الإنتاج بمقدار ٥٠٠ ألف برميل، وعلى نحو آخر، لو انخفض سعر البرميل عن اثنين وعشرين دولاراً، يقوم المنتجون بخفض الإنتاج أوتوماتيكياً بمقدار ٥٠٠ ألف برميل حتى يعود السعر لحالته الطبيعية.

في ذات الوقت «كان شافيز» يقوى من قواعد المجتمع المدني في البلاد وبين الكوادر الضورية لتبسيده والدفاع عنه لتقدم أسس الديمقراطية بالمشاركة.. وليتمكن من تنظيم الجهود الشعبية والفئات القاعدية لمفديده برنامحه السياسي للتغيير والكفاه على الناس بواسطة الثورة من اسفل.

والفكرة من مفهوم «المجتمع المدني» انه الديمقراطية التي تضم «الجهات الذاتية» والجمعية للمواطنين في إطار التنظيمات الطوعية الحرة التي تعالها العام بين الأسرة والدولة ولتحقيق مصالح أفرادها متمركزة في ذلك بغير الإصرار والتسرع والتسارع والإرادة السليمة للتحقق والاختلاف.. وعندما أتى خريف عام ٢٠٠١ انتشذ «شافيز» عدة خطوات تنفيذية لبرنامجه عن طريق إصدار ٤٩ قانوناً جديدة، بمقاربة عملية ثورية متكاملة على المستوى الدستوري تضمنت إجراء إصلاحات زراعية وإعادة هيكلة قطاع البترول وتقوية دور الدولة بالاشتراك مع المجتمع المدني في إدارة عملية التنمية ويدات شخصية «شافيز» ودوره التاريخي يثيران حفيظة وضيق الإدارة الأمريكية.. وإذا كانت الثورة من اسفل قد بدأت في فنزويلا.. فلن الثورة المضادة كانت تنهيا للانطلاق ومن حال عليه تأميرة شديدة الإحكام.

بدأت قصة الانقلاب الأول «العسكري» الحادي والأربعون.. بومبة ٢٠٠٢

ويقول القونسو: «إن الفكرة اختمرت في نضحي بعد أن قام جمال عبد الناصر بتأييد قناة السويس وتصميم للاستعمار في تلك الفترة الحاسمة من تاريخ العالم. فقد اكتشفت إحتاجة تحقق السيادة الوطنية على مواردنا لأول مرة.. وبالفعل كان ميلاد منظمة أوبك بالمقاهرة عام ١٩٦٠ بعد عدة اجتماعات سرية بين القونسو وبين عبد الله الطرقي وزير النفط السعودي في نادي اليخت بضاحية المعادي جنوب القاهرة.

الذين شافيز عندما جاء للسلطة عام ١٩٩٨، تولي في نفس الوقت رئاسة منظمة أوبك، ولم يغب عن ذهنه الدور التأسيسي الذي لعبته «فنزويلا» في حياة المنظمة. وكان المشهد البترولي في متفحي الخطورة.. فقد تدهور سعر البترول إلى ثمانية دولارات للبرميل.. وتوقفت فكرة في ملعب جبهة الدول المستهلكة والتي تمتعت عبر آليات عسكرية من تكثيف جهود التعاون فيما بينها.. ومن خلال تفعيل جهود الوكلاء المولدين للنفط.. في حين تعسرت الأوضاع داخل منظمة أوبك لتطشني اللبس في حصر الإنتاج وسيادة الروح الفردية في الكلب على الأسواق، ولم يعد هناك حد أدنى للتسويق والتسعين من أجل موقف متماسك يحافظ على سعر عادل لبرميل البترول يغطي تكلفة الإنتاج مع هاشن ربح يستوفي إحتياجات برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية

ويقول المؤلفان باستور ومارتينيز.. إن برنامج شافيز للتغيير اعتمد على عاودين

الحاكمة.. بعدما تمكن شافيز.. خلال ثلاث سنوات فقط.. كما يرى المؤلفان.. من إجراء تغييرات سياسية واقتصادية وتنشورية سريعة ومنظمة ووفقاً لبرنامج محدد.. استطاع من خلاله تكوين «الكادر البترولي» الضروري لشروع الثورة السليمة وتحقيق الديمقراطية بالمشاركة

كان رهان «شافيز» في نجاح برنامجه للتغيير على البترول وعلى المجتمع المدني، واعتمد في ذلك على تراث فنزويلا البترول في تحقيق الاستقلالية والتحرر على الصعيد الداخلي وعلى المستوى الخارجي، وهو الجنرال للثقف الواعي بشراحيه باله، حيث تأثر منذ نعومة أظفاره بشخصية مدير أمريكا اللاتينية «الجنرال سيمون بوليفار» والذي خاض معارك ضارية مع كافة أنواع الاستعمار الخارجي، وله غير شافيز اسم فنزويلا من الجمهورية الفنزويلية» إلى «الجمهورية الفنزويلية» في إشارة موجية ولفتة تقدير أيضاً لحر أمريكا اللاتينية. والشخصية الأخرى التي تقرر بها.. كانت لوزير البترول الفنزويلي الشهير الدكتور «بيروس القونسو» استناد القونسو ومؤسس منظمة أوبك.. وهو رجل صاحب رؤية بترود مدى سيطرة الشركات البترولية العملاقة على سعر البرميل من الشكر.. وأن أي تغيير لهذا الوضع كان يستدعي قيام جبهة ليهول لتغييره.. ويقول القونسو: «كانت رؤيتي تستند على ضرورة التعاون والتضامن بين المنتجين من خلال كيان يحافظ على مصالحهم ويتابع عنها أمام جبهة الدول المستهلكة والإحتكارات البترولية



كان مؤسداً منظومة أوبك

بالقاهرة عام ١٩٦٠ بعد عدة اجتماعات سرية بين وزير البترول الفنزويلي القونسو وبين عبد الله الطرقي وزير النفط السعودي في نادي اليخت بضاحية المعادي جنوب القاهرة

٤٨ ساعة فقط هزت أمريكا اللاتينية واخست خلالها أوضاع قادة منظمة أوبك.. فقد عاشت «فنزويلا» خلال يومين (١١ - ١٢ أبريل ٢٠٠٢) أسوأ انقلابين في التاريخ «الكادر الأول» عسكرياً، أطاح بالبرليس «الجنرال» المنتخب من الشعب عن طريق ضباط الإقراع والانقلاب الثاني «مدني» مدعي الرئيس سرى إلى قوة السلطة وقبادة البلاد.. كانت لحظة جديدة ومختلفة في تاريخ عالمنا المعاصر والذي يشكّل على محو أحر مد سقوط حائط برلين وانتهاء الاتحاد السوفيتي وإهبان المعسكر الإشتراكي عندما جاء جنرال المحلات «شافيز» إلى مقعد الرئاسة في فنزويلا.. انقسمت الآراء حول الحدث

فالغالب ملو لا تحاجه وقد سهرهم خطابه الصادق الحماسي وشخصيته الجذابة وبرنامجه الانتخابي الذي تعهد فيه بإجراء إصلاحات جذرية هدفها تحقيق العدالة الاجتماعية وإحداث ثوار على من خلال حسن توزيع الثروة البترولية.. جره من الإبتعاجتسياسه رافه على الوجهات الاجتماعية للرئيس المنتخب، بينما رأى الجزء الأخر فيه.. زعيماً ميماجوجياً شعوبياً على طريق انهزايه.

أما طيفه الانفصالي ورجل الأعمال فاستور اعتبروا «شافيز» مجرد نسخة مكررة من جدرالات أمريكا اللاتينية.. الذين يحسبون النحت للحماني ويحبون مظاهر الفساده وسرعان ما يغفسون في نعيم الأبهة والفساد السياسي.. سادس أحلام القلواء بدت شخصية «شافيز» محيرة ومثيرة للتساؤلات.. ويات تجرته في سلك الحكم على امصاته أو ربه

الصحيحان روبرتو فيشيانو باستور وروين مارتينيز.. تنص «العقوبة» بأنهم شيد.. خلال ثلاث سنوات.. ونشروا نتائج التجربة في كتاب صدر العام الماضي.. فدما من خلاله تحليل عميقاً وموثقاً لنفصاليه التجربة، لأنها وضعت علامة فارقة في النظام السياسي الفنزويلي.

إن انتخاب «شافيز» كان تعبيراً عن إرادة جزء مهم من الجسم الاجتماعي وخاصة الفئات الشعبية المهمشة.. والتي عانت من الفساد وانعدام المساواة والعدالة الاجتماعية نتيجة وجود نظام سياسي متجمد يقوم على تعديدية مقيدة بقيادة حزب سياسي واحد سيطر على السلطة منذ أربعين عاماً.

وهذا التجمد أطيح إمال القلواء وحاصر أحلام الطبقة الوسطى وعطل من تحفها رغم توافر عدة فرص.. لم يكس لها الإبحاح بسبب غياب الرؤية والإرادة السياسية لتخفيف

Cambio Político y Proceso Constituyente  
En Venezuela (1998 - 2000)  
التعبر السياسي والدستوري في فنزويلا (١٩٩٨-٢٠٠٠)  
برنامج الرئيس هو حو شافيز للتغيير السلمي  
تأليف روبرت فيشيانو باستور وروين مارتينيز  
دار آلو للفتش.. غاليشيا.. أساميا سنة ٢٠٠١

# الفاتش في فنزويلا

## عمروكمال حمودة



مروكمال

مقدمة استغرقت شهرين، عندما جرى الرئيس شافيز تغييرات إدارية في الصوف الأولى لشركة بترولايوس دي فنزويلا، وهي شركة البترول الوطنية المملوكة للدولة، عندما أراح كمال الموظفين الذين طالبوا بضرورة إدخال استثمارات أمريكية في الصناعة البترولية، وكانوا على لقاءهم مع رئيس رابطة رجال الأعمال، بيدرو كارمونا، وله صلة صداقة وثيقة مع الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش.

بيدات الاحتجاجات من مجتمع رجال الأعمال تصل لغير الخامسة، ولم يلب ذلك الرئيس من عزمه... إلى أن قررت نقابة أعمال الرئيسية في فنزويلا بدعم من أصحاب الأعمال إعلان إضراب عن العمل تضامناً مع كوارث شركة بترولايوس دي فنزويلا، مطالبين باستقالة الإدارة الحديدة التي عينها الرئيس «هوجو شافيز».

تحركات المظاهرات بفعل فاعل في العاصمة كاراكاس وتبنت محطة تلفزيون محلية ملكها رجال أعمال بث بيانات وأخبار تحريضية ضد الحكومة. وبدأ الاحتجاج بعدم الشوارع وحدثت مواجهات بين أنصار شافيز ومعارضيه أسفرت عن مقتل عشرة أشخاص وإصابة ٩٥ آخرين. ولذا بإدارة الأمريكية تدعى في تكاليف المستحدث الرسمي لوزارة الخارجية عن دكتاتورية «شافيز» وتخطيمه للدبلوماسية في البلاد وشاركه في ذلك «بيدرو كارمونا» رئيس رابطة رجال الأعمال في داخل فنزويلا.

ورغم تصالف اتحاد العمال مع رجال الأعمال فإن «الرئيس» كان مسكاً بزمام السلطة، تدعمه جماعات المجتمع المدني، ثم جاءت الخيانة من «الجيش».

بعض الجنرالات، اتضح فيما بعد تحالفهم الوثيق مع رابطة رجال الأعمال، قاموا يوم ١١ أبريل بفتح طرقات الرئيس المختطف من الحكم. ثم ولق الجنرال «نوكاس ريخون» القائد العام لقوات المسلحة أمام شاشات التليفزيون الحكومي ومن ورثه بعض أعضاء الجيش، ليعلن تخلي الرئيس عن الرئاسة بعد إجباره على الاستقالة.

بعد ذلك تم اصطحاب «شافيز» إلى قاعدة «تينونا العسكرية» بضواحي العاصمة كاراكاس حيث احتجز هناك تمهيداً لحاكمته وانظر في أمره.

في نفس الوقت ذهب «بيدرو كارمونا» إلى مبنى التلفزيون ليعلن والانتسابه تعلق وجهه، سلطان الدكتاتورية، وأنه سيؤسس حكومة انتقالية، وأنه «يحمل المسؤولية أمام هذا البلد وأمام التاريخ».

وبعد ذلك أصدر عدة قرارات هورية، أيقاف العمل بالقوانين التي أصدرها «شافيز».

إقالة رئيس الليبرال ورئيس المحكمة الدستورية العليا.

إقالة العديد من أعضاء المجلس والرئيس ديوان المحاسبة.

طرد مجلس الإدارة الذي عينه شافيز لشركة بترولايوس دي فنزويلا.

وفي يوم ١٢ أبريل تم حشد إلى الصحفيين الرئيس الجديد لقطاع التليفزيون في شركة «بترولايوس دي فنزويلا» قائد بالحرف الواحد، «أن الإعلان سيقع سياسة صديقية جديدة

اصطحبه إلى قصر «ميرا فلورس» لأن شبح الحرب الأهلية غطى البلاد، تولى قوات الحرس الجمهوري القبض على قادة الانقلاب الفاتش، ورفض شافيز إيداعهم السجن ولكن تحفظ عليهم في منازلهم، وأعلن في حديثه للتلفزيوني للشعب «يتعين على المعارضة أن تدرك بوعي أن السلطة تأتي بإرادة الشعب وليس بواسطة الانقلاب العسكري».

ولم تتمكن السيدة «كويداليزا رايس» مستشارة بوش للأمين القومي من كبح جماح سخطها لعزل الانقلاب، فوجهت تحذيرات علنية للرئيس شافيز، والذي أصمحت واشتطن باعتباره العدو الإقليمي السياسي لها بعد الزعيم الكوبي فيدل كاسترو. وأشارت رايس، إلى سياسة شافيز غير المهذبة إزاء مساوئ واشنطن للسيطرة على قطاع النفط في

ملاو، عاد «الرئيس المنتخب» إلى الحكم. واتخذ قرارين.

الأول: إقالة مجلس الإدارة الجديد الذي عينته الحكومة الانقلابية لإدارة شركة «بترولايوس دي فنزويلا».

والثاني: بدء التحقيقات في ظروف ووقائع الانقلاب.

ومع مضي عشرة أيام من رجوعه للسلطة أجرت معه قمة الجزيرة التليفزيونية مباشرة مطولة يوم ٢٤ أبريل الصبح فيها «شافيز» وجود تدخل خارجي في الانقلاب في إشارة لدول الولايات المتحدة الأمريكية.

كما تحدث «شافيز» عن أجندة الانقلاب التي أجدها، حيث كان القرار الأول، خروج وانسحاب فنزويلا من منظمة أوبك وعدم الالتزام بأي حصة إنتاجية ووقف ضخ أي نفط لكوبا.

لقد تساءل الصحفيان روبريو باسور وروبن مارتينيز في آخر صفحة من كتابهما الصادر عام ٢٠٠١ م بصير تجربة «شافيز»، وهل سيتمكن الرئيس من المحافظة على ثقة الطبقات الشعبية والمجتمع المدني؟

لم يتأكد ذلك كثيراً، فقد رفضت الجماهير المنظمة في شبكة لسانه من الانسحاب وراء الجيش من إعادته للسلطة عندما أصحت مدى الفرع الذي أثاره لدى «الاعلام» بمواقفه الصادقة للخصاصة وجهده الفائق الخاضع لتدجين الانقلابية، فهو الذي ساهم في رفع ضغطه من ثنائيتي بوراترام عام ١٩٩٨ إلى ٢٠٠٢، وهو الذي شدد على دعم الفئات القاعدية في المجتمع فقير شؤنها بدمار إرثها الثانية والجماعية

فصاحة رأس المال الاجتماعي وعلى أدولة فقط أن تحافظ عليه ولا تدرج به مع الولايات المتحدة الأمريكية، فلم تكتشف الشبهات التي جرت في العالم، وأن جريه الاطاحة بغير الزوار الإيراني مسبق عندما أمم النفط. فرفض قابله التفكير لأن فنزويلا أصبحت تلك مجتمعاً مدولياً قوياً، وأنها ليست بتلك إحدى جمهوريات

الغرب أن فنزويلا تتمتع باكبر نسبة تستخدم الهائل المحمول لكل نسمة على مستوى العالم، وعن طريق الاتصال بين الشبكات المدنية انتقلت حركة الجماهير حديدات وروابط ومنظمات عليا ومجموعات شعبية... وتدفق الأنصار من هنا وهناك إلى أماكن تم تحديدها بعناية.

قالى أعضاء «فنزويلا العسكرية» حاصر الألاف محبين «شافيز» بمدن بالانقلاب، وأدى ذلك إلى انسحاب القوات العسكرية، وخاصة قوات الظننيين الذين اتى منهم شافيز ويعرفون حينه جدياً.

كما حاصر الألاف قصر رئاسة الجمهورية «ميرا فلورس» ليعمدوا وصول نائب الرئيس إليه..

وأنشأت القراء في أحياء كاراكاس الكبيرة مع وفاء لشرفة لسانه فسطح عشرون من القلبي وأصبحت ما يقرب من أربعين شخصاً تراجعا للانقلابيين أو أمم سلطة الجماهير المنظمة... واعملت أقسام من الجيش لرفضها لحكومة كارمونا.. وذهب الجنرال يتكون قائد الجيش إلى مجلس شافيز وأطلق سلاحه ثم

وفقاً لاحتياجات السوق وليس وفقاً لحصة فنزويلا من منظمة أوبك... وقد أسرع هذا التصريح كافة منكنى النفط لأن من شأنه إشعال حرب أسعار بترولية وإغراق الأسواق بالبترول والعودة للتعريب رقم واحد الكتيب الذي كانت عليه حالة السوق المدروية عام ١٩٩٨ عشية وصول «شافيز» إلى مقعد الرئاسة.

والغريب أن فنزويلا تتمتع باكبر نسبة تستخدم الهائل المحمول لكل نسمة على مستوى العالم، وعن طريق الاتصال بين الشبكات المدنية انتقلت حركة الجماهير حديدات وروابط ومنظمات عليا ومجموعات شعبية... وتدفق الأنصار من هنا وهناك إلى أماكن تم تحديدها بعناية.

قالى أعضاء «فنزويلا العسكرية» حاصر الألاف محبين «شافيز» بمدن بالانقلاب، وأدى ذلك إلى انسحاب القوات العسكرية، وخاصة قوات الظننيين الذين اتى منهم شافيز ويعرفون حينه جدياً.

كما حاصر الألاف قصر رئاسة الجمهورية «ميرا فلورس» ليعمدوا وصول نائب الرئيس إليه..

وأنشأت القراء في أحياء كاراكاس الكبيرة مع وفاء لشرفة لسانه فسطح عشرون من القلبي وأصبحت ما يقرب من أربعين شخصاً تراجعا للانقلابيين أو أمم سلطة الجماهير المنظمة... واعملت أقسام من الجيش لرفضها لحكومة كارمونا.. وذهب الجنرال يتكون قائد الجيش إلى مجلس شافيز وأطلق سلاحه ثم

كتيب عمريانية

مستقبل الديمقراطية في الجزائر

عدد من الباحثين  
ميرت ميرتير دراسات الجديدة  
العمرية ٢٠٠٢، ٣٢٤ صفحة



تأتي هذه الدراسة ضمن مشروع اشمل لدراسة الديمقراطية في الوطن العربي. تأليفها أ. فيديفراطيه - هي المجلد الصحيح للخروج من مازق الصراعات التي تقوّى مسيرة التقدم في الوطن العربي، والسبيل إلى تأسيس نظام حكم برتقيته الجميع ويشكل قاعدة للدراسة السياسية والاقتصادي السلمي للسلطة.

والدراسة في سبيلها لتستكشف مستقبل الديمقراطية في الجزائر، بدأت بمعالجة تاريخ التجربة السياسية الجزائرية وتحليل البنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية وانكسارها في عملية التحول الديمقراطي، ولقد احتلّت الدراسة ان الشعب الجزائري ليزال متمسكا بتجسيد اهداف ثورة نوفمبر ١٩٥٤ التي سعت إلى تحرير السياسي والاقتصادي وتحقيق التنمية الشاملة وتنمية الحاجات الأساسية للشعب، وتحقيق الوحدة الوطنية وماصرة قضايا التحرر الوطني، وإقامة دولة ديمقراطية في إطار المبادئ الأساسية، من تحقيق العمل المساواة وسداسيات القانون.

ولذلك الدراسة على ان نجاح التحول الديمقراطي في الجزائر يقتضي توافر عدة شروط: فهم عميق للابعاد الاجتماعية والبرلمانية مهمته للتحرر واعتزاز بقوىعامة التنمية السياسية والوطنية ونصوصها الصارمة وقوانينها، وجميع هذه الشروط دعمته واكتت عليه حركات وأحزاب اسهمت كلها في مرحلة انتفاخ ضد الاستعمار وادعت في بداياتها هائلة مهدد الطريق نحو التحرير والاستقلال.

وتلاحظ الدراسة ان هذه التوافقية مازالت موجودة في المجتمع الجزائري، لكنها في حالة تحجر، ولم يشأها بما تمثل من نواتج تحصيلها للمراكم الحضاري بعد عدد الهائل الاساسية استقبل الديمقراطية في الجزائر، وهو ما انتبهت إليه بقوة اليوم الوطني في سبتمبر ١٩٩٦ والتي دعت إلى احترام مكونات الهوية الوطنية (الاسلام - العربية -

الامازيغية) ورفض وادانة اللجوء إلى العنف للوصول إلى السلطة أو الاحتفاظ بها، واحترام قوانين الجمهورية، واحترام الصريات الفردية والجماعية، واحترام الاختيار الحر للشعب وقبول مبدأ تداول السلطة.

□ □ □

شرفات بحر الشمال

أسير الأبرج  
سبوت دار الأدب، ٢٠٠٢، ٣٢ صفحة



لا يمكن التمييز بحسم بين الواقع والمختل في اسبج الرواية التي تحكي فترة مبررة وامسية من حياة الجزائر. حين يقتر الرأوي أو المؤلف لا فرق - أن يترك المدينة التي عاش فيها عمره أو اضاعه، بعد ما صارت تحاصره بالوت والقران والجحود، إلى مدينة أخرى «لوس أنجلوس»، يهرب سماء غير السماء وناسا غير ألهم ولهم وحكايات غير التي سمع... الأرض التي عزمتها مد سنوات تفيروت كثيرا وسقطت تربيتها من يدى كورقة مسروقة، اجبر الال هذه السماء ربما كانت أكثر دفئا، لندست... أو كدت... بان هناك سماء يمكن أن ندفن فيها بعضنا من الاثواب التي نضاع عليها من الغلب.

اللغة الشاعرية، ومذ أن تلقع الحبيبة صفحات الرواية، ومذ أن تلقع الحبيبة بالراوي في انجاسه الحبيبة الجديدة تعادله الذكريات حادثة وقبيلة الوفاة في منى، يستعدي حاضيه، «فتنة»، وفي كيان يترجم بين الأسطورة والواقع، بين الرمز واللائحة، ما يجعلها تحجرا صامدا عن الحزن الوطن اللحن لجرحها وإزالة دماء أبنائه بدعوى الأصولية والقبيلية وتزعم استبدادية وسلطوية مواربه.

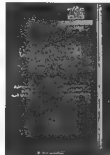
وفي استمراد التي كانت عميره إلى أمريكا تتلقح شخص بتداعي ذكريات وتبخر صملي، متجم من يد ذكره تتنهي حباب بين متجم «ميمون»، وميت كمدا مثل ريشة وتواره، أو غائبة في متانة أسطورة لا يعرف ان كانت ماتت أو لاشت في عالم الصياع... وكما هو واضح فإن هذه القصير تاته التي يرى هـم الراوي صيرر وظنه وشعبه... والجزائر، هو التكن الأرضي الوحيد الذي يمدنى أو تظل الشمس معلقة في مكانها طوال السنة وإن لا تحسب لينا حتى لا

يضع كل سماء إلى أن يصبح إلى حرد بحثه عن أكثر المأوى أملا ( صرنا نتقلى بالارواح الصغيرة لواجهة الأوجاع التي تحرقنا من الداخل كالنطف اليابس... ترى ما الذي زاد الراوي حين اطل على وطنه من شرفات بحر الشمال؟ أوجعا وأسى وحللا مجهضة ومسرات صغيرة تعشش في الذاكرة سرعان ما تتلاشى تحت وطأة واقع قائم.

□ □ □

إغالة الأمة بكتف الضمة

تقى الدين أحمد بن على القرين  
القاهرة دار الكتب والوثائق القومية، ٩٠ صفحة



ما رمى إليه القرين من محصره الجباعات التي شهدها مصر منذ عصورها الفرعونية وحتى عام تاليه لكتابه (٨٠٠ هـ)، هو التشكيك بأن هذه الحوادث التي شهدها مصر كان لها ما يشابهها وربما ما ألقى منها في أزمة مضمة، بما يعني أن على الناس المقاومة والصبر واحتصال المفار إلى ان تنتفض الغمة، أو بحسب قوله: «لا يزال الحاضر منقوصا حقه مجزوا لفره، لأن القليل من شره يرى كثيرا، إن القليل من المشاهدة أربح من الكثير من الخبر، وإن مقاساة اليسير من الشدة أشق على النفس من تذكر الكثير من سأل منها».

وهو يبدأ بالأساء شهده مصر في زمن الملك السامع حتى من ملوك مصر قبل الطوائف، ويعد بعضا من حوادث القبط والجباعات، ويستأخذ من القرين سبيلها «غلات» و«دعلاء»، وإن كان الجمع كله التحول بين سمجها، لكنه يشير إلى ما قعد إليه المجري، واعتباره ما جحل بالناس من كرب وقلق غذاء «دعلاء» وليس «سمجها»، وفي إشارة إلى ان الجباعات والسلكي لا ينجب من تدليه لتفواتها، فهو وإن أشار إلى ندرة الأظفار أو عطلها بالغير الذي يقتر إلى الحرب واعتبارها سمجيات أساسية، إلا لا يغفل فساد الحكم وشيوع الرطوبة والقلق واحكام التجار السلع وتجزئتها ليزيدوا سعراها وحجب الكثير بين الناس بل وبإبعاد الناس عن الأعداء بالسياسيات وإفقارهم في جوهر الإيمان والتسليم، باعتقاد إن هذه كلها أسباب ريشية الـ «غلات» كما سبيلها.

فهو في تحليله لأسباب الجباعة التي حلت بمصر في أوائل عهد الفاطميين (٣٨٠ هـ)، يشير إلى الإجراءات التي اتخذها القائد حاكم مصر... كحلن ما تقرر فيه أمر الإسلام، فحضر جماعة من الحاضرين، وجمع سعاسرة الغلات في مكان واحد، ولم يجعل مكان الجمع غير طريقة واحدة.

وفي أيام الحاكم بالله المره وقعت جماعة مشابهة... «وكذلك الناس بالجو فاجتمعوا بين القصرين واستألفوا بالحاكم في أن يظفر لهم وسالوه أن لا يبرهم، فركب حماره وخرج من باب البصر ووقف، وأنا ماض إلى جامع راشدة، فأنس بالله لونه عدت فوجدت في الطريق موصفا بظن حماره مكتوفا في الغلة لأضرب ريشة كل من يقال لي إن عدته شيئا منها ولأحرقه داره وأنكث ماله، فلما عاد الحاكم بأمر الله كانت الغلة فرشت الطريق، «فأخلى السمر وارتفع الضر».

وقد اتخذ عديد من الأمراء والسلاطين إجراءات مشابهة، منها أن يلتزم السلطان وأمره المقاطعات وكبار التجار بإطعام المحتاجين من مخزونهما، أو تعيين مختصين لضبط الأسواق ومنع الاحتكار، أو أن يوكل إلى الجهات أو «السيارات»، ضميم العملات وتحسين فرائدها الشرائية... إلخ.

وفي أحسن أحوال أسبق السلطان الحيلة لمقاومة «الغلات»، منها ما فعله «المستصر» في واحدة من أشد وأسى الجباعات التي مرت بمصر حتى عرفته بالشدّة للمستصر، حين جمع بعضا من المسجونين المحكوم عليهم بالإعدام واليسيرهم هيئة التجار وجمعهم في مجلس عليهم وسألهم عن سوء أفعالهم وأصدر عليهم أحكاما سرية بالقتل فأرعد التجار الطيفين ورعوا جميعا في مخازنهم وأخرجوا ما فيها وعمرت الأسواق بالخبز وانخفضت الأسعار على الناس وزلت الشدة.

والحكايات التي يرويها القرين عن مساناة الناس في سنوات القبط متشابهة وإن كانت بالغة الصرامة والقسوة، ففي كل «الغلات» كل الناس القبط والكلاب، بل أكلوا لحوم بعضهم والأرشاء - والأفسي - أو بأكل الناس صغارهم؛ وكان ذلك في عام (٩٠٧ هـ) في عهد الحاكم عند الذي يكرر بن الأيو، حيث كان الناس يتساقطون من الجوع، وانتشرت الأمراض والأوبئة، وساد القلق والإحترام إلى حدود الله وكما أشردا في البداية، فإن القرين ملي لا التحليل الاجتماعي ما جرى ولم يكتف بدد الأمر كله إلى طوفان طبيعي، فعددت عن ولاية الأعمال بالرشوة والفساد... وفقط لال تلك كل جاهل ومفرد وفلال وباع إلى ملام يكن يؤله من الأعمال الجيلة وإلى ولاية العظيمة لشوهه بأحد حواريه السلطان، كما أشار إلى الزيادات المفردة في قبضة الضرائب والمحصولات المفروضة على الأزارعين والتي أرقهم ورفعت أسعار المحاصيل.



# عروض موجزة

ويقدم المؤلف دراسة تحليلية ومقدرة لكتاب فرويد عن ليوناردو دافنشي وكس هذا الكتاب هو أول محاولة يطق عليها فرويد نظرياته في التحليل النفسي على شخصية من المشاهير. وقد ركز فرويد على تحريات ليوناردو لشخصه القوي، خاصة الفني والعلمي والتحليلات الجنسية التي قامت عليها نظريته في التحليل النفسي، وهي نظرية ثلاث (اعتراضاً ومبدأً) شديداً من حساب كشير من النقاد الفخمين والحللين النفسيين

ويقدم المؤلف دراسة نقدية أخرى عن ثمان جوج بوصفه صورة مسجيرة عن «المحاولات» أو المزاج الموساوي «العلاقة بين العبقرية والحدوث أو العرض النفسي ليست سوى جزء من الأفكار المهمة التي يثيرها الكتاب، ومنها التفسير النفسي للصحة النفسية والصحة العقلية، والصراع بين الإنسان والد الجسد، ثم موضوعات ذات صلة وثيقة بالبحث المصري وتنميتة مثل كيفية علاج لظاهرة التطرف والأثار النفسية والاجتماعية لتدهور أبنية الحضارة المصرية، والبيئة، والنظام التعليمي المصري والرد على الصحة النفسية للمرأة، ثم الإنسان والصحة النفسية على عتبة حق حديث

□ □ □

سنوات مع الملك هارو  
حسب حسي

نقاد - ر. شروق ٨٢٠٢ ص ٦٦



التي حق صاحب هذه المذكرات بخدمة القصر الملكي منذ عام ١٩٢٠، وتظل منذ هذا التاريخ قريباً من شروق الأسره المائكة، وسعي من البداية إلى يخرس فيه - أي فاروق - مبادئ الحزب الوطني التي كان يؤمن بها ويدرس لعظمة رموزه بالولة الشام، وكان فاروق - حصيداً تسير المذكرات - مستجيباً لتلك المبادئ التي يفتتحها بملف طرفة السليمة لولا بياضة السوء التي أحاسنت سالخ الحشاش منذ البداية - والتي ست ياحسد حشاشهم رائد الملك، ثم رئيس المداول الملكي فيما بعد - وقد تكرر مستشاره الصحفي وغيره عاقل، وقد كان لكل منهم دور في إفساد الملك وإقامة الحواجز بينه وبين كل من يمكن أن يسدي إليه نصحاء ويرشده إلى ما فيه الخير ولشعبه.

معدنان: الذكاء والقدرة في لغويير المجتمع، والكشف العبقري هو الذي يتجاوز ذكاء - ١٤ - ثقافة محسب التصنيفات العلمية التي تشتمل إلى أن معدل الذكاء في المتوسط لدى الأشخاص العاديين يتراوح بين ٩٠ و ١١٠ درجات، وفي كل الشعوب - حسب الإحصاءات العلمية - فإن ١/١٠ فقط من الشعب يتجاوز ١٤٠ درجة، والعبقري في اتجاه ما هو الشخص الذي يقدم للإنسانية انتصاراً لم تحزن مثله العالوية العظمى من أبناء المجتمع.

وفيما يتعلق بالفن، فإن ثمة ريتين في يكون عبقرياً إما أنه شخص ملهم بكيفية مجهولة، أو أنه شخص غير طبيعي أو متحول. وحسب دراسة أجريت على ٣٠١ من عبقرة الإنسانيات في بينهم بيرون وجونيه وبارون وأخرون، اكتشف «كوكسي» أن أكثر العبقرة ذكاء هم الفلاسفة إذ يبلغ متوسط ذكاءهم ١٧٠ درجة، يليهم الأدباء والشعراء والساسة ١٦٠، يليهم العلماء والموسيقيون والمصورون والمحاوون، ولا حظ الباحث أن الاضطراب اللاهية برغم أنها لم تكن غالبية في عبقرة هؤلاء العبقرة، إلا أنها كانت تشكل بأكثر ما عاى نسبة في ذكاءهم ١٦٠، والصحة النفسية والذكاء في العلماء، ولا حظ الباحث أيضاً ارتباطاً بين بعض أنواع العصر والعبقريّة، وكثير من عبقرة التاريخ من أمثال الموسيقيين هاندل ومابلينسون وشايكوفسكي ومولير وتشارلز ديكنز وإيان سميثا وبيدستروفسكي والإسكندر بوليسون فيميرس وماريون سناو من العصر مدرجات متفاوتة، عما أن كثير من الموسيقيين علاناً من الاكتشاف والأمراض النفسية واتهموا عن المجتمع مثل بينشون وبرامز وشرويان وهابن وشوبر وقد أهدى رحماً لنوب طيبه النفسي الكونسيرتو الرابع لنيكيتانو اعتباراً منه بفضل عليه وعلاجه من الاكتشاف، كما أصيب المؤلف الأوبرالي رومين باختلاف بعد خدمته ٣٦ أوبرا، وتوفى ٢٧ سنة عن العمل بعد أن فقد همه وفروقه، وعان فاجر سيكويايتا وميتازين، وقد لاحظ المؤلف أن الأطباء النفسيين الذين درسوا حياته أنه كان شخصاً معتدلاً برحمة عاقل لذلك، يعيل إلى السمات ذات الاجتماعية، ووصف يائه شخص أناني قاس عديم التعذيب يغفل إلى المشاعر الإنسانية والتعاطف مع الآخرين.

وفي المؤلفين أن كثيراً من علفاه الموسيقي الذين عاوا في القرن التاسع عشر أصيبوا بزهري الجها العصبي الذي كان منتشر آنذاك، وقد تعرف أسبابه وطرق علاجه آنذاك، وهو مرض يصيب الخ ويغيب أجزاء من الجها العصبي وتظهر أعراضه بعد عشر سنوات أو أكثر من الإصابة الأولى التي تحدث مباشرة بعد العلاقة الجنسية.

من أمريكا إلى نيكارجوا، لتعود طلائعهم محملة بالكواكيب والمريجوالتا، وإذا سفلد أن من هؤلاء في أي جهة أخرى من جهات تنفيذ القانون في أمريكا أو خارجها، تلك الوكالة تتدخل على الفور لتحول بين التحقيق معه وإدانته، بجهة من التحقيق معه يخرس من الولايات المتحدة القومي للخطر، بينما في نفسى في الواقع فضح ممارساتها غير المشروعة داخل الولايات المتحدة وخارجها.

وكانت الوكالة في كل مرة تنكر الاتهامات الموجهة إليها من خلال الصحافة الموالية لها طيفاً - حيث تدعى الصحف أن تلك الاتهامات - لا أساس لها - أو «مبالغ فيها» أو غير مؤكدة - أو «كهايات قديمة»، وقد بعد فترة - ولكن بفترة خفيفة تكة لا تسع - لتعترف بما قال، حدث ذلك في تجديدها للعلماء النازيين، وإجراء التجارب على المواطنين الأمريكيين السود، والسعي لتغذية كاسترو، والتخالف مع أمراء الأليوسين في يورما وتايلاند والوس ومزامرات أخرى كثيرة.

ويغ الكتاب فيسبا يزيد على خمسة صفة وضخ خمسة عشر فصلاً من بين عناوينها «تاريخ الباناريا السوداء» ومشيك الورق «العلوم والتربية» وتجربة غرباء» و«خلاص بارسي وقلب الكواكيب»، و«حرب الأقويون الأمريكية الصينيين ويروا» و«وكالة الاستخبارات الأمريكية» و«الجبهة الخفية للفسادة والوس» و«الحياة النفسية للفسادة الخفية» و«كشف الأسوق». وسبق المترجم أحمد محمود، أن قدم للناشر العربي ترجمته منها «طريق الحرية» و«علماء عالم» و«صناعة الثقافة السوداء» و«تشرية حضارة» - وجميعها ضمن المشروع القومي للتحقيق لمجلس الأعلى للثقافة - وهو الناس في صحيد مصر - عن دار عين.

□ □ □

نظا في الإبداع الفني  
أحمد عاكفة  
القاهرة - دار الشروق ٢٠٠٩ ٢٦٧ ص



يمتد الكتاب في المنطقة المتقدمة بين العبقريّة والبدون، بين الإبداع والعرض النفسي الذي قد يصل إلى حد الشذو العبقريّة كما يصفها المؤلف

والكشف للمهم الذي يتسبب فيه العبقريون أو مسجيرة العاطفين إلى مصر كان طلياً واستجداد من المصريين الذين ارتفعهم متفاديه جرت في الزمن الأخيرين، وكما نرى فيعص من يجرى - أو جلة - من شروق النفتنا.

□ □ □

التحالف الأسود، وكالة الاستخبارات المركزية والتجديد والصحة

الكسندر كوكبرين، جيلاري سانت كليلر  
لندن ونيويورك دار نشر ليرسو



يقول المؤلفان الكسندر كوكبرين وجيلاري سانت كليلر عن هذا الكتاب، «هذا أي كليلر قصة سلوك إجرامي، هو في جزء كبير منه من فعل وكالة الاستخبارات الأمريكية CIA، إنها قصة عدد من أطوائ في الصحافة الأمريكية في طبيعة آثار الوكالة، وعندما يجبر هؤلاء الصحفيون على الرضوخ لانشطة وكالة الاستخبارات، فإنهم كثيراً ما يلجئون إلى فكرة «الصناعة للنازيين»، أو على الأقل إلى وكالة المارقة، كلاً آخر، ونحن لا نقبل هذا الفصل بين النشطة وكافة الاستخبارات المركزية وسياسات الحكومة الأمريكية وإجراءاتها، سواء أكان شغل ثرومان في الصين - الذي أوجد طول الأقويون البوروميين - أو فكرة قتل كاسترو التي تسلطت على الأخوة كندي، أو أوبرا ميكون - «مزود من الغيالات» في فيتنام، فقد كانت وكالة الاستخبارات المركزية على العوام للخط المبيع لزاده الحكومة الأمريكية التي شدا بالبيت الأبيض».

ويتناول الكتاب تاريخ التحالف الذي يجمع بين وكالة الاستخبارات المركزية وتجارة المخدرات والمخاطفة: حيث تكرر نعت استغلال وكالة زيار المخدرات لدع الجامعات المخاطفة للسلطات الحاكمة، وذلك باستخدام أموال المخدرات لشراء الأسلحة وشراء دعم الكثيرين، ثم تأتي الصحافة وتكتب ذلك، وفي حالات عديدة كانت وكالة تحصى تجار المخدرات، بل وتدعمهم بأساطيل من الطائرات التي تقذفهم بها لقتل المخدرات والسلاح وبلغ الأمر حد السكوت عن تهريب المخدرات إلى داخل الولايات المتحدة نفسها، والخاصة عن أزمها لدمر على الشباب الأمريكي، إرضاء لتجار المخدرات الذين كانوا يمولون نقل السلاح

كتب أجنبية

Master of the Senate: The Years of Lyndon Johnson

(سيد مجلس الشيوخ سنوات ليندون جونسون)

Robert A. Caro  
Knopf, 1167PP, \$ 35, 2002



لا يتذكر العرب سنوات ليندون جونسون في رئاسة الولايات المتحدة إلا وهي مرتبطة بهزيمة يونيو ١٩٦٧ وبالإحبار الكامل لإسرائيل. وهذا الكتاب هو الجزء الثالث من دراسة ضخمة قام بها المؤرخ روبرت كارو وتقع فيها حياة ليندون جونسون مما جعله يقضي سنوات طويلة للعباية في الكونغرس هذا العمل الذي أشاد به النقاد والسياسيون والمؤرخون على السواء. لقد أصغر كارو الجزء الأول من الكتاب من سيرة حياة جونسون عام ١٩٦٢، ثم نشر الجزء الثاني عام ١٩٩٢. جاء هذا الجزء الذي خصصه فقط لسنوات جونسون في مجلس الشيوخ التي بلغت ١٢ عاماً.

ويقول المؤلف إن جونسون لم يكن يتمتع بالثقل أو الصق، لقد دخل مجلس الشيوخ للمرة الأولى عام ١٩٤٨ بتزوير واسع النطاق للأصوات وخداع وشراء للأصوات، أي أسوأ ما في العملية الانتخابية على الإطلاق، ثم ظل بعد ذلك يدافع عن مصالح رجال البيروقراطية في البيت الأبيض واستخدم لمصلحته الدين لأطاحه رئيس اللجنة الفيدرالية للطاقة ليحصل على أوزار، وهي الوسائل التي استخدمها بعد ذلك السيناتور جوزيف مكارتني لتسويبه سمعة رجال شرفاء بالتهامهم أنهم خونة وشيوعيون. وقد تمكن جونسون بعد سنوات فقط من وجوده في مجلس الشيوخ من رئاسة إدارة اللجان، فأمر سلطات واسعة النطاق واستطاع أن يخدم من خلال الرجال الكبار الذين ساعدوا في وصوله إلى مجلس الشيوخ، وبفضع المؤلف لجعل جونسون خلال تلك الفترة مدعماً على ما يقول بالثقافة والمطويات التي أجدها نغمه أشد الإجهاد لكي يحصل عليها.

ومن المفارقة الكبيرة أن جونسون أصبح الرئيس السادس والثلاثين أرتبط اسمه داخلياً بالهزات الكبيرة خاصة على صعيد إنهاء فيتنام

إبان حزب الوفد والقنصلد معواف رعمانه وبما حوصمتهم وإيرانهم مصالحهم الضرة والشخصية على الصلحة العامة، سمة واضحة في المتكرات، وهو أمر طبيعي من شخص في هيفاً إلهادي الحزب الوطني القديم وحريصاً على مصلحته، فمنهارة ومهابة، مهما كانت حبيدها ونزاهة كاتبتها، تبقى رؤية معورها رؤى أخرى كي يتكلم المشهد الفنازيخي.

□ □ □

المعلومات وتكنولوجيا الاتصال

معمود علم الدين  
محمد تيمور عبدالصبيح  
٢٠٠٢، ٣٠٠ صفحة

المعلومات وتكنولوجيا الاتصال



منذ البدء، قام الإعلام على ركيزتين أساسيتين هما المعلومات والاتصال وطوال عقود تطورت سبل الحصول وتوفير المعلومات، كما تطورت من ناحية ثانية وسائل الاتصال حتى قارب تطورها ثورة المعلومات، ويتأثر ثورة الاتصالات والمعلومات صارت احتمالات التطور والتنوع في وسائل الإعلام ومنها الصحافة في الهائلة، وهذا الكتاب يعالج في جزءه هذين المفهومين فيتناول في الجزء الأول المعلومات، ويتعرض للمصاهيم والمصطلحات الأساسية المتداولة بشأنها وكذلك نظم المعلومات ومهارتها وبينتها التكنولوجية وسبل تدفها، ثم يعرض في الوحدة الثالثة من الجزء الأول للتونق المعلوماتي والتطبيقات في المجالات الإعلامية والمصطفية، ويعرض في الوحدة الرابعة لعنى تكنولوجيا المعلومات واهية لغنى تكنولوجيا المعلومات على حدتها، ويشرحها على شكل من أجهزة الكمبيوتر ووسائل الاتصال من تزاولهما يوجد مجتمع المعلومات.

ويتناول الجزء الثاني تكنولوجيا الاتصال في حديثين، فتعرض الوحدة الأولى منه لمسرتركات الأساسية لتكنولوجيا الاتصال ومنها المبروير والأشمار الصناعية وإشعة البيرز والأشمار المصرية (الصوفونية) وإحساسيات الكبرونية والاتصالات السلكية واللاسلكية، ثم تعرض الوحدة الثانية لجالات تكنولوجيا الاتصال في الإذاعة والتلفزيون والتليفون.

□ □ □

ويسهب المؤلف في شرح الدور الفلسف الذي لعبه له منهم إلهاد الملك وجده إلى طريق الانصراف، وخصوصاً أحمد حسن صنيعة الإنجليزي ورجلهم في مصر، فقد درس في إنجلترا وطلع في الجيش الإنجليزي في الحرب العالمية الأولى وحين عاد من معنته الفرنسية في أكسفورد عمل سكرتيراً خاصاً للجنرال ماكسويل قائد جيش الاحتلال.

كان أحمد حسنين طموحاً، وعرف منذ البداية أن تحقيق طموحاته لن يتحقق إلا بالانصراف من القصر الملكي والانصراف به باو صر السب، وبالفعل نزح من لطيفة هاتم كريمة الأميرة شويكار زوجة الأولى لملك فؤاد، وبعد وفاد الملك فؤاد أبان حسنين أن الطريق إلى ملك مصر القادم (فاروق) يبدأ من أمه (الملكة مازلي) التي كان يسيها ويسميها دوماً لنمل رضاه، فنصم شباهه حولها، وكانت الفرنسية مستخدمة تماماً للوقوف في شبكة الميراث، بعد سنوات عاشتها سجنه الملك فؤاد الذي كان يكرها باكثر من شريش عام، وكان يغار عليها بشدة، لقد سمع لها بالخروج أو زيارة أحد، أو حتى استقبال أحد دون إذن، ونشر حولها لخصاصمين والجواسيس في كل ركن، وما إن مات حتى انطلقت حارج سجنها بعد من منع الحداة، وتعرض ما فاتها.

وحكاية أحمد حسنين ونزاليه احتل حيزاً مهماً من الكتاب، ليس فقط لأنها مسيرة ونبيها إلى ثرى، وإنما لأنها مالمع السوء، على الملك الذي كما كانت أمه ضحية غيرة زوجها وطيشه، كان هو أيضاً ضحية طيشها وطروح رئيس ديوانه وعدم أمثاته، وهي امثلة التي يرى صاحب المتكرات أنها فوضت إلى حد كبير لمل العلياء ومبادئ الأخلاق القومية التي كانت تملها أمه ورائده، فصاب غنى وصامت امه، «ومن ثم ليس يسليغ أن تكون قد انهارت في نفسه» على أن ثروالي الصدمات - أركان نوازع الخير ونوايا الإسراج التي كان يعتز ويؤمن بها إلهاماً عبقياً.

ويصحبنا عن حكاية حسنين ونزاليه هز صنيعة المتكرات التي انترزم بالا يروي لا ما كان شاهداً عليه أو ضارفاً في نفسه، لا يعاقب زعماء الأمة ما لا إله حال الملك وحمد الديار، بل به يعمل الصناعات وشوا وحمد محمود باشا حين سار باشا مسؤولاً ما جرى في فبراير ١٩٤٢، إن أسروا إلى أسفهم البريطاني رسائل يومئذ فيها أن السفير السلاز لن سخطاً لأميرال الحكومه ويقول إن مصطفى النحاس باشا وحده أكبر طعمة لحكمة مصر حين قبل الوزارة على رأسه رعاها الإنجليزي... إن له لآري في ذلك أي سياس وحال من شأنه إشاعة الميوح بين الصغار، وإن اعزازهم نال من شعور الملك، مما دعا بعضا من الحشدين إلى التهليل للسفير الذي داس على سيادة الوطن ومحموه على اقتفهم وهتقوا بحياته.

العنصرى ربما لم يكن هو يحلم بها، ويمكن مقاربه طموحه إحصاء هذا الصغير بنفس طموح الرئيس الأمريكي الراحل فرانكلين روزفلت عندما أقدم للامريكيين ما عرف باسم «الصفحة الجديدة».

إن الكتاب الذي يزيد على ١١٦٧ صفحة يمثل كما وصفه جوردون براون وزير الخزانة البريطاني إنجازاً غير مسروق في كتابة سير الزعماء، وقد بذل فيه المؤلف جهداً هائلاً بحيث يمكن القول حسب بعض النقاد إنه أعاد اكتشاف جونسون من جديد من جميع الوجوه سواء الإيجابية أو السلبية.

□ □ □

Treason by the Book

(حياة بالكتاب)  
Jonathan Spence  
London, Penguin, 2002, 314PP, £7 99



بعد الظهور بقليل في يوم ٢٨ أكتوبر ١٧٧٨ في مدينة تشيانج القديم شمال غرب الصين قدم شخص ما رسالة إلى الجنرال بيو زون جوي، أعلى مسئول في ذلك الوقت، لقد كانت الرسالة دعوة للحيانة تتمثل في مناشدة للجنرال أن يلقو تمرده ضد الإمبراطور يونج زينج رئيس سلالة كونج الحاكم. وكان الجنرال «يو» يعلم أن مجرد تسلمه الرسالة يعني بالنسبة له على أقل تقدير إكثابة بغيره إن لم يكن له وصدت أمه تسلمه الرسالة إلى الإمبراطور أو أي من رجال القصر.

وقد قرر الجنرال ماذا ينبغي أن يفعله، إن ما فعله الجنرال ورد فعل الإمبراطور والبحث عن واضع تلك الرسالة شغل الصين وإمبراطورها آنذاك لمدة ٥ سنوات.

وخلال كتابه يقوم المؤرخ الصيني جوناثان سبنس بجهد كبير في صفيحة وكيفية في هذه الواقعة المشرقة والتي كانت من أكبر الأحداث في الصين في ذلك الوقت. وقد قدم المؤلف كتابه بشكل أدبي تاريخي جاذب بحيث يجد القارئ نفسه أمام قصة أحداث الجاه المظلمة غرضها استخدام كل أدلة في تلميحه معتمداً على وثائق سرية بتأثيره متخصص في تاريخ الصين في القرن التاسع عشر.

## كتاب الزاوية



### حالة حصار

(٤)

عندما تخفى الطائراتُ تطيرُ الحماماتُ،

بيضاء، بيضاء، تغلُّ خُدَّ السماء

باجنحة حرَّة، تستعيدُ البهاءَ وملكيَّة

الجوِّ واللَّهْرِ، أعلى وأعلى تطيرُ

الحماماتُ، بيضاء بيضاء، لَيْتَ السماءَ

حقيقيَّة (قال لي رجلٌ عابرٌ بين قبيلتين)

يقولُ لها: انتظريني على حافة الهاوية

تقول: تَمَّالَ . . تَمَّالَ! أنا الهاربة

\*\*\*

لنا إخوةٌ خلف هذا المدى

إخوةٌ طيِّرون، يُحبُّوننا، ينظرون إلينا

ويكونون، ثُمَّ يَقُولُونَ في سُرهم:

«ليت هذا الحصارُ هنا عَلى...»

ولا يَكْمُلُون العبارة: «لا تركونا

وحيدين... لا تركونا»

أداة طويلة الأعلى شعبية بين الرؤساء الأمريكيين منذ سنوات. ومن الواضح أن المؤلف قد أصدر حكمه شبه النهائي على بوش وأنه رئيس فاشل لا يصلح للشيء، وجاء فقط نتيجة مؤامرة قادها اليمين الأمريكي للإطاحة به بأل جور ووالديمقراطيين. مع العلم بأن حكم بوش مازال أمامه حوالي العامين وهي فترة يمكن أن يتغير فيها الكثير.

□ □ □

### La Strategie du Cameleon

(استراتيجية الحرب)

Jean-Francois Boucet

Paris: 190 Pages



هناك من الأساليب والتكنولوجيا الجديدة التي تسمح لنا بمعرفة كيف تنظر الحيوانات للعالم الذي يحيط بها وكيف تتكيف معه وكيف تتصرف فيه: لسنا وحدنا من نه لفة اتصال متكاملة. إن أنثى الفردة المولودة في الأسر من فصيلة المونوبو في جامعة جورجيا لديها مخزون لغوي يبلغ ٣ آلاف كلمة بواسطة مكتبة خاصة بالمعلومات. وهي تكلم وليدها بلغتها الجديدة وتترجمها لوالدها التي لا تفهمها.

وفي كتاب صغير رائع يستعرض جون فرانسوا بوفيه كشافونا مسلياً للخيبة في العالم مستخدماً مفردات معبرة كعناوين لمفردات الكتاب، مثل: يكذب، يتواري، يخفي، يتظاهر، يفس. «لو كانت الطبيعة عبيداً، كما يقول بوفيه، لكان الاحتفال بزي الفتن، وهو كما نرى بفضل الجمل الرائنة، ففي كتابه السابق تكلم عن المعرفة ذات الصيغة العلمية، وبروح لها على أنها سر قوته.

وفي هذا الكتاب نراه يقدم لنا مخرجاً عائلاً ما هو خطأ وغير صحيح كما لو أن الطبيعة باتلتها لكي تؤدي وتفيضها لها بعد أن تنجم مفردة متكافئة: «إن الذي يخدع سيجد دائماً من يريد أن يُخدع» وهنا أيضاً لا يوجد خط فاصل بين الخيالات والحيوان والإنسان. وذلك يمدد من أنثى الحياء التي تصمد للذكر متى يمكن التقدم واختيار حفظه إلى الفتيات الإنجليزيات اللاتي تملأ حصرة للخجل وجوههن واللاتي كسان داروين منذ سنة ١٨٧٢ ملاحظتهن بأنهن.

ويمثل الكتاب واجهة جديدة للعالم عن الصين ذلك البلد «الغارة» للجهول حتى الآن تكثيرين حتى بين المثقفين والمهتمين بشؤون العالم

□ □ □

### Stupid White Men

(رجال بيض أغباء)

Michael Moore

Regan Books, 2002, 297PP.,

£18.99



احتل هذا الكتاب لأسابيع عديدة قائمة أعلى المبيعات للكتب في الولايات المتحدة، ولم يكن المؤلف يتوقع ذلك على الإطلاق، فقد كتب مجموعة من المقالات ثم جمعها في كتاب يتحدث عن الرئيس الأمريكي جورج بوش الذي يرى فيه المؤلف مايكل مور سارقاً بدرجة رئيس، فهو الرجل الذي سرق البيت الأبيض من آل جور البشري، ويكتب مور مخاطباً الرئيس الأمريكي، عزيزي جورج.. هل أنت قادر على أن تقرا أو تكتب كما يفعل البالدون.. هل أنت مدمن؟ ولا يكتفي المؤلف وهو أيضاً مسلم ليسرنامج وثلاثي شهير في الولايات المتحدة بالهجوم على بوش وإدارته بل على المؤسسة السياسية بأكملها في واشنطن.

ويقول إن أمريكا بلد كل ما فيه برشح ويمثل بالقوب، وهذه خطيئة الخيبة البيضاء الغنية التي استلقت العمال وسمعت البيعة، ويستطرد قائلاً: لقد خطفوا الانتخبات ووضعوا رئيساً سانحاً بلا عقل يقوم إركان إدارته بوضع أيديهم في جيوب اباطرة شركات الطاقة ولا يكف المؤلف نفسه بالحدث سوى نأراً عن حرب بوش ضد الإرهاب، وهو أمر غير متصور حدوثه في أمريكا حالياً، لأن كل شيء يؤدي ويخرج من الحرب على الإرهاب، والكتاب كلماته حادة للغاية في الهجوم على بوش وما فعله، فهو يشير إلى تلك الانتخبات المسروقة المخطوفة التي نشلها بوش وأنصاره من أيادي الشعب الأمريكي.

ولكن رغم ذلك فاستلرب الكتاب طريف ويجذب القارئ إليه عم أنه يعضى في فكرته دون أن يوقفه أي شيء، وعلى سبيل المثال يرى أن كل الأمريكيين غير ملتفتين حتى الآن بأي عمل قام به بوش رغم أن استطلاعات الرأي جعلت بوش

\*\*\*

Excellence! The Discipline of Getting Things Done

(السيد الانان متزان الانداف)  
Larry Bossidy and Ram Charu,  
Crown Business, 2002, 284pp, \$27.50

كيف تحول اسير انجذبه الى شركة ان  
والق؟ يؤكد المؤلفان واحدهما رئيس  
محسب ادارة هاميلون شمرايسموال، ان  
عدم القدرة على تحويل الانصاف الى واقع -  
الى التنفيذ - هو اكبر مشكلة تواجه  
المطامير

مدا الكتاب يوضحه اليوم للمديرين  
الذين يعتقدون خطأ ان جميع اوجه التنفيذ  
يتم بموجبه، اما الانطوب الامتل الذي  
يصنحاه من المدير فهو ان يقوم اولاً بتحديد  
اهداف واضحة وواقعية، ثم مساعدة  
العاملين على تحقيق هذه الاهداف بتوفير  
المصادر المالية، والانسراف اللازم،  
ومحاسبة الموظفين ان فشلوا وفكاهتهم اذا  
نجحوا.

يوفر لكتاب امثلة عملية من شركات  
مشهورة مثل لوست واى تى اند تى،  
وجنرال إلكتريك وغيرها.

What Management Is, How It Works  
and Why It's Everyone's Business  
(ماهيه الإدارة، كيف تعمل ولماذا تحص  
الجميع)

Jean Magretta, Nan Stone  
Free Press, 2002, 525 pp

في هذا الكتاب تقوم المؤلفة بوض  
المصرة اسبالية لجله "مافرار يهز  
ريجو، بتفصيل اهم دروس الإدارة، التي  
جاءت في كتاب اياه علم الإدارة الحديثة مثل  
ماكل بورتر وبيرتر راكر، وتقدمها في شكل  
بسيط يناسب المدير المبتدئ أو المدير  
المختبر الذي يدرس الإدارة.

\*\*\*

The Child that Books Built, A

Memor of Childhood and Reading  
(تذكرات الذي صمعه الكتب: ذكريات  
عن الطفولة والقراءة)

Francis Spufford  
Faber 2002, 244pp, £ 2.99

بار هذا الكتاب إعجاب النقاد منذ أن  
صدر في ارباب الماضي مؤلفه الكتاب  
، وتمايز في ترانسيل سبالورد قدم فيه  
صفتاً أدبية جديدة، مزيجاً من السيرة  
الدبية وأدب الرحلات والسيرة الأدبية  
وعلم النفس والنقد الأدبي باختصار يكتب  
ترانسيل سبالورد عن ولعه المرضي  
بالقراءة وهو طفل لاسب عائلة محبة  
من ينهل منحة ما كان يقرأه في ذلك  
الوقت من قصص وروايات وعالمها بذاته  
وتأثيرها على شاعره ووعيه  
فصول الكتاب تتخذ عناوين مثل  
"الغبية"، و"الجزيرة"، و"المصفرة".

والغنية، وهي تنصرف إلى نوعية  
القصص التي كان يقرأها ومعناها بالإنسية  
له. فمختار الغلبة تمثل عالم المجهول  
الموجود في القصص الخيالية، أما الغنية  
لغى القصص التي شكلت وعيه بالمتجمع.  
بينما المصفرة هي تلك القصص التي كانت  
تستلهم فيها نفسه لبرعيات الحضرة لذات  
مثل القصص الجنسية.

\*\*\*

Letters to A Young Novelist

(رسائل لروائي شاب)  
Mario Vargas Llosa

Translated by Natasha Wimmer  
Farrar, Straus & Giroux, 2002, 128pp,  
\$16.00

يكتب روائي بيرو الشهير ماريو  
جوراس لوسا التي عشر مقالاً عن الكتابة  
التي لها الغالب في هذا الكتاب الذي يشبه  
في منهجه كتاب ريكلة الذي صدر منذ مائة  
عام بعنوان "رسائل لطاعي شاب".  
يتحدث لوسا مباشرة عن الابد،  
وطبيعة مهنة كتابة الروايات، وعن آرائه  
في أدباء آخرين، وفي الروايات المعطلة عدده،  
وما يجب ان تتصف به الرواية الجيدة من  
وجهة نظره. الكتاب مترجم للإنجليزية من  
اللغة الأسبانية.

\*\*\*

مدخل إلى الفن الإذاعي والتلفزيوني  
والفضائي

ماجى المراسى  
القاهرة عالم الكتب، ٢٠٠٢

عن تاريخ الإذاعة وأهم لغات تطورها  
وكذلك التلفزيون، من نشأة الفضائيات  
والدور الكبير الذي لعبته في ظل ثورة  
الاتصالات وزمن العولمة.

\*\*\*

Al-Jazeera. How the Free Arab News  
Network Scooped the World and  
Changed the Middle East

(الجزيرة): كيف تقدمت شبكة الأخبار  
العربية الحرة العالم وغيرت الشرق  
الأوسط

Mohamed El-Nawawy and Adel  
Iskander

Westview, 2002, 346pp, \$24.00

الكتاب يمداد كيف بدأت قناة الجزيرة،  
وعيف يتم تشغيلها، ونوعية البرامج التي  
تنتج عليها، وتأثيرها على المشاهد  
العرب، وروية فعل الدول الحرة والغربية  
على مواقفها  
عمل المؤلف محمد النواوى، صحفياً  
في وكالة أنباء الشرق الأوسط بالقاهرة  
وفي مكتب الإذاعة العربية ببيروت  
في مكتب الإذاعة العربية ببيروت  
القاهرة أيضاً. وهو مصري مقيم الآن في  
الولايات المتحدة الأمريكية ويدرس  
الصحافة في جامعة ستانفورد، أما  
المؤلف الثاني، عادل إسكندر فهو  
مصري أكاديمي ويبحث متخصص في  
الإعلام الشرق أوسطي وهو يدرس  
الاتصالات في جامعة كنتاكي

\*\*\*

مصادر الطاقة في مصر وإفاق تميزتها

محمد منير مجاهد  
القاهرة المكتبة الأكاديمية ٢

يعرض المؤلف للسياسات الحكومية  
في قطاعي البترول والكهرباء بما فيها  
سياسات البحث واستكشاف مصادر  
جديدة للطاقة الموجودة بالفعل، كما يتناول  
عمليات تكرير وتصنيع البترول والتجارة  
الخارجية وإحلال الغاز الطبيعي محل  
المنتجات البترولية، وسبل ترشيد الطاقة  
ومحلية البينة، كما يعرض لمبرهنات  
التكولوجية كاستخدام الطاقة النووية في  
توليد الكهرباء وتعليق مياه البحر.

\*\*\*

Reinventing the Bazaar: The Natural  
History of the Markets

(إعادة اختراع البازار: التاريخ  
الطبيعي للأسواق)

John McMillan  
W W Norton & Co, 2002, \$25.95

السوق هو موضوع هذا الكتاب، يصف  
المؤلف الأسواق الكبيرة والأسواق الصغيرة  
ويشرح كيفية عملها، وهو ياتي بمثل  
مكتوبة: من أسواق الجمال في الهند  
وأسواق السمك في طوكيو إلى المزادات التي  
تعقد على مواقع شبكة الإنترنت، كذلك  
يتناول المؤلف دور الحكومة التي يرى أن  
يعدا الخلية إذا أساسية في غنى عنها في  
توفير السلع العامة ووضع القواعد ولعب  
دور الحكم، وذلك في أفضل الاحتياجات  
العالم المبينة على السوق

\*\*\*

القضية الأرمنية في الدولة العثمانية

محمد رفعت الإمام  
القاهرة دار نوار للطباعة، ٢٠٠٢

يتناول المؤلف تاريخ الأرمن في مصر  
وفي الدولة العثمانية وكيف ملأوا عتبة في  
سبيل قيام دولة عثمانية موحدة، وهو ما  
أدى إلى اضطهادات عنيفة وترحيات  
جبرية وصالح مدمية، وكيف تصامت  
الدولة العثمانية مع مسألة الأرمنية.

\*\*\*

Automobile: How the Car Changed  
Life

(أوتوموبيل: كيف غيرت السيارة  
الحياة)

Ruth Brandon  
Mac Millan, 2002, 468pp, \$20.00

التاريخ الاجتماعي للسيارة وتطور تلك  
الفة التي غيرت أسلوب حياة البشر وهو  
موضوع هذا الكتاب. تتناول المؤلفة أثر  
السيارة على المجتمع والبيئة والبيئة.  
فالمسيارة هي السلعة الاستهلاكية الأولى  
في العالم، وقد أدى انتشار السيارات إلى  
إمكانية إنشاء ضواحي خارج للمدينة  
للتفكك لتصلها الواسلات العامة.

وتذكرنا المؤلفة بأننا نكر الشكوى من أكثر  
الصحة والبيئة لعدم السيارات وننسى  
كيف أتت السيارة لنقشنا من تلال المخلفات  
التي كانت تسببها السيارات وغيرها من  
الدواب، والتي كانت تغطي بها جميع  
الشوارع والميادين أكثر من كثر العالم.

\*\*\*

The Rescue of Jerusalem: The

Alhance Between Hebrews and  
Africans in 701 B.C.

(إنقاذ القدس: تحالف العبرانيين مع  
الأفارقة في ٧٠١ قبل الميلاد)

Henry T. Aubin  
Soho, 2002, 424pp, \$30.00

في بداية القرن الثامن قبل الميلاد،  
واجهت مدينة القدس جيشاً قوياً من  
الأشوريين دمر في طريقه كل ما صادفه من  
حصون ومدن وجنود، ولكن ما حدث أن  
الأشوريون تراجعوا بعد أن كانوا قد دخلوا  
بالفعل إلى القدس، فيما يعتبر واحداً من  
أكبر العزات التاريخ، في العهد القديم يقصر  
هذا التراجع بأنه كان نتيجة لتدخل إلهي.  
أما المؤرخون، فيعزوه بقول أن أبناء ما  
كان سبب إنقاذ القدس والبعض الآخر  
يرجع الأمر لإعلان الاستسلام.  
يقدم مؤلف هذا الكتاب تفسيراً آخر،  
وهو أن الذي تصدى للدفاع عن القدس  
وشعبها العبراني في ذلك الوقت كان ملكاً  
نووبياً من قبائل الكوشيين التي تسكن  
جنوب مصر من الأسرة السادسة  
والسبعين (المصريين) من الجنود السود  
ورعد هجمة الأشوريين.

\*\*\*

موقع الأفلاك في واقع تلكماك

ترجمة: رفاة الطيطاري  
القاهرة دار الكتب والوثائق، ٢٠٠٢

إعادة إصدار لكتاب من كتب أحد رواد  
النهضة الذي أسهم بجهود أساسية في طرح  
التأشيكات الشرق والغرب على نحو ينادي  
ومستشرق في أم حنا. والكتاب يتناول  
ملحة فرنسية تدعى تحكي قصة كتبها  
أبي فيلون وأستشهد فيها بأصالح  
الأوضاع في المجتمع والكنيسة في النصف  
الغامي من القرن السابع عشر.

\*\*\*

تكنولوجيا التعليم في عصر المعلومات

والامتلاات

كامل عبد الحميد زيتون  
القاهرة عالم الكتب، ٢٠٠٢

دخل مصطلح تكنولوجيا التعليم  
فانوس الحياة العلمية مع التطورات  
الهائلة في تكنولوجيا المعلومات  
والاتصالات التي تتميز بها العولمة،  
انتشرت وسائل الإيضاح الجديده  
التفاعلية والتلفزيون التعليمي والتعبير،



والإدبية، فضلاً عن دراسات بارافني رحلته  
الذين خبروا عن قرب صفاته الشخصية  
ومنهجه في التفكير

٢٠٠٢

**دواو عين العنقر**  
تحرير سليمان المعار  
العمارة دار الشروق ٢٠٠٢  
هذه هي أول سيرة ذاتية كتبها جندى  
هو الفنان التشكيلي أحمد نوار الذي كان  
مجنّداً في فترة حرب الاستنزاف وشارك في  
حرب أكتوبر ١٩٧٣، وهو يسرد في عشرين  
فصلاً بعضاً من مولاته ومشاهداته  
وانطباعات طوال هذه السنوات العصيبة.

٢٠٠٢

**Phaubert: A Life**  
(طويل: حياة)  
Geoffroy Wall  
Jarrar, Simon & Giroux 2002, 416PP  
\$27.00  
قصة حياة الأديب الفرنسي جوستاف  
فلوبيير الذي ولد عام ١٨٢١ وتوفي عام  
١٨٨٠، كما يرويها جيوفري وال الذي سبق  
وترجم للأدبيات العربية، «مغامر بواري»  
والد اعتمد على رسائل فلوبيير الحديثة  
لصديقه وأشره ماكسيم دو كاكب وحبيبة  
لويز كوليت وغيرة جورج صائد  
يقتالو الكتاب شخصية فلوبيير ومزاجه  
العام وعمله بالقاتل أن الذي فعله في سبيل  
الأدب، ورحلاته الطويلة إلى مصر، ثم  
مرضه العصبي الذي شخصه المؤلف بأنه  
مصرع، وتأثير نجاح والده الطبيب  
البرجوازي على شخصية فلوبيير وأسلوبه  
في العمل

٢٠٠٢

**Behind Sad Eyes: The Life of George Harrison**  
(حرف عبوس حزينة، حياة جورج  
هاريسون)

Mark Shapiro  
St Martin's Press, 2002, \$24.95  
«لنخفف الهباء»، هو المؤلف الذي عرف  
به جورج هاريسون أحد أعضاء فريق  
العماد البريطاني الشهير البيتلز، والذي  
توفي مؤخراً في العام الماضي، يستعرض  
هذا الكتاب حياته وشخصيته سواء داخل  
الفريق أو خارجه

٢٠٠٢

**Cantile Chantale: A Life**  
(كاميل كوندل، حياة)  
Odile Aymal-Claude  
Abra 2002, 280PP, \$29.95  
اشتهرت النحلة الفرنسية كلوديل  
(١٨٦٤-١٩٤٣) بعلاقاتها العرامية مع الفنان  
أوجست رودان، والتي جعلتها السبيل  
الرئيسية في أواخر الثمانينيات في فيلم من  
بطولة جيرار دودارديو وإيزابيل أنجاني  
بمثاق ذلك الكتاب سيرة حياتها وتفاصيل  
علاقتها برودان التي استمرت خمسة عشر  
عاماً، انتهت بعقدائها لصومها ودخولها  
معصية عقلية لمدة الثلاثين سنة الأخيرة في  
حياتها

٢٠٠٢

**الجميلة تنزل إلى النهر**  
فاروق شوشة  
القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢  
قصيدة يفتخر فيها الشاعر بشار بن  
الكريم، ويروي قصة فرس النيل في أبيات  
شعرية، حيث يهبها النيل الشدا وتهيبه  
الجمال فيزداد بهاء، إنها العلاقة الأبدية بين  
الناس والنهر، قصير هبة النيل، كما قال  
هروبووت، كما أنها قصير مصرين كما يبدو  
لآخرين إن يردوا.

٢٠٠٢

**رعشة في الالف**  
أحمد سليم  
القاهرة دار الشروق، ٢٠٠٢  
أربع وثلاثون فصلياً تصور في ألف  
رومانسي حالم، وتجدد الواقع برؤية  
عقيلة تمثل استمراراً لسيرة الشاعر الذي  
قدم من قبل عدة دواوين هذا الطريق، ولقب  
حائز، والهجرة من الجهات الأربع، وعدة  
مسرحة شاعرية

٢٠٠٢

**مدن العتمة**  
لويس بروبين  
ترجمة إبراهيم المصلي  
الحرب دار توبكال للنشر، ٢٠٠٢  
مختارات شاعرية من بروبين، مع  
دراسة لسيرة الشاعر وأهم الأفكار التي  
تناولها في قصائده.

٢٠٠٢

**عواقب الثورة البيوتكنولوجية**  
عوكوما  
ترجمة أحمد مستجير  
القاهرة دار سطور، ٢٠٠٢  
يتوقع المؤلف في ضوء الثورة التكنولوجية  
التي نشهه الانقلاب بكل ما حمله من تحاويل  
للتوصلات في مجال البيانات والهندسة  
الروائية، أن يستمر هذا التطور ون تتغير  
الأحداث وتنتج أجيال جديدة من البشر  
السويبر مما سيكون له تأثير كبير على  
البيئة وعلى الوعي البشري.

٢٠٠٢

**Science In Translation**  
(ترجمة العلوم)  
Scott L. Montgomery  
University of Chicago press, 2002,  
326PP £ 13.5  
إن تبادل المعرفة العلمية عبر الثقافات  
كان دائماً عاملاً أساسياً في تشكيل  
الحضارة الإنسانية، وعلى الرغم من  
الأهمية الهائلة للترجمة في تاريخ العلم إن  
أن هذا الموضوع لم يزل اهتماماً كافياً حتى  
الآن. هذا الكتاب يبحث الأولاء المتعددة التي  
لعبتها الترجمة في تطور العلوم في الغرب  
منذ العصور الكلاسيكية وحتى الآن يتناول  
الكتاب دور الحرب في ترجمة الأعمال

اليونانية والرومانية إلى العربية ومنها إلى  
أوروبا مرة أخرى والتي لولمّا لما حدثت  
النهضة كما عرفناها  
ويتناول المؤلف القضايا الفلسفية  
المصنعة بموضوع ترجمة العلوم ومن  
ضمنها عدم ثبات النص العجمي، والمخوف  
في عملية الترجمة، إلى جانب استحالة  
وجود لغة تقنية عالية.

٢٠٠٢

**I Have Landed: The End of a Beginning in Natural History**  
(نهاية بداية في التاريخ الطبيعي)  
Stephen Jay Gould  
Harmony, 2002, 184PP, \$25.95  
العلم لسيفين جاي جولد أصبح اسمه  
مرداً لنا المؤلف التطوري (أو الخشونة)  
هذا الكتاب يضم واحدًا وثلاثين مقالاً نشرت  
من قبل في مجلة «ناتشرال هستوري».  
تستكشف مقالات جاي جولد العلاقات  
العصاة بين التاريخ، وبين الفن والعلم  
والعلم الطبيعي.

٢٠٠٢

**أنبياء الله في فلسطين**  
سبل إنفا  
عمان بيروت. المؤسسة العربية للدراسات  
والنشر، ٢٠٠٢  
أرض فلسطين مكانة واضحة في  
تاريخ النبوة والديانات، فمدن سكن هذه  
الأرض عدد كبير من الرسل والأنبياء، منهم  
أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام وولد  
واسماعيل وإسحاق ويعقوب وزكريا  
وموسى وعيسى، هي أرض الأنبياء  
والرسالات والدم والشفعة.

٢٠٠٢

**صراع الثقافة الإسلامية مع العولمة**  
محمد الشيبني  
بيروت دار العلم للملايين، ٢٠٠٢  
ينظر كـسبر من الفكرين العرب  
والإسلاميين وتلك التقديمين إلى العولمة  
وصفها شراً بعد الهوية الحضارية للأمم  
ويعدون أن للحركة الثقافية هي بين  
الثقافة الإسلامية والتوجهات الثقافية  
والفكرية للعولمة، وهذا بعض ما يشير إليه  
المؤلف.

٢٠٠٢

**الألحان القبطية روحانياتها وموسيقاها**  
جورج كريس  
القاهرة كيسة مار ترانس، ٢٠٠٢  
دراسة في موسيقى التراث الإنجيلي  
وأصولها، وبين المؤلف أن هذه الموسيقى  
الفرعونية تم تراثها شعباً عبر رجال الدين  
والربانيين، وكيف تم الحفاظ على هذه  
الموسيقى من قبل إلى جيل

٢٠٠٢

٢٠٠٢

**فنون السيما**  
ترجمة عبدالقادر الشامي  
القاهرة المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢  
يبحث الكتاب عما وراء الشاشة  
السينمائية، أي ما لا يراه الجمهور من إعداد  
ويجه لإنجاز الفيلم السينمائي، ويشرح  
أسرار الفن السابع معتمداً على نماذج  
تطبيقية خصوصاً من الفيلم الفرنسي من  
مراحل الإعداد له وحتى عرضه.

٢٠٠٢

**Landscapes**  
(مناظر طبيعية)  
Robert Caputo,  
National Geographic, Books, 2002,  
159PP, \$14.99

ما هي اللحظة المناسبة لنقاط صورة  
فوتوغرافية لغروب الشمس؟ كيف تلتقط  
صورة لينة وهو يلعب كرة القدم؟ ما هي  
الموضوعات التي تصلح للتصوير  
بالأبيض والأسود؟ وما هي العدسات  
المناسبة؟ هذه الأسئلة مهمة بالنسبة لأي  
شخص يهوى تصوير المناظر الطبيعية  
ويرغب في إخراج كسبة فنية في الصور  
التي يلتقطها.

يحتوي هذا الكتاب على نصائح  
فريق الناشيونال جيوجرافيك، تلك  
التي التي اشتهرت بتصويرها الباهر  
للمناظر الطبيعية في مختلف أنحاء  
العالم.

٢٠٠٢

**الشباب وأزمة التعبير**  
سيد مسمي  
القاهرة دار المصرية للنسابة، ٢٠٠٢

يتناول الكتاب عبر فصوله الثلاثة  
مشكلات الشباب بين اليأس والأمل، حين  
تقبح القوة ويتراجع الانتماء ويمسر  
العنف والتطرف والإرمان زاماً يومياً، وإلى  
جانب التحليل الاجتماعي والنفساني، وإلى  
بذمه المؤلف، فإنه يقدم استطلاعات يجيب  
عنها الشباب بأنفسهم.

٢٠٠٢

**Power and Control**  
(القوة والتحكم)  
Sandra Horley, Cherie Booth  
Vermilion, 2002, 264PP, £ 7.99  
نرى المؤلف ساندرا هورلي أن العنف  
المنزلي يزداد في المجتمعات الغربية بشكل  
كبير، وفي المستقبل سوف يتعرض امرأة  
من كل أربع لنساء العنف المنزلي، وأسد  
أضحت هورلي عشرين عاماً في سعادته  
النساء اللاتي يتعصرن من العنف، في  
تحاول تقديم رأي النساء الحقيقي بعض  
الرجال الذين يتخون خلف قناع «الرجل  
الساخر»، كما تقدم نصائحها لكيفية  
تصرف المرأة في مثل هذه المواقف لتجنب  
نفسها المضار الجسدية والنفسية  
المختلفة.

## كتاب الزاوية



### حالة حصار (٥)

قالت امرأة للصحابة: طَلَى حَبِيبِي

فَأَنْ ثَابَسَ مِثْلَةَ بَدْعِي

إِذَا لَمْ تَكُنْ مَطَرًا يَا حَبِيبِي

فَكُنْ شَجَرًا

مُسْتَعْبًا بِالْخَصْرَةِ... كُنْ شَجَرًا

وَأِنْ لَمْ تَكُنْ شَجَرًا يَا حَبِيبِي

فَكُنْ حَجَرًا

مُسْتَعْبًا بِالرُّطُوبَةِ... كُنْ حَجَرًا

وَأِنْ لَمْ تَكُنْ حَجَرًا يَا حَبِيبِي

تَكُنْ قَمَرًا

فِي مَتَامِ الْحَبِيبَةِ... كُنْ قَمَرًا

(هكذا قالت امرأة لابنها في جنازته)

(إلى الليل: مهما ادَّعَيْتِ السَّاءَاةَ

«تُكَلِّمُ»... لِلْحَالِينَ وَحُرَّاسِ

أَحْلَامِهِمْ، فَلَنَا قَمَرٌ نَاقِصٌ، وَدَمٌ

لَا يَبْقَى لَوْ أَنَّ قَمِصَكَ يَا لَيْلٍ...

\*\*\*

نَعَزَى أَبَا بَاتِنَةَ: «كَرَّمَ اللَّهُ وَحَةَ الشَّهِيدِ»

وَبَعْدَ قَلِيلٍ، نَهْنَهَتْ بَوَلِيدَ جَدِيدٍ

الصغيرتين وتحاول كل واحدة مساعدة صديقتها في التغلب على مشكلتها.

### تَقْدِيرٌ أَدَبِيٌّ

أدبيات الأقصى والدم الفلسطيني

جانر فميحة

القاهرة: مركز الإعلام العربي، ٢٠٠٢

فلسطين هي قضية كل العرب، والأقصى هو قضية كل المسلمين، وقد كتب كثيرون في هذا المعنى شعرًا ونثرًا، المؤلف بشير إلى هذه الكتابات ويتناولها بالنقد والتحليل. ويقدم كتابية تعبيرها عن حقيقة المسألة التي يعانيها الشعب العربي في فلسطين.

\*\*\*

الشعر الشعبي العربي

حسين نصر

القاهرة: دار الأمل، ٢٠٠٢

دراسة نقدية للشعر الشعبي وموضوعاته، تكلل أضواء على قضايا بوجهة أحد الروافد المهمة للتاريخ الاجتماعي، وقد ضم هذا الشعر معارك وشخصيات وأخبارًا عن حكام ومدن ومجتمعات.

التجربة القصصية النسائية في الجزائر

بابيس فوغلي

الجزائر: اتحاد الكتاب الجزائريين، ٢٠٠٢

بلات مساهمات الأدبيات الجزائريات في القصة الجزائرية منذ عام ١٩٥٥، والمؤلف يقدم قصصًا تشتمل على دراسة نقدية للهيكل القصصي النسائي الجزائري عارضًا لنماذج تطبيقية لكل من نزيهة زاي، وأوليسما السعوي، وجميلة زويد وأخريات.

\*\*\*

رحلة في فكر طه حسين

مهاجد عبد المنعم مجاهد

القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢

دراسة نقدية لأهم الأفكار التي عبر عنها طه حسين في كتاباته التي شغلت الرأي العام لسنوات طويلة وكان بعضها صادمًا لاجتماع محافظ لم يجد مناقشة لوابته بهذا العنف والصخب، كما فعل طه حسين في «مستقبل الثقافة في مصر» وفي «الشعر الجاهلي» وغيرهما.

\*\*\*

مائة عام من الفكر النقدي

سعيد الغامسي

دمشق: دار الفيل، ٢٠٠٢

يبحث حق النقد الأدبي باتوام عائلة من المصطلحات التي تم استيرادها من الغرب كما هي، ويرغم أن هذه المصطلحات هي نيت طبيعي لبيئة مغايرة وحصاد تطور اجتماعي وتراكم ثقافي تم عبر سنوات طويلة، فإنها حشرت في بيئة النقد العربية مما أوجد حالة من التضييق وعدم وضوح الرؤية، هذا بعض ما يسهلها المؤلف إلى جانب دراسات نقدية تطبيقية عن شعراء وأدباء عرب.

### نُفُوسٌ

التفكير العلمي في النحو العربي

حسن اللع

فلسطين: الشرق، ٢٠٠٢

دراسة جادة جديدة عن قواعد اللغة العربية وأصولها ودورها في الحفاظ على اللغة وحمايتها من الضياع، والمؤلف إذ يتغنى أي فرصة للاجتهاد في قواعد النحو، لا يمانع في مزيد من التبسيط والشرح لها.

\*\*\*

Foundation of Languages

(لأساسيات اللغة)

Ray Jackendoff

Oxford University Press, 2002 498PP..

£ 25.00

يعد راي جاكندوف من كبار علماء وأساذة اللغويات والعلوم المعرفية في العالم، وكانته تضاهي مكانة ناعومي تشومسكي في هذا المجال. في هذا الكتاب يقدم جاكندوف نظرية شاملة جديدة للعلاقة بين الأصوات والبناء والدلالة في اللغة، وعلاقتها بالعلم والفن.

### لِلْأَخْطَالِ

The Jar of Olives

(جرّة الزيتون)

Denys Johnson-Davies

Dar El-Shorok, 2002, 47PP., L.E 20.00

صورت هذه القصة ضمن سلسلة كتب أطفال جديدة مستوحاة من التراث العربي ولكن مقدمة باللغة الإنجليزية. مؤلفها هو ديمس جونسون دافيليز الذي استشهد بترجماته الإنجليزية الرائدة للأدب العربي المعاصر.

استوحى دافيليز قصة «جرة الزيتون» من حكايات ألف ليلة وليلة، وتصور أحداثها في بغداد أثناء حكم الخليفة العباسي هارون الرشيد، الذي يقوم في القصة بالاعتماد على حكم صبي صغير في حل لغز سرقة كريمة والتحكيم بين طرفيها. وفي ذلك يتفق الصبي الصغير باستغته الذكية على قاضي بغداد. تضم القصة ذكرًا لأهم الفن في ذلك الوقت مثل القاهرة ومكة وحلب ودمشق والقدس وأصفهان، حيث يزورها بطل القصة أثناء رحلته إلى الحج.

Secrets

(أسرار)

Jacqueline Wilson

Doubleday, 2002, 219PP., £10.99

قصة مؤثرة عن فتاتين صغيرتين وتأثير كل منهما على حياة صديقتها. إحداهما فتاة سعيته من أسرة فرية وتعايش من مشكلات مع والدتها وتلجأ لكسابة البوميات للترويح عن نفسها. الأخرى فتاة نحيفة من أسرة فقيرة تعاني من مشكلات مع والدها، وتكتب هي الأخرى يوميات لتفريغ غضبها. تنشأ صداقة قوية بين





## شارون ينشد استراتيجية ثابتة

تعلقاً على ما قرأت بعدد مايو ٢٠٠٢  
ونشد ما فوجئت بكم من الغلات التي  
تهمد وتتحدث بتركييز عن شخصية  
شارون وتحليلها وذلك بإطلاق مجموعة  
من كبار المعلقين في الإعلام العربي، وأود  
أن أخص تعلقي بإستادنا يوسف العليد  
وهو الذي أظن أنه سبازال يؤمن أن  
فلسطين دولة مقبضية من شمال سيناء  
حتى جنوب لبنان ومن البحر الأبيض  
حتى نهر الأردن قبل أن يتم حزيمة  
العقل العربي للمطالبة فقط بالاستسحاب  
مجلس الأمن لم تبت الحزيمة حتى يتم  
الفاوض على هذه الأراضي لم تتفق  
أكثر على طلب حدود سينير ٢٠٠٠  
أما مطلوب من هذا التفاوض على الوضع  
الحالي كما قال شارون إلا كان هناك  
تفاوض.

سعيد: التساؤل الآن هل شارون هو  
المستحسن على ذلك كله اليس الشعب  
الإسرائيلي هو الذي اختاره، واتحدى أن  
شخص يذكر لي حكماً واحداً لإسرائيل  
بل لم يبدع شيء من المصلحيين والعرب  
ولم يفسل الألف منهم، إن الشعب  
الإسرائيلي كله شارون.

ورده في التحليل أن أنه وأباه قد  
أهداه مسدساً وخميراً وهو في سن  
الخامسة، فنعم التريكة ذلك التي جعلت  
منه في ما حاسكاً ليلداً بموجبه  
انتخابات حرة وليست مزورة، وهو أيضاً  
لا يطعم في الحكم لأيد الأيديين أو أن  
يورث الحزم لأحد أبناؤه، وهو على مدار  
تاريخه كله لا يمكن في يوم من الأيام  
عربية لأي دولة لا أمريكا ولا غيرها  
وتكن مخلصاً أبداً، لا لولته الذي ولد  
وتربي به، وإن كان هذا الوطن مقبضاً  
من أصحابه، لا يوجد زعيم فذ فيه  
بالدلة من ما خدم شارون فقيه بلاد.

أهل يمكن في هذه الحالة أن نعتبره  
ديكتاتوراً أو خائناً أو عميلاً؟  
سعيد: (بالله عليك ماذا تفعل لو  
كنت مكانه) وأصامك كل هذا الانتخا  
العربي؟

سعيد: إنك تقول إنه لا يمتلك  
استراتيجية بل هو رجل تكتيكي في  
تصرفاته وأقارائه، فهل هناك رئيس  
وزراء إسرائيلي يضع استراتيجية له  
في الاستراتيجية موضوعاً منذ زمن  
طويل، أم ماذا تفكر الاستراتيجية الآن  
فقد رخن في ذلك الوضع لمصلحة  
ويقتنا صيهاً ولا تحرك ساكناً، لم يمد  
يده باستلامه لنا مدافع فتركت  
والأخضار والناص من القبول الأيدي  
أيضاً.

سعيد: اللوم ليس على شارون ولا  
الذين تدينه ليهو بل ربما كانت يعمل  
لمصلحة شارون ولكن هؤلاء الذين  
من صدق أو حاول أن يعلقوا تصديقاً  
سوف يوبن بين (أحمد وداود) سلام  
من ذنب من سيفلون يوماً ما (قلنا)  
يوم قتلنا (سليم).

سعيد: لابد من إيضاح أصل القضية  
إجمالياً ولا نتشغل عنها بقوم، فعنونا  
الكتاب هو (أنا أكذب.. أنا أكذب...  
إن أنا شارون) هل هناك حاكم  
إسرائيلي لم يكذب ولم يهرع الحرب ولم  
يقتله، فقلهم شارون أو كلهم إسرائيلي أو  
الإفراط نشاء أن تختار، شارون ليس هو  
حاكم إسرائيل منذ عام ١٩٤٨ وإن يظل  
حاكماً لإسرائيل لأبد. ومن يأتي بعده  
ليس بأفضل منه بالنسبة لأنه، وهم قد  
قالوها سيلاً أنه إن يأتي أفضل من براك  
والآن لن يأتي لأفضل من شارون وذلك  
لأننا قد نجحنا في التوصل لهدم قانون  
تيوتن (كل فعل له رد فعل مساوٍ له في  
الغدار ومضاد له في الإجهاد)، فهو لا  
ينطبق علينا فحن مرتاحون ومطمعون  
وعازمون على أن نظل على هذا الوضع  
حتى الانتصا (ولا نرضى من غير الانتصا  
بديلاً).

وأخيراً لا ينبغي إلا أن أذكر قول الله  
«فأتوهم بعظيهم الله بأيديكم» في حين  
أن كثيراً ما يدعو في صلاته بقوله: اللهم  
مصر القاطنين بالظالمين والفرجنا بينهم  
سائمين (زى الشعرنا من العجين).  
ولكم والصراحة الشكافية وجاهات  
نظر، خاصص التلذذ والتلذير.

## صلاح خالاف مجلس



### واقع الحال وعملية هيرون

في المسألة بعنوان «المؤامرة  
والسياسة والجريمة» التي كتبها  
استاذنا محمد حسين هيكل في مجلة  
«وجهات نظر» عدد يونيو ٢٠٠١، وقدم  
فيها عرضاً وتحليلاً لقصة بعنوان  
«عملية هيرون»، وهو للمسي الرزي  
للعملية الاستخباراتية التي خطط لها  
الموساد الإسرائيلي، بهدف وضع الحد  
عمرائه في القتب الإسرائيلي للتيب  
الأبيض رئيساً لوزارات التصدقة  
الإسرائيلية، ليؤكد ذلك «الضمنا  
النهائي الذي لا ضمان بعده ولا ضمان  
فوقه». فهو أوسع من يحقق لها كل ما  
تتم له، وأبعد وأخسر من الحلم أيضاً.  
لن نرى رئيس الوزراء الإسرائيلي في  
الآن - يشير أن إسرائيل تحتاج في  
ضمان أمريكي نهائي يوفر لها طول  
السنوات القادمة الحاسمة - وفيها  
التصوية القائمة النهائية لازمة الشرق  
الوسط - ما لا تغر عليه معامات  
الضغط المؤثرة، وما ست أنفع من  
أغلبية صديقة في الشيوخ والوثاب، وما  
هو أقوى من صف طويل متضامن  
رئيساه تحسير وشركات السيما.

يقول سيجل زيارة السيناتور الأمريكي  
جورج ووتر بوش عام ١٩٩٤ لإسرائيل

إنه ليس القنصوة ووقف يرف الدمع  
الغزير على الحائط كعوم من العودة قلقة  
الصيخ وإعادة هبة الهيل المزروع؟  
تقول نهاية قصة - عملية هيرون، إن  
الرئيس يتم فضوله إلى البيت الأبيض  
(بعد جلسته تفتيتاً بين شقي رخي الياس  
والرجاء من نتيجة التصويت) بأغلبية  
ضئيلة بعد عيلتيا خداد ولعب وتلاعب  
في عد وإحصاء الأصوات بالألات ويدويها  
ويعد قرارات حاكم - وهو ما حدث في  
الواقع الفعلي!.

يقول واقع الحال إن قراءة ملف  
«إرون جيت» في ضوء شعبة «ووتر  
جيت» وفي وجود النائب الجدل الجاهز  
للنظر، إن الكلف جباه للنشر في اللحظة  
المناسبة، ويقوم الكلف بولف للمسند  
المسوق لفهم الرئيس عند أول باررة  
لمخالفة التعليمات أو الخروج عن النص،  
وهو ما يجعله يفضل الموت للحرب  
الإسرائيليين إن يكون فاشلاً Loozer  
ويوجه أوبه.

ويسأل الواقع المعاش والمري في  
إسرائيل، إنه قد تشككت وزارة وحدة  
وطنية من جميع الأحزاب لتفكيك الخطط  
الكبير من خلال تحقيق أساليب الخط  
الاستراتيجي قبل قدر من لم استफल  
رد الفعل كحبر لتفكيك والتدمير  
واستساح الأراضي، وبدأت الخطه بزيارة  
شارون للمسجد الأقصى لم التكمسا  
الأراضي، لم عمليات التدمير للأراضي  
المدنية، لم قتل النساء والأطفال، ولم من  
استغلال رد الفعل عليها بالعيليات  
الاستشهادية في تبرير عدم التراجع  
وبالقاع النهائي في ذلك الأراضي؟

ويتطابق الحال أيضاً مع التواجد  
المختبوء داخل الوليات المتحدة  
الأمريكية، وأيضاً مع سياساتها المعلنة  
والمخفية في المنطقة، ومنها التقرير  
الإسرائيلي للسياسة الأمريكية المقدم  
من السيدة كوكايزايز رايس لتكديها غير  
التجيب بأسلوب الفعل ولا الفعل (مصدق  
حسنيين هيكل، وسهاست غير  
السفير ٢٠٠١)، لم توادها الأممية في  
المنع من الآن - حتى ١٠٠ سنة  
يهودي إجازة من العمل في يريج مركز  
التجارة العالمية قبل صياح ١١ سبتمبر.  
إن انتقاد المباحث الخارجية لجموعات  
تجسس إسرائيلية تم تفتيره ما هو  
أخبارها، وغيرها، ونسبها ما هو  
مصرف ومشتري في أوروبا ولا ترجزم  
للغربية إلا فيما تنشره الأرقام أحياناً.  
أنظروا الحقيقة الآن أطلع على المواد  
وقائع القصة المنشورة بتفاصيلها في  
كتاب رجل المخابرات الإسرائيلي القديم  
(عملية هيرون) كما فعل من مثل موشي  
ديان حين نشر خطة حرب الناصر من  
بويني، اعتماداً على أن العرب لا يقرأون،  
وإن افروا لا يفهمون، وإن فهموا لا  
يقبلون، ولأنهم غير قادرين، ولأنهم لا  
ضياح رقابية كراسي الحكم خائفون.

د. حمزة إبراهيم عامر  
استاذ الجيولوجيا بتاتيلية

## الوقوف على الشاطئ الآخر

أسجل أولاً إعجابي الشديد بأراء  
واسلوب الأستاذ سلامة أحمد سلامة من  
خلال كتاباته، وأرجو أن يتسع صدر  
المجلة لهذا التعليق السريع، مع ما  
من تبسيط.

نعم يا سيدى تظهر الكثير من  
مفردات اليمين الأمريكي في الخطاب  
الرسمي الأمريكي رغم أن الدستور  
الأمريكي يفصل بين الكنيسة والدولة،  
لأن الفصل بين الدين والدولة، أو ما  
يعرف بالعلمانية، لا يعني على الإطلاق،  
وأكثر على الإطلاق، فصل الدين عن  
المجتمع والناس، في ظل فعل الدين عن  
الدولة، ليس المطلوب أن يتخلى المرء عن  
معتقداته الدينية أو عن ممارستها، بل  
المطلوب أن توفر الدولة للقانوني  
الذي يسمح لتخريرون آخرين بالتخجير  
أيضاً عن معتقداتهم التي قد تختلف عن  
معتقدات من السلطة وممارستها إن  
أرادوا ذلك، هذا هو المناخ الذي يوسر  
مجالاً من الحرية يسمح حتى لمل هذا  
الكاتب الأمريكي الذي ذكره في مقال  
الذي يكتب ما بعد هوسا، إن الجميع يعلم  
أنه إن تؤخر مل هذا الأراء على فبرات  
الدولة التي تمكسها في نهاية الأمر  
استراتيجية غير انفعالية تجعل  
تحقيق المصالح العليا للبلاد، وأرجو  
ياسيدى لا تعتبره هذا من زاوية الفكر  
إلى الغرب بمثابة علم في  
لمعروف ما يحدث مثلاً إن ما تناول  
شخص، حتى لو كان من العلماء،  
موضوع محرقة اليهود، ولفن عن حديث  
آخر.

أرجو يا سيدى أن تتقبل، والخيال  
والحد لله ليس لأحد سيطرة عليه حتى  
الآن، أننا نلق على الشاطئ الآخر وننظر  
إلى اليسار، ونحلل خابنا من هذا  
المظهر الغيري، عدتها سزى كيف يبيع  
ساسية الغرب بسهولة شديدة لأتباعه،  
غير المفقين كتليعة البصوم خاصة  
في أمريكا، فذكر الخطر القادم من دول  
إسلامية، خاصة إذا استقلت سلاسل  
قوتها، في ظل خطاب إسلامي ينادي  
طول الوقت «بولوجية صاعدة لراس  
الفقر، وما يدعو للحرية والحرى أن  
حائلاً هذا وتهديدات الجواء، واعتقادنا  
أن نصر الإسلام أمام لا منتفى  
بالتهم تماماً، فمن ناحية يبيعونها  
بخساً على تذاكرهم الاستثنائية، ومن  
الناحية الأخرى يفسنون أن يتشغل  
تفكيرنا بالبحث في أمور مثل، «هل  
السلام على المرأة باليد يترى؟» وهل  
زرع الأعضاء حلال أم حرام؟، بدلاً من  
التركيز، كل التركيز، في مجالات البحث  
العلمي وتنتية وتطوير مؤسساتنا حتى  
يمكن أن نقاخر مرة أخرى، بحضورنا كما  
نقفاخر دائماً بماضينا.

محمد حلمي محمود

# نوى

## التحالف غير المقدس

### بين الصهيونية واليمين المتطرف

يصب الأوروبيون عادة بمصدمة تقدهم توازنهم، بمجرد أن يرتفع صوت واحد من إسرائيل يهجم الشعوب الأوروبية بمعادة اللبنة، فإذا تجاوب معه صوت ممثل من أحد السياسيين العالميين في اللوبي الصهيوني الحاكم في أمريكا، وهو ما يحدث دائماً، وقال إن أوروبا التي قُلت عدة ملايين في الهولوكوست تنبئ الآن موقفاً معادياً للصامية، انتشرت أصابع السياسيين والمسؤولين الأوروبيين، ووقع الاتحاد الأوروبي بجهت ومؤسساته في أزمة يعتبرها البعض كارثة.. ويتصاعد معها الإحساس بالضيق إذا ارتبطت تلك الاتهامات بالصراع في الشرق الأوسط، أو ببعض الانتقادات التي توجه إلى إسرائيل في تعاملها مع القضية الفلسطينية.

حدث ذلك في نوفمبر ١٩٦٧، بعد حرب الأيام الستة التي اجتاحت فيها القوات الإسرائيلية سيناء. ووقف الجنرال ديفيد بن غوريون الإسرائيلي يوجه نقداً حاداً لإسرائيل لفرطها في عدوان بورنيو ١٩٦٧، ويقول ما بعده إن كان يامل أن تتصرف إسرائيل بمقدار من التواضع، ووصف الشعب اليهودي الذي لم يستمع لنصائحه، بأنه شعب استعلائي، مسيطر، تغلوه القوة الزائلة بالفساد، وكانت هذه العبارات الهمجية اللينة وحدها كافية لتصب حمماً من إهواء السخا ضد الزعيم الفرنسي، منتهية إياه بمعادة الصامية، واشتدت الحملة ضد بعد أن أصدر أومره، وكان قد انتخب رئيساً لفرنسا قبل يومين من بدء الهجوم الإسرائيلي على مصر وسوريا، بغرض حظر على صادرات السلاح الفرنسي وقطع القبار العسكرية لإسرائيل. ولكن هذا الزعيم التاريخي للعلاق لم يتراجع عن موقفه أمام الحملات اليهودية العنيفة، كما يحدث اليوم من جانب كبار الساسة والمسؤولين الأوروبيين، فقد كان ديفيد هو الذي قاد حركة المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال النازي، ولم يكن يوسع الصهيونية العالمية أن تمارس معه أساليب الابتزاز السياسي التي تمارسها الآن ضد كبار السياسيين الأوروبيين والأمريكيين الذين يضطرون إلى تغيير مواقفهم وقناعاتهم السياسية، بل وفي كثير من الأحيان بما لا يتفق مع مصالح بلادهم، خوفاً من تهمة عداء للصامية أو تهمة انتهاك القوي الصهيونية المتطرفة لأساليب مثالية.

وقد تمتع يهود العالم هذه اللعبة القذرة على مر العقود الأخيرة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وما تلا ذلك من جرائم ضد الإنسانية، كان اليهود بعض ضحاياها، فاصبح من اليسير بقفل أبواب الإعلام اليهودي وفساد الأحزاب

والمؤسسات السياسية في معظم الدول الأوروبية، وفي الولايات المتحدة نفسها، اعتبار أي نقد لإسرائيل وسياساتها لوفاً من ألوان العداء للصامية أو تبوير بعض الاعتمادات الفردية على أشخاص اليهود ومبادئهم وإفعلات مشاجرات عادية، لا تلبث أن تتحول إلى احتقان أو ثوب لاجتماعي في القوية أو السياسية التي وقعت بها.. إلهام الرأي العام في هذه الدول أوك، وكذلك الرأي العام العالمي بأن موجة جديدة من العداء للصامية قد نشبت، وأن اليهود على أبواب «هولوكوست، جديد»!!



وفي هذا السياق يمكن فهم الموجة واسعة النطاق من الاتهامات الإسرائيلية الموجهة إلى العالم بمعادة الصامية، والتي تزامنت بشكل خاص مع الانتقادات الشديدة التي وجهتها بعض الدول الأوروبية إلى المذاب وإعمال القمع والإبادة التي ارتكبتها إسرائيل في الأراضي الفلسطينية، إذ يبدو تعاطف هذه الدول مع محنة الفلسطينيين أمراً مكرماً ومعادياً لإسرائيل، وعندما نشرت صحيفة «السادام» الإسرائيلية رأساً للسيد لبيب طفلاً وهو ينظر من مهد إلى السيد الإسرائيلي ويقول: «لا تقولوا لي إنهم يرمدون فسأني خليفة»، لم يباخذ الإسرائيليون ذلك باعتباره نقداً للحصار الإسرائيلي لكتيبة لهف في بيت لحم، بل اعتبروه جريمة لا تغفر في معاداة اليهود وإهانة للزعامات العنصرية والفاشية. غير أن الأمر يبدو مع التفتيش أكثر تعقيداً من ذلك، إذ تسعى العناصر اليهودية من خلال حملاتها ضد الأحزاب والقوى اليمنية وتوجه اتهاماتها إليها بمعادة الصامية، ليس فقط إلى تخدير القوى الديمقراطية، ولكن إلى تحقيق حد أدنى من التضامن بين اليهود والقوى الفلسطينية، إن لم يكن بهدف الحصول على تأييدها، فيهدف تحييدها، واستخدام أدواتها دين التعرض للنقد والهجوم.. وهذا ما فعلته إسرائيل والقوى الصهيونية العالمية في الأزمة الأخيرة، حين حاولت لغت الأنظار عن الجرائم والذات التي ارتكبتها في الأراضي الفلسطينية، باستخدام نفس أساليب الإذابة وتطريها للنازي في تدمير بيوت الإثنية وتعرضهم لغزوات جماعية وقتل وفهم دون محاكمة، لم الجوء إلى الترحيل الجماعي للترانسفير، لاعداد كبيرة من الفلسطينيين.

وقد نجحت إسرائيل إلى حد كبير بهذه الطريقة في إسكات الأصوات النخسة التي ارتفعت في دول أوروبا عديدة احتجاجاً على القتل الإسرائيلي، وتحت سيف الاتهام بمعادة الصامية أكرست لسن وأقلام كثير من الصحفيين والواقعيين وموظفي الأمم المتحدة والهيئات الدولية، ولم توجع إسرائيل في وقف قرار مجلس الأمن بإرسال لجنة لتقصي الحقائق حول مذابح جنين، وبدلاً من أن يحاسب الرأي العام العالمي إسرائيل على جرائمها، تحول إلى موقف الدافع عن النفس من تهمة انتعاش اليمن المتطرف وإحياء نزعات معاداة الصامية الأوروبية، وقد وصل الأمر إلى حد تنظيم حركة مقاطعة واسعة لمرحان كان السينمائي في فرنسا، وإطلاق دعوة لنجوم السينما الأمريكيين بعدم الذهاب إلى كان، بصفة أن فرنسا صارت من أكثر الدول عداء للصامية.. مع أن حركة اليمن الفرنسية بزعامة حزب لوبان ورفهها من أحزاب اليمين الأوروبي لم تتعرض لليهود في حملاتها الانتقادية، بقدر ما تعرضت لهجرتها للمسلمين والأقارعة ومطالب بالمدمها.



إن النظرة الفاحشة لتاريخ اليهود وقيام الدولة الإسرائيلية، لا يدع مجالاً للشك في أن التجربة الإسرائيلية قامت على استعاب الفبرار العنصرية والنازية والاستفادة من النزعات الفاشية التي سادت أوروبا وميزت تاريخها منذ بداية الحقبة الاستعمارية.. ومن الناحية التاريخية، فإن مشاعر العنصرية والاستعلاء الجنسي والفكري التي ميزت موقف أوروبا تجاه الشعوب الأخرى، في مرحلة الدلاستعماري والحروب الكونية التي استهدفت الاستيلاء على ثروات الشعوب الأفريقية والآسيوية وفرض سيطرتها عليها، ظلت مرصداً ليداً في العقل الأوروبي والثقافة الاستعمارية التي أفرزتها. وقد ظلت اليهود جزءاً من التراث الاستعماري الأوروبي، ومازالت حتى الآن.. لم ينفصلوا عن كسب الإ بطور الحركة الصهيونية والسعي لإقامة دولتهم، وبقيت العلاقة بين اليهود وأوروبا علاقة مركبة حتى الآن، تتجوز بالتجاذب والتفوق، والحب والكراهة، وبين دفين الالتحاق بالثقافة الأوروبية من ناحية واعداء الاستقلال عنها من ناحية أخرى.

ولم يعرف عن التراث اليهودي أنه بافع عن حركات التحدر أو عاصمها، بل كان جزءاً لا يتجزأ من نظام التفرة العنصرية في جنوب أفريقيا، واتخذ اليهود موقفاً مناهضاً لحركة المساواة بين البيض والسود في الولايات المتحدة الأمريكية، وتحالفوا مع أنصار التفرة العنصرية فيها، وهم يطبقون الآن في المجتمع الإسرائيلي كل الأساليب التي عرفوها في التعامل مع الفلسطينيين في دولتهم كموطنين من الدرجة الثانية أو الثالثة.



في المؤتمر الذي انعقد في ديربان لمكافحة العنصرية في الصيف الماضي، لم تستطع أمريكا بكل نفوذها أن تثير إسرائيل من تهمة العنصرية، ولا أن تحسن الصهيونية من صوابها بالعنصرية واعتبارها شكلاً من أشكالها، بعد أن أصبحت لها أسلحة من إسرائيل كقوة احتلال ذات أهداف استعمارية، تعتنق نفس الأيدي التي عرفها التراث الاستعماري الأوروبي، وتبني أسساً ثقافية تقوم على فكرة الحقوق الجنسي والتمييز العرقي والاستئثار مع الشعوب الأخرى في تقرير مصيرها والدفاع عن وجودها.

ومن هنا يمكن تصور الدوافع والأسباب التي تجعل من إسرائيل وقوى الصهيونية العالمية، المستبد الأول وربما الأودح من بعث قوى اليمين المتطرف في أوروبا، فهناك بغير شك مصالح مشتركة بين كل طرف منهما تشارمها بطريقة مستغلة.. أحزاب اليمين الفاشي في أوروبا تصد جفاف المهاجرين الأجانب من المسلمين والمؤمنين الذين «يلوثون» المجتمعات الأوروبية ويهزون فيها وعاداتها، ويحصلون على أماكن العمل كأي عامل خريصة، والجماعات اليهودية ذات النفوذ الساطع على عصب اليهودية السياسية والاقتصادية في الغرب، تطلق صيحة شعوب قديمة مهضومة سيبل ابتزازها واستغلالها سواء في فلسطين أو في أفريقيا أو آسيا.. إنه التحالف غير المقدس بين الصهيونية وقوى اليمين المتطرف في الغرب!

سلامة أحمد سلامة

# مفهوم جديد لتسوق سيارتك



الآن يمكنك الحصول على قرض سيارتك  
بمميزات عديدة ...

- ✓ أقل سعر فائدة
- ✓ أعلى نسبة تمويل
- ✓ أعلى حد أقصى للقرض
- ✓ سهولة وسرعة الإجراءات
- ✓ بوليصة تأمين مجانية على الحياة
- ✓ أسعار متميزة على تأمين السيارات
- ✓ قروض للمصريين والأجانب المقيمين

البنك العربي



رؤىة جديدة

أكبر شبكة مصرفية عربية

لمزيد من المعلومات برجاء الاتصال بتليفون

٣٣١ ٩٩ ٢٢

٧ أيام في الاسبوع من التاسعة صباحاً وحتى التاسعة مساءً

pierre cardin

paris

SHIRTS FOR MEN

شركة النيل للملابس

Pierre Cardin

هاتف: ٣٤٥٩٢٧٧ - ٣٤٦٨٠٩١ - ٣٠٣٠٩٢١ - ٣٥٦٦٨١ فاكس: ٣٤٦٩١٩٦

الإدارة العامة وإدارة المبيعات ١٤ ش جزيرة العرب - المهندسين